الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي لميلة

معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

المعنى في البلاغة العربية من منظور اللسانيات التداولية دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني - عينة -

مذكرة معدة استكمالا لمتطلبات نيل شهادة الماستر

الشعبة: لغة عربية

التخصص: علوم اللسان العربي

عبد الغاني قبايلي - رئيسا
نبيل بومصران - مناقشا

إعداد الطالب:
* - ياسر بومناخ

إشراف الأستاذة:
دلال وشن

السنة الجامعية: **2014/2013**

بسم الله الرحمن الرحيم

وقل رب زدني علما

التشكـــــــرات

الحمد لله رب العالمين خالق السموات و الأرض، نحمده سبحانه و نستعين به،نشهد به هو الرحمن الرحيم، و نشهد أن محمدا-صلى الله عليه و سلم- عبده و رسوله.

بداية نتوجه بالشكر و الحمد الجزيل إلى المولى سبحانه عز و جل الذي أنعم علينا بهذا، و أعاننا على إنجاز هذا البحث ووفقنا فيه، إليه يرجع الفضل كله.

بجزيل شكرنا نتقدم بعظيم امتناننا نقر لمن كان له فضل كبير في إخراج هذا الجهد للوجود...

لمن كانت إرشاداتها القيمة و توجيهاتها السديدة إشارة إلى التشمير على سواعد الجد...

إلى الأستاذة الفاضلة " دلال وشن "

كما لا ننسى أن نشكر عبر هذه المناسبة بعض الأساتذة على مساعدتهم وتوجيهاتهم و إلى كل من مد يد العون و المساعدة ولو بالكلمة.

إلى كل الساهرين على معهد الآداب و اللغة العربية بالمركز الجامعي -ميلة- في سبيل التحصيل العلمي و التكوين المؤطر خدمة للوطن.

و في الأخير لا ننسى أن نشكر كل العاملين في مكتبة الطالب، و كل من ساندنا في إنجاز هذا البحث.

و نسأل الله أن يبارك هذا العمل و يجعله خيرا للبحث العلمي، و نسأل الله أن يوفقنا إلى ما يحبه و يرضاه.

الطالـــب: بوهناخ ياسر

الإهداء

الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمة العقل والصحة فأتممنا بعونه هذا العمل

و السلام على نبيه الكريم و نشهد أن لا إلـــه إلا اللـــه وحده لا شريك له.

إلى التي حملتني وهنا على وهن تسعة أشهر وعمرتني بحنانها وكانت سندا لي في دربي

وعانت الحلو والمر حتى أوصلتني إلى ذروة النجاح. إلـى أغلى ما أملك في الوجود

أمـــــــــــي

إلى الذي وهبني كل شيء ولم ينتظر مني جزاء ولا شكورا رحمه الله واسكنه فسيح جنانه

أبـــــــــــي رحمه الله

إلى كل من قاسمني مرارة العيش وحلاوته وحب الوالدين وطاعتهما

إلى إخواني و أخواتي

إلى كل الكتاكيت

إلى كل من يحمل لقب بومناخ ولبصير و بن عسكر واحدا واحدا، أو له علاقة بهم.

إلى الأصدقاء:ياسر، خالد ،عبد السلام،عبد الحق،عبد المجيد،عامر، عزيز، بوعلام، عادل،زكريا،محمد

وليد، إسماعيل ،صالح، فاتح، حمزة، فيصل،بادر

إلى كل من عرفت في الجامعة : جمال، عبد الغاني، عبد الحكيم، أحمد، خالد ، عبد الباسط ، يوسف ،

هشام ، عبد القادر ، كمال، توفيق ،الوناس،سمير،عومار،بلقاسم، صالح، وليد، علاء الدين، عمار،

جابر، مجيب، عماد،

إلى كل من أحبهم القلب ولم يذكرهم اللسان ولم يدونهم القلم

ياسر

شكر خاص

إلى من لا تكفي الكلمات لرد جميلها و شكرها

إلى من وقفت معي في شدة البحث ، وكانت لي سندا ودعما لي من أجل إكمال هذا البحث

إلى التي لم تقصر من قريب أو من بعيد في مد يد المساعدة

إلى أختي العزيزة " سهـــــــام "

مع تمنياتنا لها بالتوفيق في حياتها...

شكرا جزيلا

" إذا نحن استعملنا ضمير الجمع بدل ضمير المفرد في كتاباتنا ، فلأن هذا الاستعمال تقليد عربي أصيل في صيغة التكلم من صيغ الكلام ، ثم لأنه هو الاستعمال المتعارف عليه في المقال العلمي و التأليف الأكاديمي فضلا على أنه يفيد معنى " المشاركة و القرب ... و لا دلالة له إطلاقا على تعظيم الذات و لا على الإعجاب بالنفس "

طه عبد الرحمن ، اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي ص 13 .

مقدمـة

مقدمة :

اشتغل عدد كبير من الباحثين بالتراث العربي، محاولين بذلك إقحامه مع الأطروحات الفكرية المعاصرة، فقد أفرزت المعرفة نظريات ومفاهيم لغوية متباينة في الأسس المعرفية انبثقت عنها تيارات لسانية جديدة منها التيار التداولي الذي أصبح بؤرة الدراسات فيما يتعلق بمفهومه، وعلاقته بعلم اللسان، وأهم القضايا المعرفية والمنهجية واللغوية التي طرحها في مجال البحث حديثا وكذا موقع هذه الرؤية التداولية من أن اللغة ظاهرة اجتماعية ـ وسيلة التواصل البشري ـ ومدى تطورها قديما وحديثا .

ويظهر أن اهتمام الدراسات المعاصرة باللغة ليس من خلال قواعدها التي تسير وِفقها وإنما في طريقة استعمالها وربطها بلحظة الإنجاز، وهو ما مكن تيار التداولية من عقد أواصر الالتقاء والتلاحم مع حقول معرفية مختلفة ، نظرا لأهمية السياق في فهم الخطابات وتأويلها .

هذا ويقع موضوع "المعنى" موقعا متميزا من هذا المذهب اللساني الجديد في تصور المعاصرين، وتشكل جزءا أساسيا من بنيته النظرية، بتصريح العلماء الغربيين المؤسسين للتداولية أنفسهم، وقد أضحى نواة مركزية لكثير من البحوث التداولية؛ فإن البحث في هذا الموضوع هو البحث في جانب هام من جوانب التداولية اللغوية .

وربما أمكننا هذا الجهد من محاولة ربط المفهوم التداولي باللغة العربية والذي سيسهم في وصفها ورصد خصائصها، وتفسير ظواهرها الخطابية التواصلية، كما أن استثماره في قراءة الموروث العربي القديم سيسهم في اكتشاف وتثمين جانب من الجهود الجبارة التي بذلها أولئك العلماء الأجلاء؛ فمن خلال تناول موضوع "المعنى في البلاغة العربية من منظور اللسانيات التداولية في دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني"،يمكننا إحداث نقلة في مسار الدراسات التي أنجزت عند عبد القاهر الجرجاني وكتاباته.

وبناء على هذا حاولنا حصر بعض قضايا التداولية المتعلقة بالمعنى في كتاب دلائل الإعجاز من خلال الإجابة على مجموعة من الإشكالات منها:

_ ما هو مفهوم المعنى في الدراسات اللغوية الغربية وما هو مفهومه في الدراسات التراثية؟ وهل اختلف مفهومه في الدراسات اللغوية الحديثة عنه في التراث العربي؟ وماهي العلاقة بين البلاغة القديمة والتداولية الحديثة؟ وهل يمكن أن تكون البلاغة القديمة تداولية في صميمها؟ .

_ وهل ناقش عبد القاهر الجرجاني إشكالية المعنى؟ وهل انتصر عبد القاهر الجرجاني للمعنى فقط؟ وهل يمكن استشفاف ملامح تداولية في مناقشاته لقضية المعنى؟.

وللإجابة على هذه الأسئلة وأخرى اخترنا العنوان السابق الذكر، ومن آفاق البحث فيه وفرضياته:

_ الكشف عن أهم القضايا اللغوية التي لها صلة بالمعنى.

_ إبراز دور العلماء العرب القدامى في تقديم نظريات تكون محل انطلاق المحدثين العرب والغرب.

_ إبراز قيمة التراث العربي الإسلامي، وبيان شمولية واتساع الفكر العربي.

_ التوصل إلى بعض القضايا التداولية الحديثة التي لها علاقة بالدراسات البلاغية القديمة.

ويعد الوقوف على دراسة المعنى بين الموروث البلاغي والدراسات التداولية الحديثة عند عبد القاهر الجرجاني الهدف الرئيس من هذا البحث.

أما عن أسباب اختياري لهذا الموضوع فيمكن حصرها فيما يلي:

_ الرغبة في معرفة "عبد القاهر الجرجاني" وتسليط الضوء على فكره البلاغي والنحوي والتداولي، من خلال كتابه دلائل الإعجاز.

_ محاولة جعل موضوع الدراسة وما فيه من قيمة علمية ملاذا للباحث للكشف عن مادته، ومكوناته.

_ افتقار المكتبة العربية لهذا النوع من الدراسات، نظرا لما له من أبحاث علمية وتراثية.

ولم نظفر حسب اطلاعنا. على دراسات جادة كاملة عن التداولية في كتاب "دلائل الإعجاز".وكل ما كُتب في هذا الموضوع كان مجرد شذرات في طيات الكتب التي تناولت التداولية الحديثة في إطار ربطها بالتراث، فنذكر على سبيل المثال لا الحصر:

_ عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز .

_ مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب .

_ تمام حسان، اللغة العربية معناها و مبناها .

وقد اتبع هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي، أمكننا من خلاله الإجابة عما طُرح من إشكالات، ويوضح مدى ظهور البعد التداولي عند عبد القاهر الجرجاني.

وأما عن الفصول التي ارتكز عليها البحث فقد اشتملت على المقدمة، مدخل وأربع فصول، وخاتمة:

حيث تناولنا في المدخل ماهية اللغة والكلام، والعلاقة بينهما، والفرق بينهما. كما تناولنا مفهوم المعنى والبلاغة، وأوجه الحاجة إلى دراسة البلاغة وتعريف التداولية وما هي مهام التداولية.

وأما الفصل الأول المعنون "المعنى دراسة و تحليل" فتناولنا فيه: مؤشرات المعنى ودراسة المعنى والسياق، وكذا الجملة والمعنى، كما تطرق البحث إلى المعنى بين الدراسات التراثية والدراسات اللغوية الحديثة، وخُتم الفصل بأهمية دراسة المعنى.

وأما الفصل الثاني، فكان حول: "البلاغة مفاهيم و تحديدات"، وقد أشرنا من خلاله إلى مؤشرات البلاغة وأصولها، ونشأة البلاغة العربية، واهتمام البلاغة باللفظ والمعنى وموضوعات البلاغة ووظيفة البلاغة وأهمية دراستها ومقاييس البلاغة في صياغة المعاني وأبواب البلاغة.

وأما الفصل الثالث المعنون "بالتداولية " فتناول علاقة البلاغة بالتداولية وأهم ما انفردت به التداولية عن غيرها من اتجاهات البحث اللغوي، وكذا فروع التداولية ومهامها، كما حاولنا إبراز أبرز أنشطة التداولية، والمنهج التداولي وأهم المفاهيم الأساسية في التداولية كما حاول البحث التلميح إلى التفكير التداولي في التراث العربي بالإشارة إلى التداولية الغربية وما جاءت به.

أما الفصل الرابع " الفصل التطبيقي" فكان: محاولة البحث عن المعنى في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني وبعض المظاهر البلاغية، وقد اشتمل هذا الفصل على: أسس نظرية النظم، وأهمية نظرية النظم، وكذا معالم نظرية النظم، كما اشتمل هذا الفصل أيضا على أن النظم هو توخي معاني النحو، وقد حاولنا فيه الإشارة إلى ظاهرة الاستلزام الحواري" ألتخاطبي " وكذا ظاهرة الملاءمة عند عبد القاهر الجرجاني في دلائله .

ثم ألحقناها بخاتمة والتي كانت عُصارة البحث وانطوت تحتها جملة من النتائج التي اتضحت لنا أثناء الدراسة والتحليل.

ثم نجد قائمة المصادر والمراجع وفق الترتيب الأبجدي وبعدها ملخصان.

وبما أنه لا يخلو بحث من صعوبات، فإن أهم الصعوبات التي واجهتنا، هي صعوبة منهج عبد القاهر في كتابه، لتشعب القضايا الواردة فيه، مما صعب علينا استنتاج بعض القضايا التداولية الواردة فيه، ونجد أيضا:

_ قلة البحوث القائمة في هذا الباب، وإن وُجدت كانت مجرد شروح ونقاط وقد لا تخدم البحث أصلا.

_ ضيق الوقت الممنوح من أجل البحث في الدراسة المقترحة .

ولا يسعني في الأخير إلا أن أتقدم بجزيل الشكر و الامتنان لأستاذتي المشرفة "دلال وشن" التي أمدتنا بيد العون بتوجيهاتها السديدة و أفكارها الصائبة التي عساها تنور درب هذا البحث، فجزاها الله كل الخير.

وأخيرا لا نزعم بأننا قد بلغنا الكمال في هذه لدراسة، وأننا أتينا بما لم يأت به الأوائل وإن كان لنا فضل فيعود إلى منهجنا في الدراسة، وقد بذلنا جهدا في هذا المضمار من أجل أن ننهي هذا البحث في أوانه، فإن أصبنا فلله الحمد بدءا وختاما على توفيقه لنا وإن أخفقنا فحسبنا أن ننال أجر الاجتهاد وشكرا.

مدخل

مفاهيم أساسية

1- اللغة

2- الكلام

3- علاقة اللغة بالكلام

3- المعنى والبلاغة

4- التداولية

إذا كان الكلام لا يدرس منفصلا عن اللغة إلا عند اعتباره عملا صوتيا بحتا مقطوع الصلة بالمعنى فإن الدراسة اللغوية للكلام تجعله على صلة باللغة ولا بد أن يكون كذلك من حيث قصد به أن يدل على معنى.

كما أن الدراسات اللغوية الحديثة تولي اهتماما خاصا بدراسة المعنى و تقويه ويدعمه وأن المعنى في نظر هذه الدراسات صدى من أصداء الاعتراف باللغة كظاهرة اجتماعية ونتيجة لتشابك العوامل المختلفة في إطار سياق الثقافة الشعبية من عادات وتقاليد؛ وقد تعددت وجهة النظر إلى المعنى من حيث هو معنى كلمة واحدة مفردة أو معنى قضية أو نتيجة منطقية تؤخذ من مقدمات بين الدراسات القديمة و الحديثة [1].

1) ينظر، تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، د ط، 1994م ص ص 27، 33.

1- اللـغة:

حاول الإنسان منذ أقدم العصور أن يتصل بمن حوله من أبناء جنسه واتخذ وسائل عديدة لتحقيق ذلك،ولعل أهم تلك الوسائل اللغة،هذه الوسيلة التي نستخدمها في حياتنا اليومية للاتصال بأفراد مجتمعنا، ولا نكاد نشعر بصعوبة في استخدامها،غير أننا قد نحار إلى حد ما في إدراك كنهها ومعرفة طبيعتها ووظيفتها وطرائق تحليلها، وأول ما يلفت الانتباه في هذا الشأن صعوبة تحديدها أهي مقصورة على ما يتجسد في تلك الأحاديث المتبادلة بيننا،كتابة ومشافهة أم أنها تشمل أنواعا كتلك التي نسميها في تعبيراتنا لغات مثل ما يعرف بلغة العيون ولغة الحيوانات كالنمل والنحل، ولغة الصم والبكم، ولغة الرسم والتصوير والنحت ولغة الخيالة، ولغة الإشارات؟.

1-1- مفهوم اللغة:

أ- **لغة:**(لغا) في القول لغوا: أخطأ وقال باطلا، ويقال لغا فلان لغوا: تكلم باللغو ولغا بكذا: تكلم به، ولغا عن الصواب، وعن الطريق: مال عنه ولغا الشيء: بطل.

(لغي) في القول لغي لغا: لغا، ولغي بالأمر: أولع به، ولغي بالشيء: لزمه فلم يفارقه ولغي بالماء والشراب: أكثر منه وهو مع ذلك لا يروى، ولغي الطائر بصوته:نَغَمَ [1].

ب- اصطلاحا: حد اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم [2]، كما عرفها ابن جني أما علماء الاجتماع فقد نظروا إلى وظيفتها في المجتمع فعرفها العالم الأمريكي(إدخار

1) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط 4، 2004 م، ص 831.

2) أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، ج 1، ط1 1957م، ص 33.

ستريتفنت) بأنها: "نظام من رموز ملفوظة عرفية بوساطتها يتعاون ويتعامل أعضاء المجموعة الاجتماعية المعنية"[1].

ويعرفها إدوارد سابير(Edward sapir) يقول: "اللغة منهج (method) بشرى صرف غير غريزي لإبلاغ (communicating) الأفكار (ideas) والعواطف(emotions) والرغبات والعواطف(emotions) والرغبات(desires) بواسطتها نظام من الرموز (symboles) المحدثة اختيارا " [2] .

وفريق آخر وهم علماء الفلسفة والمنطق نظروا إليها باعتبار وظائفه. يقول الأستاذ جنوفز: للغة ثلاث وظائف [3]:

1- كونها وسيلة للتوصيل.
2- كونها مساعدا آليا للتفكير.
3- كونها أداة للتسجيل والرجوع.

حيث نظروا إليها من جانبها التواصلي، والتفكيري، وكذا جانبها الاسترجاعي؛ أي استرجاع الأفكار.

1) إبراهيم نجا، اللهجات العربية، مطبعة السعادة، مصر، ص5 ،6.

2) محمد محمد يونس علي، المعنى وظلال المعنى، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 2، 2007 م، ص 28.

3) محمد رياض كريم، المقتضب في لهجات العرب، التركي للكمبيوتر، وطباعة الأوفيست طنطا، د ط، 1996 م ص52.

1-2 - أنظمة اللغة :

1 -2-1-الجهاز الصوتي: أو النظام الصوتي الذي يدرس الصوت أو علم الصوتيات (phonology) مستخدما عناصر عدة [1] .

أ- معطيات علم الأصوات(phonetics)، وهي أوصاف للحركات العضوية التي يقوم بها الجهاز النطقي أثناء النطق، وكذلك الآثار السمعية المصاحبة لهذه الحركات.

ب- طائفة من العلاقات العضوية الإيجابية وطائفة أخرى من المقابلات * للتفريق بين أي صوت وصوت آخر، ولو من جهة واحدة على الأقل، وقد تكون من أكثر من جهة وذلك كالعلاقة بين الباء والميم إذ تشتركان بالعلاقة العضوية في المخرج الشفوي والجهر وتفارق إحداهما الأخرى بالقيمة الخلافية، إذ تكون بينهما مقابلة * من حيث الأنفية وعدمها والشدة وعدمها.

1-2-2- النظام الصرفي:مكون من ثلاث دعائم هامة: [2]

أ- مجموعة من "المعاني" الصرفية التي درج بعضها إلى " التقسيم " كالاسمية والفعلية والحرفية، ويرجع بعضها الآخر إلى التصريف كالإفراد وفروعه والتكلم وفروعه وكالتذكير والتأنيث والتعريف والتنكير، ويرجع بعضها الثالث إلى مقولات الصياغة الصرفية كالطلب والضرورة والمطاوعة والألوان والأدواء والحركة والاضطراب أو إلى العلاقات النحوية كالتعدية والتأكيد.

---

1) تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، د ط، 1994 م ص35.

* المقابلات: القيم الأخلاقية.

* المقابلة: الخلاف.

2) تمام حسان، المرجع نفسه، ص 35، 36.

ب- طائفة من "المباني" (morphemes) تتمثل في الصيغ الصرفية وفي اللواصق والزوائد والأدوات فتدل هذه المباني على تلك المعاني أحيانا بوجودها إيجابا وأحيانا بعدمها سلبا ، وهو ما يسمونه (zero morpheme)، ويسميه النحاة "الدلالة العدمية" وهي نفسها دلالة الحذف والاستتار والتقدير والمحل الإعرابي عندهم .

جـ- طائفة من العلاقات العضوية الإيجابية وأخرى من المقابلات أوالقيم الخلافية بين المعنى والمعنى وبين المعنى والمبنى كالعلاقة بين "ضرب" و" شهم" من حيث تشابهها في الصيغة، فهي "فعل" فيهما، وكالمقابلة التي تتمثل في القيمة الخلافية بين أحدهما والآخر من جهة المعنى فأولهما "مصدر" وثانيهما"صفة مشبهة"...

1-2-3- النظام النحوي : يتكون مما يأتي[1]:

أ- طائفة من المعاني النحوية العامة كالخبر والإنشاء والإثبات والنفي والتأكيد وكالطلب وفيه الأمر والنهي والاستفهام والدعاء والتمني والترجي والعرض والتحضيض وكالشرط والقسم والتعجب والمدح والذم... إلخ

ب- مجموعة من المعاني النحوية الخاصة أو معاني الأبواب المفردة كالفاعلية والمفعولية والحالية...

جـ- مجموعة من العلاقات التي تربط بين المعاني الخاصة وتكون قرائن معنوية عليها حتى تكون صالحة عند تركيبها لبيان المراد منها، وذلك كعلاقة الإسناد والتخصيص والتبعية .

د- العنصر الرابع من عناصر النظام النحوي هو ما يقدمه علماء الصرف والصوتيات لعلم النحو من المباني الصالحة للتعبير عن معاني الأبواب، وتلك الصالحة للتعبير عن

1) تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 36، 37 .

العلاقات فليس للنحو من المباني إلا ما يقدمه له الصرف ومن هنا ندرك مدى الترابط بين العلمين حتى ليصبح التفريق بينهما صناعيا لا تبرزه إلا الرغبة في التحليل.

هـ- وأخيرا تأتي القيم الأخلاقية أو المقابلات بين أحد أفراد كل عنصر مما سبق وبين بقية أفراده، كأن نرى الخبر في مقابل الإنشاء أو الشرط الإمكاني في مقابل الشرط الإمتناعي، أو المدح في مقابل الذم أو المتقدم رتبة في مقابل المتأخر، وهلم جرا .

2- الكلام:

2-1- مفهوم الكلام:

أ- لغة: كلمة : كلما جرحه، فهو مكلوم، وكليم جمع الأخيرة كلمى، كلمه تكليما وجه الحديث إليه، وكلمه مبالغة في كلم.

- وتكالما المتقاطعان: تحادثا بعد تهاجر، وتكلم: نطق بكلام، ويقال تكلم كلاما حسنا وبكلام حسن.

- والتكلام والتكلامة: الجيد الكلام الكثير.

والكلام في أصل اللغة: الأصوات المفيدة، والكلام عند المتكلمين المعنى القائم بالنفس الذي يعبر عنه بألفاظ، يقال: في نفسي كلام [1].

ب- اصطلاحا : الكلام أي المصطلح عليه في عرف النحاة، فأل فيه للعهد، هي عوض عن مضاف إليه محذوف تقديره: كلام النحويين، كما قال ابن مالك رحمه الله في الخلاصة الألفية: "كلامنا لفظ مفيد كاستقم"، وقال العمريطي رحمه الله: كلامهم لفظ مفيد مسند، أي الكلام يطلق في اللغة على الكلام النفسي الخالي من الحرف والصوت، كقول الأخطل:

1) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص 796.

إن الكلام لفي الفؤاد و إنما جُعل اللسان على الفؤاد دليلا [1] .

وهو الجملة المركبة المفيدة، نحو: جاء الشتاء، أو شبهها مما يكتفي بنفسه نحو: يا علي[2].

فالكلام هو اللفظ المركب المفيد بالوضع[3].

2-2- علاقة اللغة بالكلام:

يقتضي السياق الإشارة إلى علاقة اللغة بالكلام؛ فإذا كان الكلام لا يدرس منفصلا عن اللغة إلا باعتبارها عملا صوتيا بحتا مقطوع الصلة بالمعنى، كما يحدث عند فحص المرضى بالحصر والعيوب النطقية والنفسية الأخرى، واختبار أصوات المغنين والمذيعين وقبولها في الإذاعة فإن الدراسة اللغوية للكلام تجعله – حتى على هذا المستوى الصوتي – على صلة باللغة ولا بد أن يكون كذلك من حيث قصد به أن يدل على معنى، ودراسة أصوات الكلام"المفيد الدال على معنى"إذا اقتصرت على ملاحظة الخارج والصفات وتسجيلها فحسب فهي مقدمة لدراسة اللغة ولكنها ليست من صلب دراسة اللغة أو بعبارة أخرى هي دراسة للكلام وليست دراسة للغة، ذلك أن هذه الملاحظات والتسجيلات لا تتصل باللغة إلا حين يتم تنظيمها والربط بينها في نظام صوتي كامل تعرف فيه علاقات المخارج وعلاقات الصفات إيجابا وسلبا، وتعرف فيه الظواهر الموقعية التي يتطلبها ورود هذه الأصوات المدروسة في السياق[4].

فالبين هنا أن المعنى يربط بين اللغة والكلام من حيث الاستعمال والدراسة وغيرها.

---

1) محمد بن أحمد بن عبد الباري الأهدل، الكواكب الدرية على متممة الأجرومية، مؤسسة الكتب الثقافية، ط 1 1990م ص 26.

2) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص 796.

3) محمد بن محمد بن داود الصنهاجي، متن الأجرومية، دار الآثار للنشر والتوزيع، ط 1، 2002 م، ص 43.

4) تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 33.

2-4- الفرق بين اللغة و الكلام:

بالنظر إلى العلاقة التي تربط اللغة بالفكر توجب علينا أن نذكر الفرق بين اللغة والكلام فإذا أردنا أن نفرق بينهما من حيث طابع عمل المتكلم وطابع عمل اللغوي، يمكن أن نوردها في :

أن عملية الكلام تتم نتيجة وجود مؤثرات خارجية أو داخلية مرئية أو مسموعة يستجيب لها الجهاز العصبي للمتكلم فيصدر أوامره إلى أعضاء النطق... أما علم اللغة فهو يبحث تلك الرموز الصوتية التي َقلت الفكرة من المتحدث إلى المتلقي ويبحث أيضا كيفية تكوين هذه الرموز الصوتية للكلمات في تلك اللغة، وكيفية تكوين الكلمات للجمل ويربط البحث اللغوي كل هذا بالمعنى الذي تحمله هذه الرموز [1].

وقد ميز دي سوسير"Saussure" بين ثلاث مصطلحات أساسية في نظرية اللغة وهي مصطلحات Langue ويعني اللغة الواحدة مثل اللغة العربية أم اللغة الفرنسية أو اللغة الإنجليزية إلى آخره، و (Parole) وتعني الكلام أو الاستخدام الفردي للغة الواحدة عند الفرد و(Langage) القدرة اللغوية عند الإنسان بصفة عامة[2].

إن الفرد الواحد يشارك في عملية الكلام في مواقف الحياة، وباختلاف المواقف الكلامية التي يعيشها الفرد تختلف مشاركته في استخدام اللغة، وهنا يجد الباحث من

1) محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، د ط، د ت ص11، 12 .

2) المرجع نفسه، ص 12.

الضروري أن يميز بين اللغة بوصفها ظاهرة اجتماعية، والاستخدام الفردي لها باعتباره يختلف باختلاف الأفراد وباختلاف المواقف الكلامية التي يستخدمون فيها اللغة[1].

فالمتكلم يشغل نفسه بواسطتها والباحث يشغل نفسه بها، ويحسن المتكلم إذا أحسن القياس على معاييرها ويحسن الباحث إذا أحسن وصف نماذجها.

أما بالنظر إلى طبيعة كل منهما وتكوينه، فالكلام عمل واللغة حدود هذا العمل والكلام سلوك واللغة معايير هذا السلوك، والكلام نشاط واللغة قواعد هذا النشاط والكلام حركة واللغة نظام هذه الحركة، والكلام يحسن بالسمع نطقا والبصر كتابة، واللغة تفهم بالتأمل في الكلام؛ فالذي نقوله أو نكتبه كلام والذي نقول بحسبه ونكتب بحسبه هو اللغة فالكلام هو المنطوق وهو المكتوب واللغة هي الموصوفة في كتب القواعد وفقه اللغة والمعجم ونحوها والكلام يكون عملا فرديا ولكن اللغة لا تكون إلا اجتماعية[2].

فاللفظ هو مجموعة من الأصوات المترابطة فيما بينها والمتلائمة والمعنى هو المدلول الذي يشير إلى ذلك اللفظ.

لكن بالرغم من ذكر هذه فروق إلا أنها ساهمت بشكل كبير في ربط اللغة بالكلام لتشكل كلا متكاملا في عملية التواصل الاجتماعي.

1) محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، ص 12.

2) تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 32.

3-المعنى والبلاغة:

3-1- تعريف المعنى:

قلنا أن وضع تعريف جامع مانع للمعنى يتفق عليه اللغويون والمدارس اللغوية الحديثة من الأمور الصعبة التي لم تتحقق حتى الآن فقد قال "أولمان" في كتابه (senanties): "كتب في السنوات الأخيرة الكثير في تعريف معنى الكلمة، لكننا لم نقترب حتى الآن من جواب محدد وفي الحقيقة لا يوجد هناك جواب واحد محدد عن مثل هذا السؤال" [1].

وهذا لا يجعل دراسة المعنى مقتصرة على المحدثين فقط، بل كانت بادئ الأمر عند القدماء وبشكل متسع فيه.

فهذا الجاحظ قد أعطى للمعنى جانبا كبيرا حيث يقول: "ما في اللفظ لو لا المعنى؟ وهل الكلام إلا بمعناه" [2] .

وقد ذهب الجاحظ أيضا إلى أن جعل العلم بالمعنى مشتركا،وسوى فيه بين الخاصة والعامة فقال: "ورأيت ناسا يبهرجون أشعار المولدين ويستسقطون من رَواها ولم أر ذلك قط إلا في راوية غير بصير بجوهر ما يروي، ولو كان له بصر لعرف موضع الجيد ممن كان، وفي أي زمان كان" [3].

ويقول الجاحظ أيضا: " وذهب الشيخ إلى استحسان المعاني، والمعاني مطروحة في

1) علي زوين، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ط1 1986م، ص 172.

2) أبو عثمان بن عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى بابي الجلبي وأولاده، مصر، ج3، ط2، 1966م، ص 130.

3) المرجع نفسه، ص 131.

الطريق يعرفها العجمي والعربي، والقروي والبدوي وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخيير اللفظ وسهولة المخرج، وصحة الطبع، وكثرة الماء وجودة السبك، وإنما الشعر صياغة وضرب في التصوير"[1].

فقد تراه كيف اسقط أمر المعاني، أبى أن يجب لها فضل، فقال: "وهي مطروحة في الطريق"، فأعلمنا أن فضل الشعر بلفظه لا بمعناه، وأنه إذا عدم الحسن في لفظه ونظمه لم يستحق هذا الاسم بالحقيقة.

ونجد أن عبد القاهر الجرجاني* قد أشار إلى المعنى، بل أسرف فيه من خلال نظريته الموسومة "نظرية النظم"، حتى يمكن القول أنها أصل علم المعاني والتي يقصد بها تعليق الكلام بعضه ببعض، ويقول: " إنه توخي معاني النحو" [2].

والنظم لابد له من أمرين اثنين، المعنى الذي نريد التحدث عنه، ثم اللفظ الذي نعبر به عن هذا المعنى، فإذا اختلف المعنى الذي نريد التعبير عنه، فلا بد أن يختلف اللفظ

---

1) الجاحظ، الحيوان، ص 132.

* أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار، وُلِدَ وتوفي في جرجان الواقعة في شمالي إيران بين طبرستان وخُوسان، قرب بحر الخرز وهذا سبب نسبه إلى جرجان، فقيل *"الجرجاني"* تتلمذ على أبي الحسين بن عبد الوارث، ابن أخت أبي علي الفارسي، وكان يحكي عنه كثيرًا، لأنه لم يلق شيخًا مشهورًا في العربية غيره لعدم خروجه من جرجان في طلب العلم ويُعد عبد القاهر واحدًا من الذين تفخر بهم الحضارة الإسلامية في مجال الدرس اللغوي والبلاغي، إذ تقف مؤلفاته شامخة حتى اليوم أمام أحدث الدراسات اللغوية ويُعد كتابه دلائل الإعجاز قمة تلك المؤلفات ؛ حيث توصل فيه إلى نظريته الشهيرة التي عُرفت باسم نظرية التعليق أو نظرية النظم، التي سبق بها عصره ومازالت تبهر الباحثين المعاصرين، وتقف نداً قوياً لنظريات اللغويين الغربيين في العصر الحديث.

2) عبد القاهر الجرجني، دلائل الإعجاز، قراءة وتعليق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط5 2004 م، ص 415 .

حتى إذا كانت مادته واحدة فهناك إذا الصورة، والمعنى الذي نعبر عنه بهده الصورة[1]. لأن الأصل في الكلام أن يؤتى به مساويا للمعنى الذي يدل عليه ، دون أن تكون ألفاظه زائدة و لا ناقصة.

أما القدرة على المطابقة التامة بين الجمل المنطوقة و المعاني المرادة منها فهي من القدرات النادرة في المتكلمين من الناس [2] .

3-2- مفهوم البلاغة:

أ_ لغة:

تعني الوصول والانتهاء، يقال بلغ الشخص بلاغة، إذا وصل بكلامه إلى ما يريده له من إمتاع أو إقناع [3].

ب_ اصطلاحا:

"تأدية المعنى الجليل واضحا بعبارة صحيحة فصيحة، لها في النفس أثر خلاب مع ملاءمة الكلام للموطن الذي يُقال فيه، والأشخاص الذين يخاطبون"[4].

ويقول القزويني في تعريفها:" البلاغة في الكلام لمطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته... فالبلاغة راجعة إلى اللفظ باعتبار المعنى بالتركيب"[5].

كما أنها في الاصطلاح البلاغي تختلف باختلاف موصوفها، وموصوفها إما الكلام وإما المتكلم، يقال هذا كلام بليغ،وهذا متكلم بليغ، ولا توصف بها الكلمة، فلا يقال هذه كلمة

1) فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الأردن، ط 4، 1997م، ص 85، 86.

2) عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، دار القلم، دمشق، ج2، ط1، 1996م ص 16.

3) عبده عبد العزيز قلقيلة، البلاغة الاصطلاحية، دار الفكر الغربي، القاهرة، مصر، ط 3، 1992 م، ص 30.

4) علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، البيان المعاني البديع، دار المعارف، د ط، د ت، ص 8.

5) فضل حسن عباس، المرجع السابق، ص 57.

بليغة، لأن الكلمة المفردة لا تكون معنى كاملا يمكن تبليغه فلا توصف بالبلاغة [1].

3-3- أوجه الحاجة إلى دراسة البلاغة:

لأن البلاغة علم وفن، نظرية وتطبيق، تقنية بلاغية وكلام بليغ، كان لها من الفضل ما يقودنا إلى دراستها، خاصة إذا علمت أنه بعدما تكون البلاغة غاية تأتي البلاغة وسيلة لذلك فأوجه الحاجة إلى دراستها هي:

1- أن الناظر في هذه العلوم والمحصل لملكتها، يعرف إعجاز القرآن الكريم معرفة يقينية فيكون مؤمنا عن بينه.

2- أن المتمكن من أصولها وأحكامها يلمس بنفسه دقائق العربية وأسرارهاويدرك مراتب الكمال ومزايا صوره شعرا ونثرا، وبعبارة أخرى يصير ناقدا واعيا.

3- أن الدارس لها الخبير بضوابطها وقوانينها إذا أراد أن يقول شعرا أو نثرا في أي غرض يستطيع أن يجد من أمره رشدا فيصيب الهدف ويدرك القصد، ويأتي بما يطابق الحال من الألفاظ والتراكيب ويهتدي إلى المستجاد من الكلام، والمختار من القول لأن معه مصباحه الذي يستضيئ به، ويسير على هديه، وبعبارة أخرى يصير أديبا مبدعا[2].

فالبلاغة درس قديم ومجال مفتوح وواسع في العصر الحديث.

4- التداولية :

تعد اللسانيات التداولية (linguistique pragmatique) من أحدث الاتجاهات اللغوية الحديثة التي ظهرت وازدهرت في ساحة الدرس اللساني الحديث والمعاصر، فهي تعني في سبيل دراستها للغة بأقطاب العملية التواصلية فتهتم بالمتعلم ومقاصده، بعده محركا لعملية التواصل، وتراعي حال السامع أثناء الخطاب، كما تهتم بالظروف والأحوال الخارجية

1) عبده عبد العزيز قلقلية، البلاغة الاصطلاحية، ص 30.

2) المرجع نفسه، ص 20.

المحيطة بالعملية التواصلية ضمانا لتحقيق التواصل من جهة، لتستغلها في الوصول إلى غرض المتكلم وقصد من كلامه من جهة أخرى .

فالتداولية إذن علم تواصلي جديد، يعالج كثيرا من ظواهر اللغة ويفسرها ويساهم في حل مشاكل التواصل ومعوقاته، وما ساعدها في ذلك أنها مجال رحب يستمد معارفه من مشارب مختلفة، فنجده يأخذ من علم الاجتماع وعلم النفس المعرفي واللسانيات وعلم الاتصال والأنتروبولوجيا والفلسفة التحليلية[1].

4-1 تعريف التداولية:

يعد تقديم تعريف للتداولية أمرا من الصعوبة بمكان ذلك أنها مبحث لساني ونظرية لم يكتمل بناؤها بعد، هذا من جهة من جهة نجدها متعلقة بكثير من العلوم مما جعل كل باحث ينطلق في تعريفها من مجال تخصصه، ولذلك سنكتفي بإيراد أهم ما جاء في تعريفها.

أ- لغة:

ب- يرجع مصطلح التداولية في أصله العربي إلى الجذر اللغوي / د.و.ل/،جاء في أساس البلاغة" دول: دالت له الدولة، ودالت له الأيام، بكذا وأدال الله بني فلان من عدوهم جعل الكثرة لهم عليه، أديل المؤمنون على المشركين يوم بدر وأديل المشركون على المسلمين يوم أحد... والله يداول الأيام بين الناس مرة لهم ومرة عليهم... وتداولوا الشيء بينهم، والماشي يداول بين قدميه، يراوح بينهما"[2].

وجاء في لسان العرب: "تداولنا الأمر، أخذناه بالدول، وقالوا دواليك أي مداولة على

1) نعمان بوقرة، اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، عالم الكتب الحديثة، جدار للكتاب العالمي، الأردن، ط1 2009م، ص 160.

2) أبو القاسم جار الله محمود الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، منشورات دار الكتب العلمية بيروت، ج 1، ط 1، 1998 م، ص 303.

الأمر... دالت الأيام، أي دارت، والله يداولها بين الناس، وتداولته الأيدي أخذته هذه مرة وهذه مرة، وتداولنا العمل والأمر بيننا، بمعنى تعاوناه فعمل هذا مرة، وهذا مرة"[1].

فأغلب المعاجم العربية لا تخرج عن الجدر دول/د.و.ل/ على معاني التحول والتبدل والانتقال بجميع معانيه.

وأما مصطلح التداولية في أصله الأجنبي (pragmatique) فإنه يعود إلى الكلمة اللاتنية (pragmaticus) المبنية على الجذر(pragma)، ويعني العمل أو الفعل (action)[2].

وقد تقلب المصطلح على مدلولات عدة، لينتقل استعماله إلى الميدان العلمي بداية من القرن 17 م، وصار يدل على كل ما له علاقة بالفعل أو التحقق العملي، وبعبارة أخرى يدل على كل ماله تطبيقات ذات ثمار عملية أو يفضي إليها.

ب_ اصطلاحا:

يرجع الفضل في استحداث مصطلح التداولية إلى الفيلسوف تشارلز موريس سنة 1938م،حيث رأى بأن "التداولية جزء من السيميائية التي تعالج العلاقة بين العلامات ومستعملي هذه العلامات"[3].

فهو هنا يتجاوز اللسانيات ليشمل غيره من المجالات غير اللسانية الأخرى (المجال السينمائي).

ولصعوبة الوقوف على تعريف موحد للتداولية، فقد تعددت المفاهيم المقدمة اخترنا

1) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، المجلد 11، ط 3، 1994 م، ص 252، 253 .

2) نواري سعودي أبو زيد، في تداولية الخطاب الأدبي، المبادئ والإجراء، بيت الحكمة الجزائر، ط 1، 2009 م، ص18.

3) فرانسواز أرمينيكو، المقاربة التداولية، ترجمة، سعيد علوش، مركز الانتماء القومي، الرباط، المغرب، د ط، 1986م ص 12 .

تعريف فرانسيس جاك، إذ يقول: "تتطرق التداولية إلى اللغة كظاهرة خطابية وتواصلية واجتماعية معا" [1].

4-2- من مهام التداولية:

يرى فان دايك: أن من مهام التداولية دراسة شروط نجاح العبارات وصياغة شروط ملائمة الفعل لإنجاز العبارة، ومدى ملائمة كل ذلك لبنية الخطاب ونظامه يقول:"عن أحد مهام التداولية أن تتيح صياغة شروط إنجاح إنجاز العبارة، وبيان أي جهة يمكن بها أن يكون مثل هذا الإنجاز عنصرا في اتجاه مجرى الفعل المتداخل الإنجازي الذي يصبح بدوره مقبولا أو مرفوضا عند فاعل آخر، وبهذا الاعتبار فإن المهمة الثانية تقوم على صياغة مبادئ تتضمن اتجاهات مجاري فعل الكلام المتداخل الإنجاز الذي ينبغي أن يستوفي في إنجاز العبارة حتى تصبح ناجحة،وأخيرا أنه لما كانت معطيات التجربة متاحة بأوسع ما تكون في صورة العبارة فقط ، فيجب أن تكون من الواضح في التداولية كيف تترابط شروط نجاح العبارة كفعل إنجازي وكمبادئ فعل مشترك الإنجاز التواصلي مع بنية الخطاب وتأويله " [2].

فالتداولية اللسانية اتجاه جديد في دراسة اللغة يبحث عن حل لعديد المشاكل اللغوية التي أهملتها اللسانيات ولم تهتم بها نحو: الفونولوجيا، التركيب، الدلالة.

1) فرانسواز أرمينيكو، المقاربة التداولية، ص 12.

2) فان دايك، النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة، عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق المغرب، د ط، 2000 م، ص 250.

الفصل الأول

"المعنى دراسة وتحليل"

1- مؤشرات المعنى

2- المعنى والسياق

3- الجملة والمعنى

4- المعنى بين الدراسات التراثية والدراسات اللغوية الحديثة

5- أهمية دراسة المعنى

عادة ما يستعمل الإنسان في حياته اليومية تعبيرا عما في نفسه، لكنه قلما يتوقف لكي يسأل نفسه عن ماهية اللغة أو طبيعتها أو مكوناتها أو أسسها أو غير ذلك، ويعد موقف الإنسان في هذا الصدد شبيه بموقف من يستخدم الأعداد في الحياة اليومية في مثل البيع والشراء ولكنه لا يتوقف عند الأعداد نفسها لكي يسأل عن العدد ما هو؟ ما معناه؟ ما طبيعته؟غير ذلك.

لذلك جاءت دراستنا هذه مقتصرة على المعنى، والبحث في المعنى جزء من الدراسات اللغوية الحديثة، وقد توفرت بعض المناهج والمدارس على تشخيص المعنى باعتباره ركنا هاما من أركان التحليل اللغوي، وقد ظهر ما يسمى بعلم المعنى العام والذي يتناول نظرية المعنى من حيث الأصول دون تخصيصه بلغة معينة، وقد جاءت هذه الدراسات والنظريات متممة للدراسات القديمة.

وقد تعددت الدراسات في المعنى نظرا لأهميته، وقد ترجع أهمية موضوع المعنى وضرورة البحث فيه إلى أنه يشتمل على مجموعة من التساؤلات التي تكون لدى الدارس أو الباحث فيه (المعنى) فكرة واضحة عن المعنى، ومن أهم هذه الأسئلة: ما العلاقة بين اللفظ والمعنى؟ و كيف تتغير معاني الكلمات حين يتغير الاستعمال؟ هل لكل كلمة معنى واحد أم لها عدة معاني؟ وكيف ترتبط هذه المعاني المختلفة للكلمة الواحدة؟ وكيف نميز بين العبارات أو الجمل التي لها معنى من تلك التي لا معنى لها؟ وغير ذلك.

1- مؤشرات المعنى :

من خلال التعارف المقدمة في المدخل يتضح أن للمعنى مؤشرات عدة: [1]

الأول : يعني بمصير الشيء وحالته ومحنته، ولا علاقة لهذا بمعنى اللفظ أو القول أو الكلام إلا على جهة المجاز، يلاحظ أن معنى اللفظ هو حاله التي يصير إليها على سبيل التجوز وذلك إذا أريد من الحال ما يؤول إليه .

الثاني:أن المعنى بالبيان والإظهار والكشف والرجوع.

الثالث: يعني بدلالة اللفظ على المضمون والمحتوى وإظهار ما تضمنه اللفظ من مراد.

ومن الملحوظ أن المؤشر الثاني يلتقي مع المؤشر الثالث في مضمونه .

وعلى هذا فالمعاني تعنى بدلالة الألفاظ على مضامينها ومقاصدها، وما يظهر منها لغة عند التبادر في الإطلاق لدى العرف العربي العام، وهو أجنبي عن المصطلح الفني للمعنى يعرف بها حال للفظ العربي في مطابقته لمقتضى الحال لا في دلالته على معنى معين.

2- المعنى و السياق:

تعد نظرية السياق منهجا لدراسة المعنى لما تميزت به من اهتمام بالعناصر اللغوية والاجتماعية والسياق في مفهومه المعجمي هو:" المحيط بمعنى الوحدات التي تسبق والتي تلحق وحدة معينة"[2]؛ فمعنى وحدة معينة يتضح من خلال ما يسبقها أو يلحقها من وحدات السياق بهذا يمثل مجموع الأجزاء التي تحيط بالكلمة وتساهم في الكشف عنها.

---

1) محمد حسين علي الصغير، علم المعاني بين الأصل النحوي و الموروث البلاغي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد العراق، ط 1، 1989 م، ص 20 .

2) بشير إبرير، في تعليمية الخطاب العلمي، مجلة التواصل، جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، العدد 08، جوان 2001م، ص77.

أي إن السياق هو:" تجسيد لتلك التتابعات اللغوية في شكل الخطاب من وحدات صوتية صرفية ومعجمية وما بينهما من ترتيب وعلاقات تركيبية "[1]، وأكبر ما يساهم في تحديد معنى اللفظ موافقته لما يسبقه" فالكلمات التي تسبق لفظة ما وتليها تحدد طريقة تفسيرها"[2].

فالكلمة خارج سياقها لا معنى ولا قيمة لها، بل هي محتملة لمعاني متعددة، فلابد أن توضع الكلمة في سياقها لكي تكتسب معنى دقيقا.

والسياق يهتم بكل ما له صلة بالمتكلم والمتلقي والظروف المحيطة بهما أثناء قيامهما بعملية التواصل فهو:"مجموعة الظروف التي تجب حدوث فعل التلفظ بموقف الكلام"[3].

وتتضح ملامح السياق عند العرب من خلال ثلاث بيئات مهتمة بدراسة النصوص اللغوية وهذه البيئات هي: بيئة المفسرين، بيئة البلاغيين، وبيئة الأصوليين.

*** بيئة المفسرين:**

تجلت أهمية السياق عندهم في وصفهم لشروط يجب أن تتوفر في المفسر[4]، وهي أن يكون على قدر من المعرفة بمستويات التحليل (الصوتي، الصرفي،التركيبي، المعجمي)

1) عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب، الجديدة المتحدة، ط1 2004 م، ص40 .

2) ريتشارد، فلسفة البلاغة، ترجمة، ناصر حلاوي وسعيد الغانس، مجلة العرب والفكر العالمي، عدد1991 م، ص17.

3) oswalducrt jean mais cheffer,nouveau dictionnaire encyclopedique des science du langage , Edition de seuil ,1995 p 764. Edition de seuil ,1995 p 764.

4) أنظر، طاهر سليمان حمودة، دراسية المعنى عند الأصوليين، الدار الإسكندرية، مصر، د ط، د ت، ص222 . 223

وقد أولى المفسرون لهذه المعرفة اهتماما كبيرا فلا يستطيع مثلا من لا يعرف الكلام أن يفسر كلام الله عز وجل.

*** بيئة الأصوليين:**

تبرز أهمية دراسات الأصوليين من خلال مجموعة من القضايا من ضمنها نبههم إلى أن اللغة ظاهرة اجتماعية نشأت وتكونت من أحضان المجتمع لتلبية حاجات الإنسان وهي في تصورهم "ألفاظ بطريقتين إما الحصول على المعنى المطلق الذي لم يقيد بقيد خارجي عن طريق الألفاظ والعبارات المطلقة وهنا تظهر الدلالة الأصلية للفظ، وإما بالوصول إلى المعنى عن طريق الألفاظ والعبارات المقيدة وهنا تظهر الدلالة التابعة" [1].

والكشف عن اللفظ العام لا يكون إلا في الاستعمال، ولهذا فإن السياق وحده هو الكفيل بتعيينه، وتحديده يتم من خلال اللجوء إلى القرائن التي تحف الخطاب فيه بمثابة مرجع يعود إليه الأصوليون بدارستهم لدلالات صيغ الأمر المتعددة فدلالاتها متعددة بتعدد سياقاتها[2].

*** بيئة البلاغيين:**

وإذا عدنا إلى بيئة البلاغيين نجدهم تحدثوا عن السياق تحت اسم المقام وهو "مجموعة العناصر التي تتوافر في موقف تخاطبي معين وأهمها زمان التخاطب ومكانه

1) السيد أحمد عبد الغفار، التصور اللغوي عند الأصوليين، مكتبات عكاظ، ط 1، 1981 م، ص 112.

2) دليلة قسيمة، استراتيجيات الخطاب في الحديث النبوي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2011 م، 2012 م، ص 55.

وعلاقة المتكلم بالمخاطب و خاصة الوضع التخابري القائم بينهما: أي مجموعة المعارف التي تشكل مخزون كل منها أثناء عملية التخاطب " [1].

وربط البلاغيون المقام بالمقال فقالوا: " لكل مقام مقال وصورة المقال تختلف في نظر البلاغيين بحسب المقام"[2].

مصطلح المقام الذي أعطي له عند البلاغيين مصطلحي "مقتضى الحال"و"قرائن الأحوال " هذه الأخيرة تتضافر لإيضاح معنى النص "فالقرائن كلها مسؤولة عن أمن اللبس وعن وضوح المعنى ولا تستعمل واحدة منها بمفردها وإنما تجتمع القرائن متضافرة لتدل على المعنى وتنتجه"[3].

2_1- عناصر السياق:

حددها طه عبد الرحمن في ثلاث عناصر هي: [4]

أولا:النصر الذاتي: ويشمل معتقدات المتكلم، مقاصده، اهتماماته ورغباته.

ثانيا:العنصر الموضوعي: ويشتمل كل الوقائع الخارجية (الظروف الزمنية والمكانية).

ثالثا:العنصر الذواتي: ويشمل المعرفة المشتركة بين المخاطبين أو ما يسمى بالأرضية المشتركة وهي معرفة معقدة التركيب وبالنظر إلى العناصر المكونة للسياق يلاحظ أنها

1) أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، الأصول والامتداد، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط 1 2006 م، ص 172.

2) ينظر، تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص337.

3) المرجع نفسه، ص 232.

4) طه عبد الرحمان، البحث اللساني و السميائي، الدلاليات والتداوليات، كلية الآداب و العلوم الإنسانية بالرباط، جامعة محمد الخامس، المغرب، ط 1، 1995 م، ص 302.

تشتمل بالدرجة الأولى على طرفي الخطاب (المرسل والمرسل إليه) والمحيط الخارجي الذي يظم الزمان والمكان، والعنصر الأخير يظم كل ما يتعلق بالمعارف المشتركة بينهما.

2_2- أهمية السياق:

للسياق أهمية كبيرة في تحديد المعنى وتوجيهه، ومعظم الكلمات من حيث المفهوم المعجمي دالة على أكثر من معنى واحد، فالذي يحدد هذه المعاني ويفصل فيما بينها هو السياق في مورد النص لذلك نلاحظ أن اللغويين يصفون المعنى المعجمي للكلمة بأنه متعدد ويحتمل أكثر من معنى واحد، في حين يصفون المعنى السياقي لها بأنه واحد ولا يحتمل غير معنى واحد [1].

وللسياق أهمية أخرى تتمثل عند التحليل اللغوي عن طريق ما يعرف بـ" توزيع الحدود اللغوية ": فمعنى الكلمة من السهولة تبسيطه في حدود السياق الذي تحدث فيه [2].

3- الجملة والمعنى :

لا بد أن تفيد الجملة معنى ما، وإلا كانت عبثا، فلو رتبت كلمات ليس بينها ترابط يؤدي إلى إفادة معنى ما لم يكن ذلك كلاما، فلو قلت: "سوف محمد حضر" أو"سمع قام لم" أو "السماء يحضر محمد" لم يفد ذلك شيئا[3].

لذلك قال سيبويه: " ألا ترى أنك لو قلت (إن يضرب يأتينا) وأشباه هذا لم يكن كلاما"[4]. وقال: لأنك لو قلت: "ما زيد كريما ولا عاقلا أبوه" أصبت وكان كلاما... ولو

1) علي زوين، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، ص 185.

2)المرجع نفسه، ص185 ، 186 .

3) فاضل صالح السامرائي، الجملة العربية والمعنى، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط 1، 2000 م، ص 7.

4) أبو بشر بن عثمان بن قنبر سيبويه، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 3، 1988م ص 14 .

قلت: "ما زيد عاقلا عَمرو"لم يكن كلاما لأنه ليس من سببية؛ فلابد إّذن أن تؤدي الجملة معنى[1].

وهذا المعنى الذي تؤديه الجملة ينبغي أن يتصف بأمور ليصبح الكلام الذي تؤديه مقبولا منها:

1- أن لا يكون المعنى الذي يؤديه التعبير لا فائدة فيه لكونه معلوما مبتذلا لكل أحد كقولك: "الليل مظلم والنهار مضيء والنار حارة والثلج بارد"، فهذا مما لا فائدة فيه لكونه معلوما ضرورة[2].

2- أن لا يكون الكلام متناقضا نحو : لم يلد لأبي محمد ولد فهذا تناقض، فكيف يكون أبا لمحمد من لم يكن له ولد؟ هذا إذا لم يكن المقصود مجرد التكنية ونحو: ليس لأخي زيد أخ، فإنه لاشك أن زيدا أخ لأخيه، ولهذا منع النحاة نحو: ما قمت إلا قياما وما عاث إلا مفسدا، لتناقضه بالنفي والإثبات وذلك أنه أثبت مانفاه[3].

3- ألا يؤدي التعبير إلى المحال وذلك نحو قولك: "صلى جميع الخلق الجمعة الماضية في هذا المسجد"، فإن هذا محال إذا أُريَد به حقيقة التعبير. أما إذا أُريَد به المبالغة من إطلاق"جميع الخلق" على قسم ممن تصح منهم الصلاة جاز نحو قول أحد البله وقد دهسته سيارة، والله لو كنت مت لشكوت صاحبها إلى الحاكم فنحو ذلك لا يصح لأنه محال[4].

4- أن يفيد الجزء الثاني من الكلام مالا يفيده الجزء الأول؛ فإن لم يعط الجزء الثاني فائدة

1) سبويه، الكتاب، ج1، ص 61.

2) فاضل صالح السامرائي، الجملة العربية والمعنى، ص 7، 8.

3) المرجع نفسه، ص 8.

4) المرجع نفسه، ص 9.

غير ما أفاد الجزء الأول لم يصح الكلام، وذلك نحو قولك: أخو زيد ابن أبيه، وقائل الشعر ناظمه، وأبو زيد زوج أمه، فهو كأنك تقول: أبو زيد أبوه[1].

5- أن يكون التعبير صحيحا من الناحية اللغوية جاريا على سنن الكلام الفصيح فالمعنى ينبغي أن يؤدي بتعبير سليم، وليس لك أن تقول: المعنى مفهوما فلا عبرة باللفظ، بل لابد أن يتوصل إلى المعنى المطلوب بتعبير صحيح؛ فصيح فلا تقول: "أقبل خالدا"، ولا تقول: "سوف محمد يحضر أو قد أخوك حضر"و لا غير ذلك مما يخالف أصول اللغة وقواعدها[2].

وهذه الأمور بعض من كثي مما تتعلق بصحة التعبير والمعنى، ينطويان عليه من مداخل هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى نجد كثيرا من التعبيرات التي ذكرنا مما لا تصح لفساد المعنى وعدم صحته، قد تصلح بالتأويل والتقديم والتأخير والحمل على المجاز والمبالغة ونحوها مما يصرف الكلام عن ظاهره.

4- المعنى بين الدراسات التراثية والدراسات اللغوية الحديثة:

قلنا فيما سبق أن صعوبة تحديد مفهوم للمعنى يرجع إلى أنه موضوع تناولته مختلف التيارات الفكرية، فنجده عند المنطقيين* وعند الأصوليين وعند النقاد وعند البلاغيين وصولا إلى الدراسات اللغوية الحديثة.

4-1- المعنى عند الفلاسفة:

في دراستنا للمعنى عن الفلاسفة وجدنا أنه لا يوجد اتفاق أو شبه اتفاق بين الباحثين

1) فاضل صالح السامرائي، الجملة العربية والمعنى، ص 10.

2) المرجع نفسه، ص 11.

* المنطقيين: مصطلح ذكره علي زوين في كتابه البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديثة .

في المعنى وانقسموا إلى نظريات محددة ينادى بها المناطقة والفلاسفة لتحديد شروط المعنى الصحيح للكلمات والعبارات، فنجد عندهم ثلاث نظريات للمعنى هي:

أ- النظرية الإشارية في المعنى :(referential theory)

والتي تقول باختصار عن كل قضية مؤلفة من أسماء، وأن معنى الاسم هو مسماه ذاته عند بعض أصحاب هذه النظرية، أو معنى الاسم متميز من مسماه عند البعض الآخر وذلك تسمى أيضا النظرية الاسمية في المعنى (naming theory of meaning)[1].

ومن الملاحظ أن جمع رأيين مختلفين تحت نظرية واحدة أمر من الغرابة بكثير فمن المفترض فصلهما.

ب- النظرية الفكرية:(ideational theory)

وتقول هذه النظرية إن الكلمة تشير إلى فكرة في الذهن وأن هذه الفكرة هي معنى الكلمة ويعتبر جون لوك رائد هذه النظرية[2].

جـ- نظرية المنبه والاستجابة: (stimulus-resronse theory)

وتقول هذه النظرية باختبار أن معنى الجملة هو الموقف الذي ينطق فيه المتكلم جملة ما وتعقبه استجابة لدى السامع أو أن المعنى هو المنبه الذي يثير استجابة لفظية معنية ومن رواد هذه النظرية بلوم فيلد[3].

ونجد عند بعض فلاسفة اللغة تصنيفا آخرا لنظريات المعنى؛ إذ يصنفونها إلى خمس نظريات هي:

أ- نظرية أفلاطون التي تقول إن المعاني هي النماذج الخالدة أو المثل.

ب- نظرية لوك التي تقول إن المعاني هي الأفكار التي تدل عليها الكلمات.

1) محمود فهمي زيدان، في فلسفة اللغة، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د ط، 1985 م، ص 96 .

2) المرجع نفسه، ص نفسها.

3) المرجع نفسه، ص نفسها.

ج- النظرية القائلة إن المعاني هي الأشياء التي نجدها في العالم ذاتها، أو أن معنى الاسم هو مسماه.

د- نظرية فتجنشتاين القائلة إن معنى الكلمة هو مجموعة استخدامات الناس لها في اللغة العادية.

هـ- النظرية السلوكية التي تقول إن المعاني هي المنبهات التي تثير استجابات لفظية [1] .

ومن الملحوظ أنه توجد بعض نقاط التشابه بين التصنيفين السابقين، لكن التصنيف الثاني يوحي بأن إحصاء كل نظريات المعنى قد يستلزم الحديث عن نظرة كل فيلسوف إلى المعنى [2].

4-2- المعنى عند المنطقيين المسلمين:

للمعنى عند المنطقيين المسلمين دور كبير في تحديد مباحثهم و مقاصدهم كما جعلوا للدلالة* في مفهومهم جزء من المعنى أو هي توجيه له، لأن الشيء الذي هو مقصود المعنى له معياران في التعريف جواز الإخبار عنه و صحة الدلالة عليه.

وقد فصل الأحمد نكري بين الكلام والصورة الذهنية سواء وضع بإزائها لفظ أم لا قال: "المعنى هو الصورة الذهنية من حيث إنه وضع بإزائها اللفظ، وبدون هذه الحيثية لا تسمى معنى وقد يكتفي في إطلاق المعنى على الصورة الذهنية بمجرد صلاحيتها لأن تقصد

1) محمود فهمي زيدان ، في فلسفة اللغة ، ص 96 ، 97 .

2) المرجع نفسه ، ص 97 .

* هي عند الأحمد نكري: كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر ، و الشيء الأول هو الدال و الثاني هو المدلول .

باللفظ سواء وضع لها لفظ أم لا، وعلى الأول يتصف المعنى بالإفراد والتركيب بالفعل وعلى الثاني بالإمكان وصلاحيتها" [1].

وتتعلق عبارة الصورة الذهنية عند المنطقيين بمفهوم الدلالة لأنها تسمى مدلولا حيث يدل اللفظ عليها.

وعلاقة المنطق بالنطق في مفهوم المنطقيين المسلمين علاقة اشتقاقية لغوية ولذلك تتضح أهمية دراسة المعنى لديهم لما تدل عليه كلمة منطق على القول الملفوظ ومعاني المعوقات قال الفارابي في بيان ذلك: "... وأما عنوانه فبين أنه ينبئ عن جملة عرضه وذلك أنه مشتق من المنطق، وهذه اللفظة تقال عند القدماء على ثلاثة معان:

أحدها: القول الخارج بالصوت، وهو الذي به تكون عبارة اللسان عما في الضمير .

والثاني: القول المذكور في النفس، وهو المعقولات التي تدل عليها الألفاظ .

والثالث: القوة النفسانية المفطورة في الإنسان، التي بها يميز التمييز الخاص بالإنسان دون سواه من الحيوان، و هي التي بها يحصل الإنسان المعقولات والعلوم والصنائع وبها تكون الرؤية بها يميز بين الجميل والقبيح من الأفعال... " [2].

وقد جاءت عنايتهم بتقسيم اللفظ، حيث قسموه إلى: اسم وكلمة، ورباطات أو أدوات ولأهمية تحديد مفهوم الكلمة عند المنطقيين المسلمين في تحليل المعنى فنقف مثلا عند التقسيمات السابقة للخوارزمي؛ إذ يعرفها كما يلي[3]:

الاسم: كل لفظ مفرد يدل على معنى و لا يدل على زمانه المحدود، كزيد و خالد .

1) علي زوين، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديثة، ص108.

2) المرجع نفسه، ص 109.

3) المرجع نفسه، ص 110.

الكلمة:كل لفظ مفرد يدل على معنى ويدل على زمانه المحدود، مثل: مشى يمشي وسيمشي وهو ماش.

الرباطات: هي التي يسميها النحويون حروف المعاني، وبعضهم يسميها الأدوات .

والملاحظ هنا أن الخوارزمي جعل لكل من الكلمة والاسم معايير محددة لتعينها فمعايير الاسم هي :

1- لفظ . **2- مفرد .**

3- يدل على معنى . **4- لا يدل على زمان محدد .**

وكذلك في الاسم، بينما ترك الرباطات دون تحديد إلا كما يسميها النحويون حروف المعاني، ولا تزال هناك عدة تقسيمات لعديد المنطقيين المسلمين إلا أن المقام لا يصح لذكرها جميعا.

ومن بين دلالات الألفاظ عند المنطقيين فيما يخدم المعنى بأن عقدوا مقارنة بين اللفظ والمعنى والشيء: وعَدُّوا الذهن (أو العقل) قاسما مشتركا بينهما وجعلوا للشيء وجودا في الأعيان، أي وجودا في الخارج ينعكس إلى الداخل بدلالة اللفظ على المعنى الذي في النفس، وبهذا الترتيب الذي بنوه يقترب المنطقيون من منهج التحليل الدلالي في اللغويات الحديثة[1].

ومن القضايا المتعلقة أيضا بدلالة تقسيمه من حيث الإفراد والتركيب، وقد نظر المنطقيون إلى هذا التقييم باعتبار تجزئة المعنى إلى مفرد ومركب، وقسموا المركب إلى ناقص وتام فحصلت لديهم ثلاثة أقسام للفظ:

1) علي زوين، منهج البحث اللغوي بين التراث و علم اللغة الحديثة، ص 113.

الأول المفرد: وهو الذي لا يراد بالجزء منه دلالة على شيء أصلا حين هو جزؤه كقولك: عيسى وإنسان، فإن جزأي عيسى وهما:(عي) و(سى) وجزأي إنسان وهما: (إن) و(سان) ما يراد بشيء منهما الدلالة على شيء أصلا.

الثاني المركب الناقص: كقولك في الدار...لأنه من اسم وأداة لا من اسمين، ولا من اسم وفعل كسابقه، فمجرد قولك: زيد في أو زيد لا يدل على المعنى الذي يراد الدلالة عليه في المحاورة، ما لم يقل زيد في الدار أو زيد يظلم، بما يتسم معناه ويحسن السكوت عليه[1].

وبالنظر في هذه التقسيمات نلاحظ أنها عزفت عن ذكر كثير مما يستوجبه اللفظ في السياق والمعاني، وجعلوه تقسيما شكليا فقط.

كما جعل المنطقيون دلالة اللفظ على معناه من ثلاثة أوجه متباينة:

الوجه الأول: الدلالة من حيث المطابقة، كالاسم الموضوع بإزاء الشيء، وذلك كدلالة لفظ الحائط على الحائط ...

الوجه الثاني:أن تكون بطريقة التضمن، وذلك كدلالة لفظ (البيت) على (الحائط) ودلالة لفظ (إنسان) على (الحيوان)، وكذلك دلالة كل وصف أخص على الوصف الأعم الجوهري.

الوجه الثالث: الدلالة بطريق الالتزام والاستتباع،كدلالة لفظ السقف على الحائط فإنه متتبع له استتباع الرفيق اللازم الخارج عن ذاته، ودلالة الإنسان على قابل صنعة الخياطة وتعلمها [2].

وقسموا اللفظ من حيث الدلالة على عموم المعنى وخصوصه إلى جزئي وكلي.

1) علي زوين، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديثة، ص 114 .

2) المرجع نفسه، ص 115.

فالجزئي: ما يمنع نفس تصور معناه عن وقوع الشركة في مفهومه، كقولك زيد وهذه الشجرة، وهذا الفرس، فإن المتصور من لفظ زيد شخص معين، لا يشاركه غيره في كونه مفهوما من لفظ زيد...

والكلي: هو الذي لا يمنع نفس تصور معناه عن وقوع الشركة فيه، فإن امتنع بسبب خارج عن نفس مفهومه ومقتضى لفظه كقولك: الإنسان، الفرس والشجر... [1].

والمفهوم من هذا التقسيم عند المنطقيين ليس أن الجزئي جزء من الكلي، من حيث العموم والخصوص، وإنما يعني التصور من اللفظ من حيث المعنى ووقوع الشركة فيه فمثلا المتصور من لفظ زيد هو شخص بعينه، وأما قولك إنسان فإن المتصور من اللفظ غير معين .

4-3- المعنى عند الأصوليين:

كان الأصوليون أكثر الطوائف الإسلامية عناية بدراسة المعنى باعتبار علم الأصول أو علم أصول الفقه تعتمد أساسا على الاستنباط، وبالتالي تتضح أهمية دراسة المعنى للأصوليين، فهو يشكل ركنا من أركان استنباطه ويعول عليه في البحث عن الأدلة ويعتمد في كثير من أصوله على مجمل القضايا اللفظية في النص وأنواع الدلالات الأخرى.

والمعنى عند الأصوليين ليس عرفا ولا اجتماعيا، وإنما هو عقلي فني لا صلة له بالعرف العام، وإن اتصل بعرف خاص هو عرف الأصوليين أو عرف المناطقة، ولكن ذلك لا يعني عدم إدراكهم للعناصر غير اللغوية التي يستعان بها في تحديد المعنى والتي تتمثل

1) علي زوين، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديثة، ص 115، 116.

في عناصر سياق الحال أو الموقف الكلامي، فلهم نصوص وإشارات تدل على إدراكهم لذلك[1].

وللأصوليين نظرة خاصة في ماهية الكلام تختلف عن نظرة النحاة في تعريف الكلمة وتأليفها من جملة تعريفاتهم للكلام قولهم: "الكلام ما يقال بالاشتراك على المعنى القائم بالنفس وعلى الأصوات المقطعة المسموعة" [2]، وهذا التعريف يجمع بين معيارين:

أحدهما: مبدأ التلقي وهو كيفية تكون المعنى باعتباره قائما بالنفس أي الأصول الأولية لتكون الحدث اللغوي، وهاهنا إشارة واضحة إلى المبدأ العقلي المعبر عنه بالنفس في التحليل الدلالي.

والآخر: مبدأ الاستجابة وهو الجانب العلمي لتكون الكلام، وقد عبروا عنه بالأصوات المقطعة المسموعة... فالأصوات كيفية للنفس وهي الكلام المنتظم من الحروف المسموعة المتميزة المتواضع عليها؛ والانتظام هو التأليف للأصوات المتوالية على السمع [3].

ومن خلال المعيارين السابقين يتضح لنا بشيء من الوضوح في الثاني التفريق بين الكلام واللغة، هذه النظرة التي بنيت عليها المدرسة السويسرية على يد سوسير.

كما اتجه الأصوليين إلى أن يجعلوا اللغة علمية أي محددة الدلالة واضحتها حتى يمكن لهم استنباط الأحكام منها، واللغة العلمية كما يحددونها: "مثلها الأعلى تجريد الألفاظ من

1) طاهر سليمان حمودة، ابن قيم الجوزية، جهوده في الدرس اللغوي، دار الجامعات المصرية، الاسكندرية، مصر، د ط 1976م، ص 171.

2) علي زوين، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديثة، ص117، نقلا عن الشوكاني إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول –المطبعة الحلبية – القاهرة، مصر، 1937م، ص 12.

3) المرجع نفسه، ص 117،118.

شوائب التشخيص، وتخليصها من آثار الانفعال التي علقت بها مند الوضع الأول، ثم تحديد دلالاتها في نطاق الاصطلاح المتعارف عليه بين أهل العلم" [1].

ومباحث الألفاظ مدخل لعلم الأصول، لذلك عني الأصوليين بها، ومن القضايا الهامة في هذه المباحث دراستهم لدلالة اللفظ على المعنى، وقد حصروا أنواع الدلالات في أربعة أمور: عبارة النص وإشارة النص ودلالة النص واقتضاء النص، وقننوا ذلك بضوابط وأحكام، وهذه الأحكام الثابتة بظاهر النص:

أ_ الثابت بالعبارة: وهو ما كان السياق لأجله ويعلم قبل التأمل أن ظاهر النص متناول له.

ب_ الثابت بالإشارة: هو ما لم يكن السياق لأجله لكنه يعلم بالتأمل في معنى اللفظ من غير زيادة فيه ولا نقصان.

جـ_ الثابت بدلالة النص: هو ما ثبت بمعنى النظم لا استنباطا بالرأي لأن للنظم صورة معلومة ومعنى هو المقصود به، فالألفاظ مطلوبة للمعاني، وثبوت الحكم بالمعنى المطلوب باللفظ، بمنزلة الضرب له صورة معلومة، ومعنى هو المطلوب به، ثم ثبوت الحكم بوجود لغة فكذلك في المسمى الخاص الذي هو غير منصوص عليه يثبت الحكم بذلك المعنى ويسمى ذلك دلالة النص .

د_ الثابت بمقتضى النص: وهو عبارة عن زيادة على المنصوص عليه يشترط تقديمه ليصير المنظوم مقيدا أو موجبا للحكم، بمعنى أن الحكم إذا كان مفهوما من اللفظ شرعا فهو الاقتضاء[2].

ومما سبق ذكره يتضح أن هذه الأحكام متعلقة تعلقا شاملا بالنص القرآني ودلالته على السياقات والأحكام.

1) طاهر سليمان حمودة، ابن قيم الجوزية، جهوده في الدرس اللغوي، ص171.

2) علي زوين، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، ص118،119.

كما قسم الأصوليين الألفاظ من حيث دلالتها إلى أقسام كثيرة فمن حيث الوضع هناك الخاص والعام والمشترك، ومن حيث الاستعمال هناك الحقيقة والمجاز، ومن حيث الوضوح تقسم الألفاظ إلى الجلي والغامض، وهذا الأخير ينقسم بدوره إلى متشابه ومشكل ومجمل وخفي، والواضح ينقسم إلى ظاهر ونص، ومفسر ومحكم ومن جهة القصد هناك دال بالعبارة أو بالإشارة أو بالفحوى أو الاقتضاء [1].

ومما سبق ذكره سنحاول الحديث بشكل مختصر عن الخاص والعام:

فقد أدرك الأصوليين في هذا الموطن أن الألفاظ العامة تتجه إلى التخصيص في قولهم المشهور: "ما من عام إلا و يتخيل فيه التخصيص وفي هذا الاتجاه ذهب أحد علماء الغرب وهو "بريل" (Breal) في كلامه عن تحديد المعنى إلى أن التطور الطبيعي يكون من الاتساع إلى التضييق، أما الطريق المضاد وهو توسيع المعنى فإنه يوجد بدرجة قليلة وحيثما وجد فهو مرتبط بأحداث تاريخية والتقسيم المنطقي للتغيير الدلالي تقسيم ثلاثي فهناك توسيع للمعنى و تضييق له، وانتقال من معنى إلى آخر، مع بساطة هذا التقسيم"[2].

وهناك حديث مطول عن تعميم الخاص أو تخصيص العام لا يكفي المقام لذكره وشرحه كله، وسنذكر هنا التقسيم الذي ذكره علي زوين، وهي عنده أربعة أقسام:[3]

أ- **الخاص**:وهو كل لفظ موضوع لمعنى معلوم على الانفراد و كل اسم لمسمى معلوم على الانفراد... ومعنى الخصوص في الحاصل الانفراد وقطع الاشتراك فإذا أريد به خصوص الجنس قيل: إنسان، وإذا أريد به خصوص النوع قيل: رجل، وإذا أريد به خصوص العين قيل: زيد...

1) طاهر سليمان، ابن قيم الجوزية، جهوده في الدرس اللغوي، ص173.

2) المرجع نفسه، ص173.

3) علي زوين، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، ص120، 121.

ب_ العام: وهو كل لفظ ينتظم جمعا من الأسماء لفظا أو معنى و نعني بالأسماء – هنا – المسميات، وقولنا (لفظا أو معنا) تفسيرا للانتظام، أي ينتظم جمعا من الأسماء لفظا مرة كقولنا: زيدون، ومعنى تارة كقولنا: "ومن وما"وما أشبههما... فكل لفظ ينتظم جمعا من الأسماء سمي عاما لمعنى الشمول، وذلك نحو اسم: الشيء فإنه يعم الموجودات كلها...

جـ_ المشترك: وهو كل لفظ يشترك فيه معان أو أسام لا على سبيل الانتظام، بل على احتمال أن يكون كل واحد هو المراد به على الانفراد، وإذا تعين الواحد مرادا به انتفى الآخر مثل: اسم العين فإنه للناظر، ولعين الماء، وللشمس وللميزان، وللنقد من المال وللشيء المعين، لا على أن جميع ذلك مراد بمطلق اللفظ، لكن على احتمال كون كل واحد مرادا بانفراده عند الانطلاق، وهذا لأن الاسم يتناول كل واحد من هذه الأشياء باعتباره معنى غير المعنى الآخر...

دـ_ المؤول : وهو تبين بعض ما يحتمل المشترك بغالب الرأي والاجتهاد فالمؤول ما تصير إليه عاقبة المراد بالمشترك بواسطة الأمر.

ومن الملحوظ من خلال مجموع التقسيمات السابقة يلاحظ اختلاف الأصوليين فيها في عدة والمضمون، وهذا ما أفاد دراسة المعنى عند الأصوليين.

4-3-1- مظاهر من دراسة المعنى عند الأصوليين:

يلتقي الأصوليون في بعض المظاهر من دراسة المعنى مع مباحث البلاغيين واللغويين وستشمل دراستنا على الاستعارة والترادف والمشترك [1].

x الاستعارة:

بحث الأصوليون في موضوع الاستعارة وطريقها باعتبار الاتصال، ويعنون به الاتصال بين شيئين، ويكون هذا الاتصال إما باعتبار الصورة، وإما باعتبار المعنى.

1) علي زوين، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، ص 135.

ومثال الاستعارة للاتصال المعنوي تسمية الشجاع أسدا والبليد حمارا للاتصال بينهما في معنى الشجاعة والبلادة.

ومثال الاستعارة للاتصال الصوري تسمية المطر سماء، والعرب تسمي كل ما فوقك سماء، ويكون نزول المطر من علو فسموه سماء مجازا للاتصال صورة ومثالها أيضا قوله تعالى:﴿أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [النساء، الآية 43]؛ فالمراد باللمس الجماع لأن سبب اللمس صورة فسماه مجازا .

xالترادف:

وهو من الموضوعات التي عني بها الأصوليين وهو موضوع له علاقة بدراسة المعنى من حيث وحدة الدلالة وتعدد الألفاظ، ووضعوا في ذلك عددا من التعريفات وبينوا حدودها نلتقي هنا بالتعريفات التي قدمها فخر الدين الرازي.

فقد قال فخر الدين الرازي في تعريف الألفاظ المترادفة هي:" الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد"[1]، فأكد في هذا التعريف على الإفراد ووحدة الاعتبار: "أما بالإفراد فاحتراز عن الاسم والحد فليسا مترادفين، وإما بوحدة الاعتبار فاحترازا عن المتباينين كالسيف والصارم، فإنهما دلا على شيء واحد لكن باعتبارين أحدهما على الذات والآخر على الصفة... بمعنى أن السيف دل على الذات أي على الاسم صراحة، وعلى حين دل الصارم على الصفة " [2].

x المشترك:

ومن تعريفات الأصوليين قولهم في المشترك هو: "اللفظة الموضوعة لحقيقتين مختلفتين أو أكثر وضعا أولا من حيث هما كذلك... وفي هذا التعريف بيان لاعتبارين

1) علي زوين، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، ص 136، نقلا عن الشوكاني، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، ص 21.

2) المرجع نفسه، ص 136 ،137.

أحدهما: الوضع و الآخر قيد الحيثية، فاخرجوا بالوضع ما يدل على الشيء بالحقيقة وعلى غيره بالمجاز؛ أما قيد الحيثية فأخرجوا به المتواطئ " فإنه يتناول الماهيات المختلفة لكن لا من حيث هي كذلك بل من حيث أنها مشتركة في معنى واحد" [1].

فمفهوم المشترك عند الأصوليين أن تكون الكلمة موضوعة لأكثر من معنى حقيقي وضعا أولا، كالعين تطلق على العين الباصرة وينبوع الماء، وقرص الشمس، وكل واحد من هذه المعاني يمثل وضعا أولا وموجودا مختلفا بالحد والحقيقة على رأيهم.

واحتج القائلون بوقوع المشترك عند الأصوليين ببعض العلل المنطقية والفلسفية كتناهي المعاني والموجود والماهية [2] .

4-3-2- وضع حدود للدلالة عند الأصوليين:

من الواجب عند الأصوليين أن يكون لكل اسم علق الشارع عليه الحل والحرمة من حد: بحيث لا يدخل في الحد غير موضوعة ولا يخرج منه شيء من موضوعه.

ويختلف الأصوليون فيما بينهم في توسيع مدلول اللفظ وتضييقه ونلاحظ أن القائلين بالقياس المعتمدين عليه أصلا من أصول الاستنباط يميلون إلى تضييق مدلولات الألفاظ لأنهم يستطيعون استنباط الحكم الذي لا نجده في النصوص عن طريق القياس الذي يتخذ فيه الفرع المقيس مع الأصل المقيس عليه في علة جامعة هي مناط الحكم، فمتى وجدت العلة وجد الحكم [3].

أما أهل الظاهر الدين ينكرون القياس، والذين لا يعتمدون عليه إلا في الضرورة فإنهم

1) علي زوين، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، ص 138.

2) المرجع نفسه، ص 138.

3) طاهر سليمان حمودة، ابن القيم الجوزيه، جهوده في الدرس اللغوي، ص 176، 177.

يتجهون إلى توسيع الدلالة حتى تفي النصوص بأحكام الحاجات العملية المتطورة المتجددة فضلا عن الأحكام التعبدية دون حاجة إلى القياس [1].

وللحكم بين هذين الرأيين المختلفين، نخلص بما قاله ابن القيم في أن معرفة حدود هذه الأسماء ومراعاتها مُغن عن القياس غير محوج إليه، وإنما يحتاج إلى القياس من قصر في هذه الحدود، ولم يحط بها علما و لم يعطها حقها من الدلالة [2].

4-4- المعنى عند النقاد:

كان اهتمام النقاد منصبا على عنصري اللغة واللفظ لذلك عد اهتمامهم(النقاد) بالمعنى أكثر من غيرهم، محاولين فهم المعاني من الألفاظ.

ولتحديد الاتجاهات العامة في دراسة المعنى عند النقاد وجب علينا الحديث عن أوائل القضايا المرتبطة بدراسة المعنى وهي اختلافهم في المفاضلة بين اللفظ والمعنى حيث انقسموا في هذه المسألة إلى مذهبين، أحدهما آثر اللفظ على المعنى والآخر آثر المعنى على اللفظ، واحتدم النقاش والجدل بين الفريقين حتى شهد تاريخ النقد العربي مدرستين متميزتين (المدرسة اللفظية، والمدرسة المعنوية) تركت مباحثها آثارا واضحة في سير الدراسات البلاغية فيما بعد [3].

وقد انتشر صيت أصحاب اللفظ حتى قيل: "وأكثر الناس على تفضيل اللفظ على المعنى " [4].

وقد نظر النقاد في اللفظ والمعنى من حيث الكم و كأنهم ينظرون في معادلة رياضية

1) طاهر سليمان حمودة، ابن القيم الجوزيه، جهوده في الدرس اللغوي، ص 177.

2) المرجع نفسه ، ص 177.

3) علي زوين، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، ص 140.

4) المرجع نفسه، ص نفسها.

مساواة أو تفضلا أو نقصانا، وقسموا دلالة الألفاظ على المعاني ثلاثة أقسام:[1]

أ_ المساواة: وهو أن يكون المعنى مساويا للفظ.

ب_ التذييل: هو أن يكون اللفظ زائدا على المعنى وفاضلا عنه.

جـ_ الإشارة : هو أن يكون المعنى زائدا على اللفظ، أي إنه لفظ موجز يدل على معنى طويل على وجه الإشارة واللمحة.

وقد عني بمثل هذه التقسيمات أصحاب المدرسة اللفظية.

كما اهتم النقاد بالمادة الشعرية حيث بحثوا في ألفاظ الشعر ومعانيه من جوانب مختلفة ونظروا في المعنى من حيث الاختراع و الإبداع و التوليد والسرقات ولاحظوا أن من معاني الشعر ما لم يسبق إليه فأطلقوا عليها اسم المخترع؛ وقالوا في تعريفه: "هو ما لم يسبق إليه قائله، ولا عمل أحد من الشعراء قبله نظيره أو ما يقرب منه" [2].

فالمعنى المخترع هو المعنى المستحدث الذي ليس له مثيل أو نظير فيما تقدم من معاني الشعراء.

ولاحظوا أن معاني الشعر ما سبق إليه بعض الشعراء ولكن جاء شاعر آخر وأخذ المعنى وزاد فيه؛ فأطلقوا عليه اسم المولد وعرفوه بقولهم: "أن يستخرج الشاعر معنى من

1) ينظر، الجاحظ، البيان و التبيين، ج 1، ص 81.

2) علي زوين، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، ص 144.

معنى شاعر تقدمه أو يزيد فيه زيادة، فلذلك يسمى التوليد وليس باختراع، لما فيه من الاقتداء بغيره" [1].

حيث فرقوا بينه وبين السرقة التي هي أخذ للمعنى على وجهه والتوليد ليس أخد للمعنى على وجهه.

كما لاحظوا أن بعض الشعراء يأتي بمعنى مستطرف لم تجر العادة بمثله ويتصرف فيه على نحو يخرجه مخرج المخترع ولكن ليس بمخترع، فسموه بالإبداع، وعرفوه بقولهم: إن الاختراع خلق المعاني التي لم يسبق إليها والإتيان بما لم يكن منها قط والإبداع إتيان الشاعر بالمعنى المستطرف، والذي لم تجر العادة بمثله وفي هذا تفريق بين الاختراع والإبداع [2].

ومن القضايا المتعلقة بالمعنى تقسيم النقاد المعاني من حيث النظم أو نمط الجملة وكونها معقولة أو غير معقولة، وذكروا في ذلك أقساما نذكر منها [3]:

أ_ المستقيم الحسن: نحو قولك: قد رأيت زيدا.

ب_ المستقيم القبيح: نحو قولك: قد زيد رأيت، وإنما قبح لأنك أفسدت النظام بالتقديم والتأخير.

جـ_ مستقيم النظم و هو كذب: مثل قولك: حملت الجبل وشربت ماء البحر.

د_ محال: مثل قولك: آتيك أمس وأتيتك غدا.

ومهما دار من جدل بين النقاد حول اللفظ والمعنى وتفضيل أحدهما على الآخر فإن الدرس اللغوي الحديث نظر إلى المعنى من خلال مستويات التحليل اللغوي باعتباره مستوى

1) علي زوين، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، ص 144.

2) المرجع نفسه، ص نفسها.

3) المرجع نفسه، ص نفسها.

من هذه المستويات، ويمثل اللفظ والمعنى في علم اللغة الحديث وجهين متقابلين للغة **أحدهما:** الشكل، أو المنظر الخارجي، **والآخر**:المضمون أو المظهر الداخلي لما يمكن تمثيلها بالعملة النقدية، فالصورة هي اللفظ والوجه الآخر الذي طبعت عليه قيمة العملة هو المعنى.

4-5- المعنى عند البلاغيين:

أول ما يمكن أن نتحدث عنه في الدرس البلاغي هو أن البلاغيين دخلوا مضمار السبق والجدل في مقولة التفاضل بين اللفظ والمعنى، وأيهما أسبق من الآخر ووصف الألفاظ بالتناهي والمعني باللاتناهي، حيث انقادوا إليها وبنو عليها جل مباحثهم حتى أمكننا التمييز بين مدرستين* ظهرتا في مجمل الدراسات البلاغية التراثية، مدرسة لفظية ومدرسة معنوية[1].

أ- المدرسة اللفظية : آثرت اللفظ على المعنى وجعلت معظم المعايير البلاغية قائمة على أسس لفظية ثم معنوية [2].

ب- المدرسة المعنوية:آثرت المعنى على اللفظ واعتمدت المعايير المعنوية أساسا في مباحثهم البلاغية [3].

مع إمكانية الإشارة إلى أن أغلب البلاغيين المعروفين في التراث كانوا من أصحاب مدرسة المعنى ومن أكثرهم شهرة عبد القاهر الجرجاني، وخاصة نظرية النظم. ـ وهو موضوع الدراسة ـ

---

1) علي زوين، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، ص 152.

* إذا صح لنا استخدام مصطلح: (مدرسة).

2) المرجع نفسه، ص نفسها.

3)المرجع نفسه، ص نفسها .

وفي مسألة التفاضل بين الألفاظ والمعاني، بينوا أن المعاني سابقة في الثبوت والاستقرار على الألفاظ وهي بلا نهاية، وذهبوا إلى أن الألفاظ مقيدة للمعاني وهي تابعة لها وردوا على الذين جعلوا المعاني تابعة للألفاظ بأنهم رأوا أن "المعاني لا يرسخ معقولها في الأفئدة إلا بعد أن تخرق الألفاظ قراطيس أسمائهم فتوهموا من أجل ذلك أنها تابعة للألفاظ كما اعتمدوا على ثلاثة أوجه في تكذيب هذه المقالة" [1].

أحدها:اتفاق مفهوم الأشياء عند الناس واختلاف الألفاظ الدالة عليها باختلاف اللغات.

ثانيها: تعدد الألفاظ الدالة على المعنى الواحد.

ثالثها: أن الألفاظ متناهية خلافا للمعاني فهي غير متناهية، وما يكون بغير نهاية لا يكون تابعا لما له نهاية.

والمعنى من الأوجه الثلاثة نجده فيما ذكرناه سابقا عند النقاد من أن الألفاظ والمعاني تمثلان وجهين مختلفين من أوجه اللغة تشبهان وجهي العملة النقدية.

كما أن البلاغيين تأثروا بالمعايير المنطقية والأصولية، وتتبعوا منهج المنطقيين والأصوليين وادخلوا منه قضايا كثيرة في مباحثهم منها تقسيم اللفظ في دلالته بالنسبة إلى تمام مسماه، أو بالنسبة إلى ما هو داخل في مسماه، أو بالنسبة إلى ما هو خارج عن مسماه، وهو ما عرف بدلالة المطابقة، والتضمن والالتزام وبينوا كل ما يختص كل قسم من هذه الأقسام الثلاثة بأحكامه.

المتواطئة، الألفاظ المتباينة، الألفاظ المترادفة، الألفاظ المشتركة والألفاظ المستغرقة.

1) حازم القرطاجي، مناهج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، دار الكتب الشرقية، تونس 1966م ص 20.

ونحن في حديثنا عن المعنى عند البلاغيين، لا يمكننا الخروج منه دون الحديث عن جهود السابقين في القرون المتقدمة، وخاصة الجرجاني من خلال نظرية النظم وهي موضوع دراستنا وقد أخرنا الحديث عنها إلى حينه.

4-6- المعنى عند اللغويين:

4-6-1- المعنى في الدراسات اللغوية القديمة:

نجد من بين ما اهتم به اللغويون القدماء، وكان نتيجة حتمية لاختلاف الفقهاء: "المعنى" وفي ذلك يقول أحد اللغويين القدماء: "إن الخلاف عرض لأهل ملتنا من ثمانية أوجه، كل ضرب من الخلاف متولد منها ومتفرع عنها، الأول منها: اشتراك الألفاظ والمعاني والثاني الحقيقة والمجاز، الثالث الإفراد والتركيب، الرابع: الخصوص والعموم الخامس: الرواية والنقل السادس:الاجتهاد فيما لا نص فيه السابع: الناسخ والمنسوخ الثامن: الإباحة والتوسيع"[1].

فمن الملحوظ أن الأربعة الأولى منها تتعلق أو تتصل بقضية المعنى كما تناول اللغويون العام والخاص في معاجم المعاني، فهناك ألفاظ عامة باقية على عمومها يعتقدون لها ما يسمى بالكليات نحو: كل ما علاك وأظلك فهو سماء، وكل أرض مستوية فهي صعيد، والنوع الثاني ما وضع في الأصل عاما ثم خصص في الاستعمال ببعض أفراده فالرث أصله الخسيس ثم خص بالملابس، وهناك الخاص الذي تحول إلى عام مثل: الورد أصله إتيان الماء ثم صار إتيان كل شيء وردا، وهناك ما وضع عاما واستعمل خاصا ثم أفرد لبعض أفراده اسم يخصه كالبغض لفظ عام والفرك بين الزوجين خاص، والنظر إلى

1) ابن السيد البطليوسي، الإنصاف في التنبيه على الأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم، مطبعة الموسوعات بباب الخلق، القاهرة، مصر، 1898م، ص 10، 11.

الأشياء عام، والشيم للبرق خاص، والقسم الأخير ما وضع خاصا وبقي على خصوصه كالتتابع ومعناه التهافت[1].

وما يذكره اللغويون هنا، هو ما يعرف عند الأصوليين بالتعميم والتخصيص.

وبحث اللغويون في مقولة المفاضلة بين اللفظ والمعنى، شأنهم في ذلك شأن النقاد والبلاغيين، ففضل فريق منهم اللفظ على المعنى وجعله أساسا للبنى التركيبية، وذهب فريق آخر إلى تفضيل المعنى وعده أساسا للعلاقات الدلالية في البنية التركيبية للغة، وما الألفاظ إلا أشكال أو قوالب لمضامين المعاني المختلفة ومن أشهر القائلين برأي الفريق الثاني ابن جني، وقد عرف عنه الدقة في التحليل وعمق في التصور، هذا ما ترك أثرا في مجمل المباحث اللغوية القديمة.

ولا نستبعد أن أنصار مدرسة المعنى كانت لهم الكفة الراجحة في القرن الرابع الهجري وما بعده إلى قبيل الفترات المتأخرة من تاريخ النحو العربي وهيمنة المدرسة المعيارية التقليدية، قال ابن جني في المفاضلة بين اللفظ والمعنى وبيان أن الألفاظ خدم للمعاني: "فكأن العرب إنما تحلى ألفاظها وتدبجها وتشيعها وتزخرفها عناية بالمعاني التي وراءها وتوصلا بها إلى إدراك مطالبها، وقد قال رسول الله ﷺ:"إن من الشعر لحكما وإن من البيان لسحرا". فإذا كان رسول الله ﷺ يعتقد هذا في ألفاظ هؤلاء القوم التي جعلت مصايد وأشراكا للقلوب وسببا وسلما إلى تحصيل المطلوب عرف بذلك أن الألفاظ خدم للمعاني، والمخدوم – لا شك – أشرف من الخادم" [2].

وتعد ظواهر الترادف والمشترك والتضاد من الموضوعات ذات العلاقة بدراسة المعنى عند اللغويين، فهي من الظواهر الدلالية في العربية وغيرها من اللغات، وهي ترتبط

1) طاهر سليمان حمودة، ابن قيم الجوزية، جهوده في الدرس اللغوي، ص 176.

2) علي زوين، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، ص 166، 167.

بالدراسات المعجمية والتأريخية، ولها علاقة بعلم اللغة الجغرافي من حيث توزيع اللهجات على أقاليمها أو قبائلها المعروفة[1].

فمن خلال تعريف كل منها نجد أن كل واحد منها يكون في مقابل الآخر فبينما يكون الترادف عبارة عن معنى واحد ذي أشكال متعددة، يكون المشترك على خلافه بشكل واحد ومعاني متعددة.

واختلف اللغويون في الترادف من حيث الإقرار بهذه الظاهرة في العربية أو عدم الإقرار بها والذين أقروا الترادف ووقعوه جعلوا المعنى واحدا والألفاظ الدالة عليه متعددة كالسيف والمهند والحسام والعضب والقاطع... من مرادفات السيف، والذين لم يقروا وقوع الترادف جعلوا الاسم واحدا والألفاظ الأخرى صفات للاسم، وتختلف هذه الصفات في معانيها: فالاسم هو السيف كما في المثال السابق، وباقي الألفاظ صفات للسيف تختلف من صفة إلى أخرى[2]. وبعض اللغويين فرق بين ما هو معنى واحد لألفاظ مختلفة فسماه بالمتوارد وبين ما هو ألفاظ مختلفة لمعان متقاربة فسماه بالمترادف[3]. كما بحث اللغويون في الحقيقة والمجاز والكناية والاستعارة والعموم والخصوص والمطلق والمقيد [4]، وهي موضوعات ذات صلة بالمعنى، لكن لم يضف إليها اللغويون شيئا جديدا، بل أوجزوا ما استوفيناه شرحا خاصة ما تناوله البلاغيون والأصوليون.

1) علي زوين، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، ص 167.

2) المرجع نفسه، ص نفسها.

3) دوسوسير، الحدود في النحو (ضمن رسائل في النحو و اللغة) –تحقيق مصطفى جواد و يوسف يعقوب مسكوني وزارة الثقافة و الإعلام، بغداد، العراق، د ط ، 1969م، ص 42.

4) فندريس، اللغة، تعريب عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو،القاهرة ، مصر، د ط، 1950م ص228.

4-6-2- المعنى في الدراسات اللغوية الحديثة:

يعتبر المعنى من الموضوعات الدقيقة المتشعبة في البحوث والدراسات اللغوية الحديثة وهاتان السمتان نلاحظهما في مجمل مباحث اللغويين الغربيين سواء من فرغ منهم نفسه للموضوع كما في الدراسات الدلالية، أو من تناوله ضمنا في كلامه على مستويات التحليل اللغوي، أو فيما قيل عنه في المدارس اللغوية الحديثة وموقف كل منها فهما وتحليلا، قبولا أو رفضا[1].

ونحن ارتأينا في الدراسة اللغوية الحديثة للمعنى أن نعرج على الدراسات الغربية تبعا لما سيتناول فيما سيأتي في الفصول التالية. وبالتالي سنحاول التعريج على أهم مناهج دراسة المعنى عند اللغويين المحدثين، إشارة سريعة.

نجد المدرسة الاجتماعية السويسرية الفرنسية التي يعد "دوسوسير" أبرز روادها إذ يفرق بين ما يسميه القيمة اللغوية للكلمة وبين ما يسميه المقصود من الكلمة، ومعنى الكلمة عنده هو ارتباط متبادل بين الكلمة وهي الصورة السمعية وبين الفكرة والكلمة علامة لغوية ويرى "دوسوسير" أن العلامة اللغوية لا تخلق وحدة بين اسم ومسمى ولكن بين فكرة وصورة سمعية[2].

وهناك المدرسة السلوكية الأمريكية، وخير ممثل لها هو- بلوم فيلد - والمعنى عنده ينبغي أن يعرف عن طريق أحداث عملية أي فسيولوجية أو فيزيقية مرتبطة به ويرى "بلوم

1) علي زوين، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، ص171.

2) ينظر، محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار المعارف، بيروت، لبنان، د ط، د ت، 1962مص341، 342.

فيلد"أن الأفكار والتصورات ينبغي أن يعاد وصفها بألفاظ فيزيقية، فمثلا: الملح نستطيع تعريفها عن طريق العناصر الكيميائية المكونة له[1].

وهناك نظرية "أولمان" في دراسة المعنى والتي أقامها على أساس ما سماها "وجدن وريتشارد" بالمثلث الأساسي* الذي يحدد الجوانب الرئيسية لأية علاقة رمزية فالجانب الأول هو الرمز وفي اللغة هو الكلمة المكونة من مجموعة من الأصوات مثل منضدة والجانب الثاني هو المحتوى العقلي الذي يحضر في ذهن السامع، أما الجانب الثالث فهو الشيء نفسه وهو في مثالنا – المنضدة – وقد يطلق عليه المقصود أو الشيء المعني[2].

والعلاقة في المثلث المذكور هي العلاقة بين الشيء والفكرة أي بين الواقع وبين صورة الشيء المنعكسة في الذهن.

وهناك أيضا المدرسة الاجتماعية الإنجليزية التي يعد فيرث مؤسسها، وقد اشتهر برفضه كل المناهج والأساليب التقليدية في بحث اللغة، وابتكر لنفسه منهجا يمتاز بالبعد عن كل الأفكار الفلسفية والمنطقية والنفسية وغيرها، مما يعد أجنبيا بالنسبة للتفكير اللغوي وأقام لمنهجه ثلاثة أركان هي: **أولا:** وجوب اعتماد كل تحليل لغوي على ما يسمى بالمقام أو السياق، و**ثانيا:** وجوب تحديد بيئة الكلام المدروس وصيغته حتى نضمن عدم الخلط

1) ينظر، محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار المعارف، ص 346.

* هذا المثلث يوضح عندهم بالشكل التالي:

2) طاهر سليمان حمودة، ابن قيم الجوزية، جهوده في الدرس اللغوي، ص 167.

بين لغة وأخرى أو لهجة وأخرى **وثالثا:** وجوب النظر إلى الكلام اللغوي على مراحل لأنه مكون من أحداث لغوية مركبة ومعقدة، وتحليلية على هذا النهج أيسر وأسلم[1].

ولهذا يرى – فيرث – أن الوصول إلى معنى أي نص لغوي يستلزم:

1 –أن يحلل النص اللغوي على المستويات اللغوية المختلفة (الصوتية والفونولوجية والمورفولوجية والنظرية والمعجمية).

2 – أن يبين سياق الحال، ويشمل شخصية المتكلم، شخصية السامع، جميع الظروف الملابسة للكلام.

3 – أن يبين نوع الوظيفة الكلامية (تمني، نفي، تعجب...) .

4 – أن يذكر الأثر الذي يتركه الكلام (ضحك، سخرية، اقتناع، بكاء)[2].

إذن فالمعنى عند هذا الأخير هو مجموعة من الارتباطات والخصائص والمميزات اللغوية التي نستطيع التعرف عليها في الموقف المعين، أما – أولمان فيرى أنها أشياء في الذهن وليس علاقة متبادلة بين اللفظ والصورة الذهنية ، وهي عند – بلوم فيلد – أحداث عملية أي فزيولوجية أو فيزيقية، وهي عند "سوسير" مجموعة من الارتباطات العقلية والذهنية المستمرة .

4-7- المعنى عند الفلاسفة المعاصرين:

رأينا تعدد نظريات المعنى في القديم عند الفلاسفة، فارتأينا أن نذكر أهم النظريات المعاصرة، بالرغم من صعوبة هذا التحديد إلا أننا انتقينا أهم النظريات المعاصرة التي تتناول المشكلة الأساسية في المعنى، وهي إمكانية إقامة الشروط الواجب توفرها في كلمة

1) طاهر سليمان حمودة، ابن قيم الجوزية، جهوده في الدرس اللغوي، ص 168، 169.

2) المرجع نفسه، ص 169، 170.

ما أو عبارة حتى يكون لها معنى مع الإشارة إلى عدم مراعاة الترتيب الزمني بين هذه النظريات ولكن حسب نظرة كل منه إلى المعنى وهي أربعة:

أ – المعنى تصور وتحليل وبحث عن الترادف:

هذه أولى النظريات التي واجهت مشكلة المعنى بجدية وصرامة وتساءلت بطريقة مباشرة وواضحة عن الشروط التي يجب توفرها لكي يكون للكلمة أو القضية معنى، وتقترن هذه النظرية بالفيلسوف الإنجليزي المعاصر "جورج مور" والمنطقي الأمريكي المعاصر "كواين"... وهي تحقيق الترادف، فهي تصيب مشكلة المعنى في الصميم ، تدل الكلمة على تصور أو فكرة في معناها ويتضح هذا المعنى إذا حللنا التصور إلى تصورات أخرى تكافئه و تساويه و ترادفه[1].

ب – معنى الكلمة هو استخدامها:

وهي التي أعلنها "فيتجنشتاين"المتطور، وهو هنا يتجنب البحث في الجانب المنطقي الصارم من تصور المعنى، حيث يرى أن تعدد معاني الكلمة بتعدد استخداماتنا لها في اللغة العادية وتتعدد معاني الجمل الواحدة حسب السياق الذي تذكر فيه وأن بين تعدد الاستخدامات للكلمة والجملة تشابها أسريا، وأن الكلمة مطاطية تتسع وتضيق استخداماتها حسب الظروف والحاجات، وأن اللغة كالرجل الصارم الذي يعرف دائما ما يريد، ويفعل دائما طبقا لقاعدة محددة وإنما كرجل فضفاض متفائل له مناشط متعددة يتلاعب بما لديه من أدوات دون صرامة أو خطة محكمة، وأبرز نقطة في نظريته في المعنى هي هتافه "لا

1) ينظر، محمود فهمي زيدان، في فلسفة اللغة، ص 98، 102.

تسأل عن المعنى و إنما اسأل عن الاستخدام" ويقصد بذلك أن معنى الكلمة ليس غير الطريقة أو طرائق استخدام الناس لها في حياتهم اليومية [1] .

ومن الملحوظ أن هذه النظرية تختلف عن النظرية الأولى كون هذه الأخيرة تقول إن معنى الكلمة يجب أن يكون ثابتا محددا، أما النظرية الثانية فتقول: إن معنى الكلمة ليس له ثبات أو تحديد.

جـ – نظرية المعنى و الإشارة: و هي نظرية "فريجة"، حيث يسلم مند البداية أن لكل تعبير معنى إذا كان له تركيب نحوي سليم، فهو إذن لم يبحث في معنى المعنى وإنما سلم به تسليما مند البدء وعلى الرغم من أنه لم يكتب في المعنى بالمعنى الصارم إلا أنه اهتم بموضوع المعنى وأعطانا تحليلات منطقية بالغة الفائدة من خلال مقالة المعروف بعنوان المعنى و الإشارة (sense and reference).

ويعتمد "فريجة" في بحثه على افتراض أساسي هو أنه يجب أن يكون لكل كلمة أو تعبير معنى محدد دقيق في اللغة الدقيقة ـ ويقصد اللغة الكاملة من الناحية المنطقية ـ وهو يدعو إلى محاولة إقامة هذه اللغة[2].

د– معنى القضية هو تحقيق صدقها:

وأصحاب هذه النظرية هم أصحاب حركة الوضعية المنطقية (logical poretivism) وقد لاقت هذه النظرية بادئ الأمر إقبالا وإعجابا، لكن سرعان ما اختلف أصحابها أنفسهم فيما بينهم، مما عرضها لكثير من التعديل والصياغة، وأهم ما يمكننا الخروج به، هو أن نظرية المعنى تسمى عند الوضعيين نظرية" إمكان التحقيق التجريبي".

1) محمود فهمي زيدان ، في فلسفة اللغة ، ص 106 ،107 .

2) المرجع نفسه ، ص 114 ، 115 .

وتقول: ـ هذه النظرية ـ "إن معنى قضية ما هو طريقة تحقيقها" حيث تكون القضية التجريبية ذات معنى إذا أمكن إخضاعها لتحقيق تجريبي فتصبح صادقة أو كاذبة ويتحدد معنى القضية تحديدا تاما بالخبرات التي تحقق صدقها وكذبها[1].

أي إن أصحاب هذه النظرية قد اهتموا بوضع معيار معين لمعاني الكلمات والقضايا.

ومن خلال ما مر معنا في قضية المعنى عند الفلاسفة المحدثين في تعدد النظريات إلا أننا بادئ الأمر نرجح النظرية الثانية القائلة: إن معنى الكلمة هو استخدامها، لأنها ترى بأن تعدد معاني الكلمة بتعدد استخداماتنا لها.

5- أهمية دراسة المعنى :

قلنا فيما سبق أن اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم أي إن الألفاظ شطر اللغة، والمعاني شطرها الثاني، وقد أبرز سيبويه موازنة المعاني للألفاظ في اللغة، حيث يعبر باللفظ الواحد عن معنى واحد ثم قد يعبر بألفاظ كثيرة عن معنى واحد، وعن معان كثيرة بلفظ واحد[2].

وإذا كنا نحاول أن نقول أن المعاني شطر حقيقة اللغة، وتأكيد أن دراسة المعاني شطر الدراسة اللغوية، فإنه من المؤكد أن أهمية دراسة المعنى بين الدراسات اللغوية تكمن في أن جانب المعنى هو قائد الدراسات المنصبة على صياغة الأساليب والألفاظ؛ فقد وضعت قواعد النحو ورتبت أحكامه على مقتضى المعنى، ومن المقاييس المأثورة أن

1) محمود فهمي زيدان، في فلسفة اللغة، ص 125.

2) محمد حسن حسن جبل، المعنى اللغوي، دراسة عربية مؤصلة نظريا وتطبيقيا، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط 2 2009 م، ص 9.

الإعراب فرع المعنى، والصرف إنما هو قواعد لصوغ الصيغ حسب المعاني الصرفية وضبط التغيرات التي يعتريها في ذلك، والبلاغة تقنين لبراعة الأساليب في تصوير المعنى المقصود ومطابقة ما يقتضيه الحال منه، وعلى المعاني تدور دراسات النقد الأدبي، هذا إلى جانب مجموع الدراسات مثل فقه اللغة التي هي قائمة على المعنى ومخصصة له [1].

كما يؤكد أهمية دراسة المعنى بين الدراسات اللغوية أيضا أن دراسة المعنى هي الشطر الأعوج والأحوج إلى إعمال الفكر وكدِّ الذهن، لأن الخوض في المعنى ومحاولة التجول داخل نطاقه يتطلب الجهد الجهيد ذلك أن حقائق المعاني لا تتقرر إلا بلمح أسرار تغيرات الألفاظ ووجوهها، واقتناص العلائق بين المسميات المادية بعضها ببعض وبين المجردات بعضها ببعض، وهذا يقتضي ساحة في اللغة عريضة، ويعتمد على غوص فيها عميق، كما يقتضي معرفة شاسعة الأبعاد بطبائع أهلها وحياتهم، وبصرا نافدا بالعناصر الطبيعية والاجتماعية والمعيشية المؤثرة في هذه الحياة، وحسا مرهفا بتذوق نفوسهم لعناصر تلك الحياة [2].

كما نجد ظهورا لمستوياته في كل من الاشتقاق والتأصيل والقياس وتحليل ألفاظ التضاد والترادف... إلى رحابة في علم باللغة وأهلها لا تكاد تُحد، وإلى كدٍّ ذهني واصب لإظهاره.

ومن ما يثبت أهمية دراسة المعنى هو ما يثبت بالنصوص إثباتا قاطعاشيوع فكرة كون المعنى في القلب أو المصدر أو النفس أو اللسان معبرا عنها، وأن الفكرة أو المعلومة إذا كانت شائعة متعارفا عليها، ثم سبق أحد فصاغها صياغة علمية محكمة أو سليمة فإنه

1) محمد حسن حسن جبل، المعنى اللغوي، ص 11.

2) المرجع نفسه، ص 11، 13.

يصعب على من بعده أن يأتي ببديل لهذه الصياغة إذا كان مسلما بصحة الفكرة المحتواة[1].

كما أن اللغويين الأوروبيين أيضا يعترفون بالأهمية البالغة لدراسة المعنى يقول كمال بشر: "ويمثل المعنى في الدراسات اللغوية اليوم نقطة أساسية من نقاط البحث بل عن أستاذنا "فيرث" جعله أساس هذه الدراسات كلها وهدفها الأول"[2].

ومن هذا يتضح لنا أهمية دراسة المعنى عند القدماء والمحدثين واللغويين العرب والغرب.

1) محمد حسن حسن جبل، المعنى اللغوي، دراسة عربية مؤصلة نظريا وتطبيقيا، مكتبة الآداب، ص 148، 149.

2) ينظر، المرجع نفسه ،" الهامش" ، ص 11.

الفصل الثاني

"البلاغة؛ مفاهيم و تحديدات "

1- مؤشرات البلاغة و أصولها

2- نشأة البلاغة

3- اهتمام البلاغة باللفظ والمعنى

4- موضوعات البلاغة

5- وظيفة البلاغة وأهمية دراستها

6- مقاييس البلاغة في صياغة المعاني

7- أبواب البلاغة

الحديث عن البلاغة العربية، هو حديث عن الحياة العربية، ومناط الوجه العقلي للعرب ثم للإسلام بعد ذلك، ولهذا فإن البلاغة العربية في صورتها الأولى وجه من وجوه الثقافة التي تعد ترجمة لأمة معروفة بين الناس، غير مسلوبة من جهدها، وفضلها وخدمتها للإنسانية .

والعرب مثل غيرهم من الأمم لهم فن القول وهذا يُنبئ عن أساليب بلاغتهم وقوة منطقهم، ونوع حججهم، وأمر عقيدتهم، ولا يكون ذلك في فراغ، ومن غير دليل، بل الحياة بأساليبها، والشواهد، والأدلة باختلاف أوديتها، مورد من موارد البلاغة في أصولها ونضوجها [1] .

وقد وضع القدامى من دارسي البيان العربي مقدمة للدرس البلاغي، من حيث الفصاحة والبلاغة، كما درسوا معايير البلاغة من خلال "النظم" الحسن المنسجم وعابوا من استغلق عليه النظم وارتبط بالأداء السيئ، وغير ذلك مما يمكن أن نجعله في إطار مفهوم البلاغة وهي " مطابقة الكلام لمقتضى الحال".

1) محمد بركات حمدي أبو علي، البلاغة العربية في ضوء منهج متكامل، دار البشير، عمان، الأردن، ط 1، 1992 م ص 15 .

1- مؤشرات البلاغة و أصولها :

1-1- مؤشرات البلاغة :

يعد الإمام علي رضي الله عنه أول من أعطى للبلاغة مقياسها الفني في ثلاث مؤشرات تحدث فيها عن العمق البلاغي:

المؤشر الأول : قوله رضي الله عنه : " البلاغة إفصاح قول عن حكمة مستغلة وإبانه عن مشكل " [1] .

وهذا المفهوم ذو بعدين : الأول يتعلق بالإفصاح، والثاني يتحدث عن الإشكال كما أن هذا المؤشر يعد تعريفا منهجيا للبلاغة يتناسب مع الكشوف العلمية اللاحقة له بعد عدة قرون[2].

المؤشر الثاني: وصفه رضي الله عنه لأداة البليغ بقوله: " ما رأيت بليغا قط إلا وله في القول إيجازا، وفي المعاني إطالة " [3].

وهو بهذا يقسم الكلام على ألفاظ وعلى معان، ويعتبرهما قسمين متقابلين ومتعادلين بوقت واحد، فهما متقابلان لأنهما أداة الكلام وقوامه، أي ركناه، وهما متعادلان، لأن الكلام لا ينتظم إلا بهما مجتمعين[4].

المؤشر الثالث: قوله رضي الله عنه:" لولا أن الكلام يعاد لنفذ " [5].

ومراده أن البيان ذو كلمات واحدة ولكن هذه الكلمات تتمايز في التركيب وتتفاوت في

---

1) أحمد عبد الستار الجواري، نحو الفعل، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، العراق، د ط، 1974 م، ص 7، 8.
* الإشكال : الإبانة عن المشكل مثل تناسق العبارات التعقيد المعنوي و اللفظي ...
2) محمد حسين علي الصغير، علم المعاني بين الأصل النحوي والموروث البلاغي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد العراق، ط 1، 1989 م، ص 13 .
3) أحمد عبد الستار الجواري، المرجع السابق، ص 12، 13.
4) محمد حسين علي الصغير، المرجع السابق، ص14.
5) المرجع نفسه، ص 15 .

التنظيم الجملي، ويعبر عنها كل أحد بما تُسيغه ذائقته البلاغية، وإلا انحرفت اللغة عن المراد[1].

1-2- الأصول البلاغية: (الأبعاد)

كانت هناك عدة دراسات للفن البلاغي وقد حصرت أبعاده في كل من المجاز والتشبيه والاستعارة والكناية كأصول ثابتة للمعيار الأصيل في القرآن الكريم وعند العرب[2].

2- نشأة البلاغة:

2-1- في العصرين الجاهلي والإسلامي:

بلغ العرب في الجاهلية مرتبة رفيعة في البلاغة والبيان حتى جاء الذكر الحكيم مصورا لذلك في عديد المواضع مثل قوله تعالى: : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤ ﴾ [الرحمان، الآية (1،4)]، وقوله تعالى : ﴿ وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ ۝٤ ﴾ " [المنافقون، الآية (4)]، وقوله تعالى : ﴿"وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ [البقرة، الآية (204)]؛ حيث تعتبر دعوة الرسول لأقصاهم وأدناهم إلى معارضة القرآن في بلغته الباهرة، أكبر دليل على ما أوتوه من اللسن والفصاحة والقدرة على حوك الكلام، و فيما خلفوه من أدبهم يحمل في ثناياه ما يصور فصاحة منطقهم، وكيف كانوا يأتون للكلام، حتى يبلغوا منه كل ما يريدون من استمالة القلوب والأسماع فبلغاؤهم من الخطباء والشعراء لم يكونوا يقبلون كل ما يرد على خواطرهم بل ما يزالون ينقحون ويجودون حتى يظفروا بأعمال جيدة، وهي أعمال كانوا يسجلون فيها

1) محمد حسين علي الصغير، علم المعاني بين الأصل النحوي و الموروث البلاغي، ص 15 .
2) المرجع نفسه، ص 18 .

الفكرة ويعاودون النظر متكلفين جهودا شاقة في التماس المعنى المصيب تارة والتماس اللفظ المتميز تارة ثانية، يقودهم في ذلك بصر محكم يميزون به المعاني والألفاظ بعضها من بعض، بحيث يصونون كلامهم عما يفسده أو يهجنه[1].

وقد استمرت هذه العناية وأخذت تثمر بعد ظهور الإسلام بفضل ما نهج القرآن ورسوله الكريم من طرائق الفصاحة والبلاغة فأما القرآن فكانت آياته تتلى آناء الليل وأطراف النهار أما الرسول فكان حديثه يذيع على كل لسان، وكانت خطبه ملء الصدور والقلوب وفي أخبار الرسول ما يدل على أنه كان يعني أشد العناية بتخيير لفظه، فقد أثر عنه أنه كان يقول: " لا يقولن أحدكم خبثت نفسي ولكن ليقل : لقست نفسي "؛ كراهية أن يضيف المسلم لنفسه الخبث[2]. وكان أبو بكر وعمر وعثمان وعلى خطباء مفوهين، وكانوا يستضيئون في خطاباتهم بخطابة الرسول الكريم أي الذكر الحكيم، ويمكن أن نمثل على شيوع دقة الحسن حينئذ ما ذكر عن أبي بكر أنه عرض لرجل معه ثوب فقال له : أتبيع الثوب؟ فأجابه : لا، عافاك الله، فتأذى أبو بكر مما يوهمه ظاهر اللفظ، إذ قد يظن أن النفي مسلط على الدعاء، فقال له : " لقد علمتم لو كنتم تعلمون ، قل : لا وعافاك الله " .

ويضرب الرواة مثلا لبلاغة عمر أنه كان يستطيع أن يخرج الضاد من أي شدقيه وكان علي لا يبارى فصاحة وبلاغة[3].

وإذا مررنا إلى عصر بني أمية وجدنا أن الخطابة بجميع ألوانها من سياسية وحفلية ووعظية تزدهر ازدهارا عظيما، وفي كل لون من هذه الألوان يشتهر أكثر من خطيب، وما يمكن ذكره في هذا العصر هو كثرة الملاحظات البيانية، نتيجة لبواعث عدة، فقد تحضر العرب واستقروا في المدن والأمصار ورقيت حياتهم العقلية وأخذوا يتجادلون في جميع

1) شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 9، 1965 م، ص 9، 10.

2) الجاحظ، الحيوان، ج 1، ص 335.

3) شوقي ضيف، المرجع السابق، ص 13، 14 .

شؤونهم السياسية والعقائدية فكان هناك الخوارج والشيعة والزبيريون والأمويون، وكان هناك المرجئة والجيرية والقدرية والمعتزلة؛ ونما العقل العربي نموا واسعا فكان طبيعيا أن ينموا النظر في بلاغة الكلام وأن تكثر الملاحظات المتصلة بحسن البيان، لا في مجال الخطابة والخطباء فحسب، بل أيضا في مجال الشعر والشعراء، فقد قامت في هدا العصر سوق المربد في البصرة وسوق الكناسة في الكوفة، وفتح الخلفاء والولاة والقواد والأجواد أبوابهم للشعر والشعراء، وكانوا يجعلون لهم جوائز لكل منهم جائزته بقدر شعره وبراعته فيه[1].

وبالتالي يتضح لنا أن الملاحظات البيانية في العصور الأولى القديمة جاهلية كانت أو إسلامية لم تغِب عن أدهان البلاغيين حين أصلوا قواعد البلاغة، وهي تعد بحق الأصول الأولى لقواعدهم.

2-2- في العصر العباسي:

وبالولوج في العصر العباسي الأول يتسع نطاق الملاحظات البلاغية، نتيجة لأسباب مختلفة منها ما يعود إلى تطور النثر والشعر مع تطور الحياة العقلية والحضارية ومنها ما يعود إلى نشوء طائفتين من المعلمين، عنيت إحداهما باللغة والشعر، وعنيت الآخرة بالخطابة والمناظرة وإحكام الأدلة ودقة التعبير وروعته.

فأما ما يعود إلى تطور النثر والشعر فمرده إلى أن كثيرا من الفرس والموالي أتقنوا العربية واتخذوها لسانهم في التعبير عن عقولهم ومشاعرهم، وأظهروا في ذلك براعة منقطعة النظير وقد أخذوا هم ومن يرجعون إلى أصول عربية خالصة يشعرون بجامعة العروبة العامة ويتنفسون الحضارة العباسية ويصطبغون بأصباغها الثقافية وينهضون من خلال ذلك بالنثر والشعر جميعا نهضة واحدة[2].

كما نجد أن كتاب هذا العصر كانوا يعيشون لإحسان الكتابة في أساليبها ومعانيها وكان

1) شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ ص، 15، 16.

2) المرجع نفسه، ص 19 .

ذوقهم مترفا بعامل ما انغمسوا فيه من الحضارة، وكانت عبارة تعجب في كتاب أو رسالة لهم خليفة أو وزيرا فإذاهم يصعدون إلى أعلى المناصب لذلك مضوا يصفون كلامهم ويتخيرون مما يجعل الجزالة والرصانة مع السلامة والنصاعة، ومع الرونق والطلاوة، وكانوا لا يزالون يبدءون ويعيدون في صفات البيان الحسن والبلاغة[1].

ويتبين من هذا أنهم كانوا يتقلدون مناصب عالية نتيجة إجادتهم في الكتابة بأساليبها ومعانيها، هذا ما أدى إلى الاهتمام بها اهتماما كبيرا، ومحاولة الإتيان بما لم يأته الآخرون حتى يحصل لهم ما يريدونه وهو المنصب.

كما أخد الشعراء يعنون عناية شديدة بالعربية، وراح فريق منهم إلى البادية كي يتزود من منابعها الأصلية، يتقدمهم بشار وأبو نواس، ومن أقام منهم في الحاضرة لزم اللغويين في المساجد الجامعة يروي منهم الشعر القديم، وما يزال يرويه حتى تستقيم له سليقته العربية وحتى يغدوا كأنه عربي أصيل، وقد يلاءمون بين الشعر القديم وبين ما عاشوا فيه من حضارة ومن رقي عقلي مستخدمين كل ما يملكون من مهارة، وبذلك تبتوا بدورهم الأسلوب المولد الجديد[2].

وهذا الالتقاء بين الجديد والقديم وما كان من استغلال الجديد للقديم هذا الاستغلال الحي الخصب دفع إلى نشاط الملاحظات البلاغية نشاطا واسعا، فإن الشعراء وازنوا كثيرا بين معانيهم ومعاني القدماء، وحاولوا أن يثبتوا تفوقهم عليهم أو على الأقل أنهم يجارونهم في بعض بدائعهم ولا يخلفون عنهم، ومن خير ما يصور ذلك قول بشار : مازلت اروي في بيت امرئ القيس :

كأن قلوب الطير رطبا و يابسا لدى وكرها الُعَّابُ و الحَشَفُ البالي

1) شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، ص 22.

2) المرجع نفسه، ص 24.

إذ شبه شيئين بشيئين حتى صنعت:

كأنَّ ُمثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

وهو إنما يريد محرج تشبيه شيئين بشيئين : إذ التشبيهان مختلفان، ولعل في ذلك ما يشير إلى أن الشاعر العباسي كان يحاول محاكاة الشاعر القديم في وسائله البلاغية من تشبيه وغير تشبيه مستعينا بفكرة الدقيق ولطف مسالكه إلى المعاني والأخيلة وبحسه الحضري الرقيق ومشاعره المرهفة [1].

فقد كثرت الملاحظات البلاغية عند الشعراء والكتاب، محاولين بذلك تدليل المادة الأدبية القديمة لتحمل عصرهم ونفوسهم وأحاسيسهم وعقولهم وأخيلتهم.

ولم يكن الشعراء والكتاب وحدهم الذين مضوا يدرسون وجوه البيان والبلاغة في فنهم فقد كان يشاركهم في ذلك طائفتان من المعلمين أخذوا في الظهور مع أواخر القرن الأول للهجرة وأوائل الثاني، وهما طائفة المتكلمين الذين كانوا يعنون بتعليم الشباب فن الخطابة والمناظرة، ثم طائفة اللغويين والنحويين وكانوا يحترفون تعليم اللغة ومقاييسها في الاشتقاق والإعراب مضيفين إلى ذلك رواية واسعة للشعر القديم، ولم يكونوا يكتفون بالرواية وحدها فقد عنوا أشد العناية بشرح ما يروون ودرس وتبين خصائصه التعبيرية والأسلوبية ، وحقا كانت عنايتهم القوية تنصب على استنباط أصول اللغة العربية من وجهتين الاشتقاقية والنحوية غير أنهم مع ذلك كانوا يعنون بتلقين الناشئة شيئا من الخصائص البيانية يأتي ذلك عرضا في ثنايا شرحهم وعرضهم للقواعد اللغوية والنحوية[2].

فمن يرجع مثلا إلى كتاب سيبويه الذي يقال إنه جلب مادته من إملاءات الخليل يجده يعرض لبعض الخصائص الأسلوبية التي عني بها فيما بعد علم المعاني من مثل

1) شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، ص 25.

2) المرجع نفسه، ص 28 .

التقديم والتأخير والتعريف والتنكير، والحذف، وأيضا فإنه يعرض المعاني المختلفة لبعض الأدوات ومن حين إلى حين نلتقي بإشارات إلى بعض المسائل البيانية[1].

أي أن المعلمين من اللغويين والنحاة كانت لهم ملاحظاتهم على بلاغة الكلام وصوره البيانية والتعبيرية، بحيث يمكن القول إنهم قدموا حتى أوائل القرن الثالث الهجري خدمة قيمة، بفضل نظراتهم الدقيقة.

2-3- المتكلمون المعتزلة:

ويقابل طائفة المعلمين من النحاة واللغويين طائفة ثانية من معلمين كانوا يعنون بمسائل البيان والبلاغة لاتصالها بما كانوا ينهضون به من الخطابة والمناظرة، وتقصد طائفة المتكلمين الذين أخذوا ينقسمون مند أواخر القرن الأول للهجرة فرقا تتجادل في نظرياتها التقيدية من إرجاء وجبرو اختيار، وكانت تزخر بهم مساجد الكوفة والبصرة وبغداد بعد إنشائها ومند ظهورهم في عصر بني أمية وهم يتخاصمون ويتحاورون حوارا عنيفا، كل يحاول أن يقهر خصمه ويظهر عليه، وسرعان ما أصبحت هذه المحاورات والخصومات بل قل المناظرات شغل الناس الشاغل، فهم يعجبون بهذا المنظر أو ذاك، وهم يتحدثون فيمن كان له الظفر ومن هزم وغلب على أمره ويحاولون أن يتبينوا أسباب الظفر والهزيمة، فيعودوا إلى النظر في حجج الخصمين وفي لغتهما ومخارج حروفها وإشاراتها وهيآتها[2].

وكلما تقدمنا مع الزمن احتدمت المناظرات بين هؤلاء المعلمين احتدمت معها الأسئلة في نجاح المناظر والخطيب، إذ كان جمهور هؤلاء المعلمين يعني بوعظ الناس وكان منهم من يحسن الخطابة والمناظرة والجدل ومنهم من لا يوفيها جميع حقوقها فكثر الحديث

1) شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، ص 29.

2) المرجع نفسه، ص 32، 33.

في قوة الحجج وفي وضوح العبارة ودقتها وفي جهارة الصوت، وفي ملامح المتكلم وفي ملاءمته بين كلامه والمستمعين وكان يُعنى كل صاحب نحلة فيهم لأن يجمع من حوله الشباب وأن لا ينصرفوا إلى خصومه، فأخذوا يقفونهم على النقص في الحجج والأدلة والنقص في الأداء والبيان كما أخذوا يقفونهم على أسرار المهارة في الإقناع والظفر بالخصوم وأسرار البراعة في القول ومضوا يمر نونهم على المناظرة تدريبا لهم [1].

والمعتزلة في الواقع من أمثال ثُمامة والنظام وواصل هم المجلون السابقون بين الطوائف المتكلمين في البيان البارع إذ نصبوا أنفسهم للدفاع عن الإسلام أمام خصومه من أصحاب الملل كما نصبوا أنفسهم بجدال أصحاب الفرق الإسلامية من جبرية ومرجئة ومن الخوارج والشيعة، إذ كانوا يقفون في السياسة موقفا محايدا، ومن أجل ذلك لقبوا بلقبهم " معتزلة " ونراهم يأخذون أنفسهم بثقافة عربية أصيلة، مضيفين إليها ألوانا من الثقافة الأجنبية وخاصة من الفلسفة وما يتصل بها من المنطق، كما نراهم مند أول الأمر يطلبون معرفة ما عند الأمم الأجنبية من آراء في البلاغة ومسائلها المتشابكة غير قاصدين إلى تمثلها واعتناقها إنما كانوا يريدون أن يوازنوا بين آراء الجانب وآراء العرب في بلاغة الكلام محاولين أن يضعوا للبلاغة العربية قواعدها وقوانينها الذاتية [2].

2-4- الجاحظ:

ولا يمكننا المرور في الدرس البلاغي دون الإشارة إلى الجاحظ(ت 255 هـ) لدراسته شؤون البيان والبلاغة، فيؤلف كتابه " البيان والتبيين " في أربع مجلدات كبار جامعا فيه ملاحظات العرب البيانية وبعض ملاحظات الأجانب وسجل كثيرا من ملاحظات معاصريه

1) شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، ص 33.

2) المرجع نفسه، ص ص 35، 39.

خاصة المعتزلة، ونراه يطيل الوقوف عندما أثاره بشر بن المعتمر من صفات الألفاظ والمعاني ووجوب مطابقة الكلام لسامعيه[1].

فتراه تارة مؤيدا لما جاء به، وتارة أخرى معارضا أو شارحا وتارة أخرى يزيد على ما جاء به بشر وله مواقف عديدة أخرى لا يسمح المقام لذكرها، كفكرة الإيجاز والإطناب ومواضعها والصورة البيانية في كتاب " الحيوان " .

وقد ظلت كتابات الجاحظ وملاحظاته في البيان والبلاغة معينا لا ينفد لمد الأجيال التالية بكثير من قواعدهما، كل يستمد منها حسب قدرته ومهارته الذهنية[2].

ولعلنا لا نبالغ إدا قلنا إن الجاحظ يعد مؤسس البلاغة العربية فقد أفرد لها لأول مرة كتابة " البيان والتبيين " ونثر فيه كثيرا من ملاحظاته وملاحظات معاصريه، وتعمق وراء عصره، فحكي آراء العرب السابقين، والتمس آراء بعض الأجانب، أو قل سجلها وقد مضى ينشر في كتابه " الحيوان " تحليلا لبعض الصور البيانية في الذكر الحكيم[3].

2-5- لغويون آخرون:

ويمكن أن نذكر مجموعة من اللغويين الذين جاؤوا بعد الجاحظ نذكر منهم [4].

ابن قتيبة :

وهو لم يبلغ مرتبة الجاحظ من حيث تسجيل الملحوظات والغوص على التقاط المعاني، فإنه فاقه من حيث النسق في الترتيب، وحسب التبويب مع سعة في العلم، فلقد كان بحق دائرة المعارف، يدلنا على ذلك هذا التراث المترامي الأطراف الذي يدل على كثرة اطلاعه وطول باعه.

1) شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، ص 46.

2)المرجع نفسه، ص 57 .

3) ينظر، المرجع نفسه، ص 60.

4) فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، ص 71 .

ثم جاء **ابن المعتز**:

فوضع كتاب " البديع " وذكر فيه أنواعا مما بنيت عليه البلاغة فيما بعد.

ثم جاء **قدامه:**

فزاد على ما ذكره ابن المعتز من أنواع البديع ومن بعد قدامة، أخذت الدراسات البيانية في اتجاهين متقابلين، كان الاتجاه الأول خاصا ببحوث إعجاز القرآن، ومن أبرز الذين نهجوا هذا المنهج، وحفظت لنا الأيام جهدهم المشكور الرماني في رسالته "النكت في إعجاز القرآن "وقد تحدث فيه عن البلاغة وقسمها إلى عشرة أقسام:

1- الإيجاز .

2- التشبيه .

3- الاستعارة .

4- التلاؤم .

5- الفواصل .

6- التجانس .

7- التصريف .

8- التضمين .

9- المبالغة .

10- حسن البيان[1] .

ثم جاء **أبو بكر الباقلاني:**

فوضع كتاب ذائع الصيت، وهو "إعجاز القرآن ".

1) فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، ص 72،73.

أما الاتجاه الثاني، فكان عن البيان بعامة، ولم يقصروه على البحث في الإعجاز ومن أبرز كتب هذا الاتجاه كتاب " الصناعتين " لأبي هلال العسكري ويعني بهما صناعة الشعر وصناعة النثر، و" الوساطة بين المتنبي وخصومه " للجرجاني و" الموازنة بين الطائيين أبي تمام والبحتري "للآمدي، وكتاب"الشعر" لابن طباطبا و" سر الفصاحة " لابن سنان الخفاجي و" المثل السائر " لابن الأثير في القرن الخامس الهجري وإلى هنا لم تكن للبلاغة هذه الأدوار والأقسام التي تعرفها الآن، وإنما كانت البلاغة والبيان والبديع والبراعة والفصاحة كلها تعني شيئا واحدا[1].

وجاء **عبد القاهر** فوضع كتابيه: " دلائل الإعجاز " و" أسرار البلاغة " فكان فتحا جديدا فلقد استطاع أن يضع نظرية متكاملة البنيان للبلاغة العربية؛ فتحدث في دلائل الإعجاز عن النظم وهو الذي كان أساسا فيما بعد لعلم المعاني، وتحدث في أسرار البلاغة عن بعض الموضوعات: كالتشبيه والاستعارة والمجاز، وهو ما عرف فيما بعد بعلم البيان[2].

وجاء **الزمخشري** بعد عبد القادر يطبق نظريته تطبيقا علميا في " تفسير الكشاف" مع بعض الزيادات التي تدل على علو همته، وجودة قريحته.

وجاء **السكاكي** فوضع كتاب " مفتاح العلوم " وهو أول من فصل موضوعات كل من علم المعاني والبيان على حدة، وجعل كثيرا من أنواع البديع التي عرفت فيما بعد تابعة لعلم المعاني[3].

وجاء **بدر الدين بن مالك**، واختصر " مفتاح " **السكاكي**، وهو ابن صاحب الألفية المعروفة بألفية ابن مالك، وهو أول من قسم البلاغة إلى أقسامها المعروفة الآن : البيانو المعاني والبديع، وجاء القزويني فلخص "مفتاح" السكاكي، وأصبحت البلاغة مختصرات

1) ينظر، فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، ص 73،74.

2) ينظر، المرجع نفسه، ص 74.

3) ينظر، المرجع نفسه، ص 74، 75.

وصار كتاب "التلخيص" فيما بعد المحور الذي يدور حوله الكتاب يلخصونه أو يشرحونه[1].

3- اهتمام البلاغة باللفظ و المعنى:

اهتمت البلاغة باللفظ والمعنى بل جعلت لهما نصيبا مفروضا، وقد كثرت فيهما الدراسات البلاغية، والأقوال: " فاللفظ جسم وروحه المعنى، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسد يضعف بضعفه، ويقوى بقوته، فإذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ كان نقصا للشعر وهجنة عليه... وكذلك إن ضعف المعنى واختل بعضه كان للفظ من ذلك أوفر حظ، فإن اختل المعنى كله وفسد بقي اللفظ مواتا لا فائدة فيه، وإن كان حسن الطلاوة في السمع... إلا أنه لا ينتفع به ولا يفيد فائدة وكذلك إذا اختل اللفظ جملة وتلاشى لم يصح له معنى، لأننا لا نجد روحا في غير جسم البتة " [2].

ثم كان للناس فيما بعد آراء ومذاهب منهم من يؤثر اللفظ على المعنى، ومنهم من يؤثر المعنى على اللفظ.

3-1- من يؤثر اللفظ على المعنى:

وهم فرق، منهم قوم يذهبون إلى فخامة الكلام وجزالته على مذهب العرب من غير تصنع، كقول بشار :

إذا ما غضبن غضبة مضربة هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما

إذا ما أعرنا سيدا من قبيلـة ذرى منبــر صلي علينــا وسلمــا

1) ينظر، فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها ، ص 75.

2) أبو علي الحسن بن رشيق، العمدة، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، سوريا، ج 1، ط 5، 1981 م ص 124.

وهذا النوع أدل على قوة أشبه بما وقع فيه من مواضع الافتخار، وكذلك ما مدح به الملوك يجب أن يكون على هذا النحت [1].

ومنهم من ذهب إلى سهولة اللفظ وعنوا به واغتفروا له فيها الركاكة واللين المفرط، كأبي العتاهية والعباس بن الأحنف ومن تابعهما [2].

3_2- من يؤثر المعنى على اللفظ :

وهذا الفريق يؤثر المعنى على اللفظ فيطاب صحته، ولا يبالي حيث وقع من هجنة اللفظ وقبحه وخشونته، كابن الرومي وأبي الطيب ومن شاكلتها [3].

يستوي الجاهل فيها والحاذق، وإنما العمل على جودة اللفظ وحسن السبك، وصحة التأليف ولو أن رجلا أراد في المدح تشبيه رجل لما أخطأ أن يشبهه في الجود بالغيث وفي الإقدام بالأسد، وفي المضاء بالسيف، فإن لم يحسن تركيب هذه المعاني في أحسن حلاها من اللفظ الجيد الجامع للرقة والجزالة، والعذوبة والطلاوة، لم يكن للمعنى قدر [4] .

4- موضوعات البلاغة:

من الممكن حصر الحديث عن موضوعات الدراسة البلاغية في ثلاث موضوعات :

4-1- موضوعات البلاغة التعليمية (الإنشائية):

وقد احتلت قدرا معلوما وجانبا هاما من دراسات البلاغيين المتقدمين وقد غلبت عليها السمة التقديرية (التعليمية) على معظم التأليف البلاغي في مراحله الأولى، وإذا كان المؤلفون والمصنفون في هذا اللون من الدراسة مشغولون بإقامة مثال بلاغي له حدود

1) عبد المتعال الصعيدي، البلاغة العالية، مكتبة الآداب و مطبعتها، الجماميزت، مصر، ط 2، 1991 م ، ص 30.

2) المرجع نفسه، ص 31.

3) المرجع نفسه، ص نفسها.

4) المرجع نفسه، ص 31.

ورسوم معلومة، فهم يأخذون الناشئة بحدود وأصول هذا المثال ليربوا لديهم الذوق وملكة التمييز بين الجيد وبين الرديء من أساليب القول، ولذا فقد كان غاية معظم الدراسات في هذه الفترة لا يتعدى هذه الغايات الثلاث :

أولا: معرفة إعجاز القرآن بمعرفة ما خصه الله به من حسن التأليف وبراعة النظم.

ثانيا: التميز بين الجيد وبين غير الجيد أو بين المقبول وبين غير المقبول من أساليب الكلام وفنون الخطاب.

ثالثا: إعداد الناشئة إما لنظم الشعر أو كتابة الرسائل، وذلك بالوقوف على ما يلزم هاتين الصناعتين من حدود ورسوم يلتزم بها الشاعر والكاتب كلاهما [1].

أي إن موضوعات البلاغة التعليمية (الإنشائية) هي أحد الأمرين، إما شرح عملية إنشاء المثال الأدبي (القصيدة أو الرسالة أو الخطبة)، وما يجب أن تكون عليه من الصحة المعنوية والسلامة اللفظية.

4-2- النظرية البلاغية :

وذلك من خلال الوقوف على حدود النظرية والإلمام بمفهوم المصطلح البلاغي[2]. وهذا ما قد أشرنا إليه ولو باختصار في المدخل.

4-3- موضوعات البلاغة بين النظرية والتطبيق :

يمكن تصنيف موضوعات البلاغة بين النظرية و التطبيق إلى ثلاث مجموعات:

الأولى: الدراسات العامة: وهي دراسات لم تحظ فيها الجوانب البلاغية بالاهتمام الأكبر لدى مؤلفيها، بل كان معظمها مشغولا بالحديث في نظرية الشعر بوجه عام أو نقده من

1) سعد سليمان حمودة، دروس في البلاغة العربية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، د ط، 1999 م، ص 53، 54.

2) المرجع نفسه، 53.

مثل قواعد الشعر لأحمد يحيى ثعلب: و" عيار الشعر" لابن طباطبا... وهذه المؤلفات لم تترك تأثيرا يذكر في حرك التأليف البلاغي.

الثانية: الدراسات المنهجية: وهي تلك الدراسات التي ارتفعت عن حيز الجزئية والشكلية للشعر إلى دراسة شعر شاعر بعينه أو ظاهرة شعرية معينة، والتي خرجت عن نطاق دراسة البيت إلى دراسة القصيدة في الشعر، وأما في دراسات القرآن فخرجت عن حيز إبداء الملاحظات العامة إلى مجال دراسة سور بعينها. ونجد مثالا على هذه الدراسات موازنة الآمدي ووساطة الجرجاني في الشعرية وتحليل بعض السور القرآنية كالتي قام بها الباقلاني في كتاب إعجاز القرآن.

الثالثة: الدراسات الموضوعية: وهي التي أخلصها مؤلفوها للبحث عن النواحي البلاغية ونستطيع أن نعد عمل ابن المعتز في البديع وأبي هلال العسكري في الصناعتين مثالين صالحين على هذه الدراسات إبان هذه الفترة [1].

5_وظيفة البلاغة و أهمية دراستها :

5_1- وظيفة البلاغة :

الغاية من البلاغة بادئ الأمر تعد فنية، ووظيفتها هي العمل على النهوض بمستوى الأداء والتبصير بمواطن الجودة: وذلك لتحقيق المتعة الفنية وهذه المتعة ذات جانبين[2]:

أحدهما: التعبير عن الإحساس بالجمال حين تسعف الفطرة المواتية للشخص الموهوب شاعرا أو ناثرا.

1) سعد سليمان حمودة، دروس في البلاغة العربية، ص 60 .

2) حامد صالح خلف الربيعي، مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية دط، 1996 م، ص37.

والآخر: التذوق الناقد لما جاء به صاحب الفن، والشعور الصحيح الدقيق بقيمته الفنية تذوقا وشعورا يعين على كشف كنوز متجددة من الجمال في تلك الأعمال[1] لذلك كانت البلاغة كما يقول الخولي: "هي روح الأدب والأدب مادتها، تعلم صنعته وتبصر بنقده "[2].

وتجدر الإشارة إلى أن البلاغة العربية أخذت تسطر مند نشأتها ضوابط الجودة الفنية بشكل عام لذا فالبلاغة علم بقوانين تسعى إلى محاصرة ضوابط جودة الكلام، ولهذا السبب تراهم يجمعون في شواهدهم للقضية الواحدة بين الشعر والنثر، والخطب والرسائل والقرآن،ومن ثم يبقى الفارق بين شكل وآخر فرقا خارجيا لا دخل له في أصل الجودة [3].

5_2- أهمية دراسة البلاغة :

تتلخص أهمية دراسة البلاغة في ثلاث نقاط هي : [4]

1. أن الناظر في هذه العلوم والمحصل لملكتها يعرف إعجاز القرآن الكريم معرفة يقينية فيكون مؤمنا عن بينة.

2 – أن المتمكن من أصولها وأحكامها يلمس بنفسه دقائق العربية وأسرارها ويدرك مراتب الكمال ومزايا صوره شعرا ونثرا، وبعبارة أخرى يصير ناقدا واعيا.

3 – أن الدارس الخبير بضوابطها وقوانينها إذا أراد أن يقول شعرا أو نثرا في أي غرض يستطيع أن يجد أمره رشدا فيصيب الهدف ويدرك القصد، ويأتي بما يطابق الحال من الألفاظ والتراكيب ويهتدي إلى المستجاد من الكلام، والمختار من القول، لأن معه مصباحه الذي يستضيء به ويسير على هديه، وبعبارة أخرى يصير أديبا مبدعا .

---

1) حامد صالح خلف الربيعي، مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء، ص 37.

2) أمين الخولي، مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، دار المعرفة، مصر، ط 1، 1961 م ص 223.

3) حامد صالح خلف الربيعي،المرجع السابق، ص 37، 38.

4) عبده عبد العزيز قليقلة، البلاغة الاصطلاحية ، دار الفكر العربي، القاهرة ، مصر، ط 3، 1992 م، ص 20.

6- مقاييس البلاغة في صياغة المعاني :

6-1- زيادة المعنى:

لقد برزت فكرة زيادة المعنى وعرفت منذ العصر الجاهلي، فاتخذت مقياسا للمفاضلة البلاغية بين كلام وكلام... وقد دلت عليها بمسميات وألفاظ عدة كلها تشير إلى تكثير المعنى، أي أن الأديب أثناء الصياغة يلزمه أن يختار من الألفاظ والأساليب ما يزيد به المعنى المراد، ليكتسب الكلام قيمة فنية تمكنه من التأثير والإقناع [1].

فقد أدرك النقاد والبلاغيون إلى القيمة الفنية التي تتحقق للكلام بمراعاة مقياس زيادة المعنى فحرصوا على توخيه في الكلام الأدبي، وهو عندهم من سنن العرب في كلامهم التي ينبغي أن يحافظ عليها، لذا أخذوا في إبرازه وإلى العناية به وإيضاح مكانته .

6-2- الوضوح:

الوضوح أصل من الأصول التي يقوم عليها البيان والبلاغة وهو شرط من شروط جودة الأسلوب ومقياس من مقاييس جمله فالكلام الذي يعجز عن أداء معناه في وضوح لا يعد بلاغيا لأنه لا يحقق الهدف منه من حيث إفهام المتلقي والتأثير فيه، لذلك دار مفهوم التبليغ وعند البلاغيين الأدباء على الوضوح فكان من أهم القضايا التي أولوها عناية خاصة[2].

فالوضوح مظهر من مظاهر الجمال، ومزية من مزايا لغة الأدب، وفي إطار منه تتشكل العلاقة بين عناصر العمل الأدبي: المتكلم والكلام والمخاطب من حيث تحقق

1) ينظر، حامد صالح خلف الربيعي، مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء،ص ص 301، 303 .

2) المرجع نفسه، ص 344.

فعالية التبليغ أي الفهم والإفهام وهو الهدف الأول من عملية الاتصال، ولا يكون البيان بيانا على الحقيقة إلا إذا بلغ بوضوحه غاية الإفهام [1].

ولم يترك الأدباء من رجال البلاغة الأمر على عمومه فقد بينوا السبيل إلى وضوح الكلام وكيفية صيانته من كل ما أخل بالدلالة وعاق دون الإبانة وذلك برصد الظواهر التي تؤدي التعمية والالتباس، والتنبيه عليها لتتجنب، وتحديد المظاهر التي يراعى فيها مقياس الوضوح، ومحمل كلامهم في ذلك يدور على ثلاثة محاور رئيسية هي[2] :

1 – وضوح الألفاظ المفردة.

2 – وضوح التركيب .

3 – وضوح صورة البيانية .

وبالتالي فقد عم مقياس الوضوح جميع الظواهر البلاغية ابتداء مما يتعلق باللفظة المفردة، ثم تركيب الألفاظ ونظمها وانتهاء بالصورة البيانية وما تحتها من أنواع .

6-3- الملاءمة *: مقياس الملاءمة من أكثر المقاييس دقة وشفافية واتساعا فهو بمثابة الميزان الذي تحدد به القيمة البلاغية للنص الأدبي ويتناول هذا المقياس أهم عناصر العمل الأدبي وما ينبغي أن يكون بينهما من الموافقة، بدءا بملاءمة الكلمة للمعنى ولغيرها ومرورا بملاءمة الكلام للمتلقي وانتهاء بملاءمة النص للظرف الكلامي [3].

ومقياس الملاءمة يتحقق في النص الأدبي على أربع مستويات أو أربع صور فعلى

1) حامد صالح خلف الربيعي، مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء، ص 344، 345.

2) المرجع نفسه، ص 353، 354.

* الملاءمة : تعني الموافقة، وهي في الاصطلاح البلاغي تعني حسن الجمع بين عناصر الإبداع الفني.

3) حامد صالح خلف الربيعي، لمرجع السابق، ص 377.

الأديب أن يضعها نصب عينيه، وأن يوليها جل عنايته وقد بين البلاغيون الكيفية التي تتحقق بها الملاءمة في كل صورة من صورها، وطالبوا المبدعين بالالتزام بها لأن التفريط في شيء منها تفريط في مظاهر بلاغة النص وجماله، ومقياس الملاءمة يقوم على الاختيار بين البدائل، فلكل من المعاني والألفاظ والأحوال والمقامات والمستمعين أنواع تتعدد وتختلف وهذا أهم العناصر التي تشترك في بناء العمل الأدبي والأديب يختار من كل عنصر ما يلاءم غيره من العناصر التي ترتبط به، ويبنى بعضها على بعض بناءا هندسيا دقيقا [1].

والملاءمة بين تلك العناصر تكون على النحو التالي :

6-3-1- الملاءمة بين اللفظ والمعنى:

يجب في أي عمل أدبي أن تراعى العلاقة بين الألفاظ ومعانيها، وهذا لا يكون إلا بحسن اختيار الألفاظ الملاءمة للمعنى " ومن أراغ معنى كريما فليلتمس له لفظا كريما فإنه حق المعنى الشريف اللفظ الشريف ومن حقها أن تصونها عما يفسدها ويهجنها" [2]، وذلك لأن: " الكلام إنما يفيد الإبانة عن الأغراض القائمة في النفوس التي لا يمكن التوصل إليها بأنفسنا وهي مُحتاجة إلى ما يعبر عنها، فما كان أقرب في تصويرها وأظهر في كشفها ليفهم الغائب عنها، وكان مع ذلك أحكم في الإبانة عن المراد وأشد تحقيقا في الإيضاح

1) حامد صالح خلف الربيعي، مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء، ص 381، 382 .

2) أبو عثمان بن عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، مصر ج 1، 1998 م، ص 136.

عن المطلب وأعجب في وضعه وأرشق في تصرفه وأبرع في نظمه، كان أولى وأحق بأن يكون شريفا "[1].

أي انه من أهم خصائص البلاغة هو حسن انتقاء الألفاظ بحيث تكون متناسبة مع المعنى المراد فلكل لفظ موقعه ومكانه المحدد في أداء المعاني.

6-3-2- الملاءمة بين الكلمة والكلمة :

يهتم هذا الفرع بناحية من نواحي الصياغة على مستوى التقاء الكلمات وتأليفها في السياق لا من حيث التأليف الصوتي ولكن من حيث التأليف المعنوي، وما يكون بين الكلمات من المجانسة والانسجام، وهذا لا يتحقق إلا إذا وضعت الكلمة في موضعها اللائق بها، وهو من أهم سما ت الجودة في الكلام يعتد به البلغاء [2].

وفي ضوء هذا يبرز الجاحظ أهمية انتقاء الألفاظ التي تكون معها خصوصية الملاءمة المعنوية مظهرا جماليا يسهم في امتناع المتلقي، ذلك ما عبر عنه في قوله: " إذا كان الشعر مستكرها، وكانت ألفاظ بيت من الشعر لا يقع بعضها مماثلا لبعض، كان بينهما من التنافر ما بين أولاد العلات * وإذا كانت الكلمة ليس موقعها إلى جنب أختها مرضيا موافقا كان على اللسان عند إنشاء ذلك الشعر مؤونة " [3].

فهنا تقرير لمقياس الملاءمة على مستوى تعليق الكلمة بما يجاورها من الكلمات.

6-3-3- الملاءمة بين الكلام والمتلقي :

الكلام والمتلقي عنصران من الخطاب الأدبي عند- جاكسيون- فهو يري "أن كل حدث لغوي يتضمن رسالة وأربع عناصر مرتبطة بها هي المرسل والمتلقي ومحتوى الرسالة

---

[1]) أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، إعجاز القرآن، تحقيق احمد صقر، دار المعارف، مصر، ط 4 1977 م، ص 119 .

2) حامد صالح خلف الربيعي، مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء، ص 391.

* أولاد العلات : بنو رجل واحد من أمهات عدة.

3) الجاحظ، البيان والتبيين، ج 1، ص 66، 67.

و–الكود– أو الشفرة المستعملة فيها" [1]؛ ولكل عنصر من هذه العناصر علاقته بالعناصر الأخرى كل على حدة لأنها متشابكة ومتلاحمة بحيث لا يمكن النظر إلى أحدها بمعزل عن الأخرى، هذا ما يوضح " التفاعل العضوي القائم في عملية الخطاب والذي به لا يكون مخاطب بدون مخاطب وخطابكما لا يكون مخاطب ولا خطاب ما لم تكتمل أضلاع المثلث" [2].

ولهذا كان من الطبيعي أن يكون على مستوى النظري ما يراعي تلك العلامات بين الكلام والمتلقي، ولم يكن ذلك سوى مقياس الملاءمة وهذا ما نادي به القدماء من البلاغيين العرب وألحوا على أنه: "ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين" [3].

لأن الأوامر عندهم تقوم: " على إفهام كل قوم بمقدار طاقتهم والحمل عليهم على أقدار منازلهم" [4].

فإذا جاء الكلام ملائما لهذه الأحوال:" كان قمينا* بحسن الموقع وبانتفاع المستمع وأجدر أن يمنع جانبه من تناول الطاعنين، ويحمي عرضه من أعراض الغائبين" [5].

وبهذا تحققت وظيفة الكلام التي يتوخاها المتكلم وينتظرها المستمع. وقد تعدد مقياس الملاءمة في عدة مظاهر نذكر منها:

1) صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الآفاق الجديدة، بيروت ، لبنان، ط 3، 1984 م، ص 383.

2) حامد صالح خلف الربيعي، مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء، ص 397 .

3) الجاحظ ، البيان والتبيين، ج 1، ص 183.

4) المرجع نفسه، ج1، ص 93.

* قمينا : جديرا وخليقا.

5) المرجع نفسه، ج 2، ص 8.

أ- ملاءمة الكلام للحالة النفسية للمتلقي:

لأن قبول الكلام، والتأثر بما يحمله من مضامين لا يكون إلا مع الاستعداد النفسي[1].

ت-ملاءمة الكلام للطبقة الاجتماعية للمتلقي:

وهذا النوع قائم على تخيير الألفاظ وهو يرجع إلى المبدأ القائل :" بأن كلام الناس في طبقات كما أن الناس أنفسهم في طبقات، فمن الكلام الجزل والسخيف والمليح والحسن والقبيح والسمج والخفيف والثقيل، وكله عربي " [2] .

جـ_ملاءمة الكلام للطبقة الثقافية للمتلقي:

" فإن كان الخطيب متكلما تجنب ألفاظ المتكلمين، كما أنه إن عَبر عن شيء من صناعة الكلام واصفا أو مجيبا أو سائلا، كان أولى الألفاظ به ألفاظ المتكلمين إذ كانوا لتلك العبارات أفهم، وإلى تلك الألفاظ أميل، وإليها أحن وبها أشغف " [3].

أي ضرورة مراعاة الطبقة الثقافية للمخاطب، والخطيب إذا كان متكلما وجب عليه أن يضع في حسبانه تنوع الثقافات والمستويات بين الجمهور .

د_ ملاءمة الكلام لما ينتظره المتلقي :

لأن المتلقي عنصر أساس في نظم الكلام وتعليق الألفاظ بعضها ببعض، لا يستطيع المتكلم إغفاله بحال... فالمتكلم يراعي حال المخاطب ونوع الفائدة التي ينتظرها من الكلام وإذا لم يعدل المتكلم كلامه وفقا لتلك الحال، لم يكن لكلامه فائدة عند مخاطبه [4].

6-3-4- الملاءمة بين الكلام و المقام:

يرمي هذا الفرع من فروع مقياس الملائمة إلى تكليف الكلام مع المقام من حيث الكيف كما هو ظاهر من كلام البلاغيين القدماء عنه، ففي الوقت الذي كان فيه العرب

---

[1]) حامد صالح خلف الربيعي، مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء، ص 399 .

2) الجاحظ ، البيان والتبيين، ج 1، ص 144.

3) المرجع نفسه،ج 1، ص 139.

4) حامد صالح خلف الربيعي، المرجع السابق، ص 405.

يميلون إلى الإيجاز ويرون فيه مقياسا بلاغيا لا ينازعه غيره، ظهر مقياس آخر عرف بالإطناب ووجد له أنصارا خاصة في ميدان الخطابة[1].

ويبدو أن الذين يميلون إلى الإيجاز إنما مالوا أليه لأنه عندهم يقابل التطويل والإسهاب كما أن الإطناب عند أصحابه يقابله التقصير والإخلال، فلما ظهر مقياس الملاءمة قضى على هذا التعدد، فلم يعترف بالإخلال كما لم يعترف بالتطويل وأخرجهما من دائرة البلاغة واعتمد على ثنائية الإيجاز والإطناب وقابل بينهما فكان كل منهما مظهرا بلاغيا [2].

ولقد استقرت فكرة الملائمة بين الكلام والمقام منذ القرن الثالث حين رد ابن قتيبة على أحد ممن كانوا يفضلون الإيجاز، قال:" وقال أيضا: واجمع الكثير مما تريد في القليل مما تقول يريد الإيجاز وهذا ليس بمحمود في كل موضع، ولا بمختار في كل كتاب، بل لكل مقام مقال ولو كان الإيجاز محمودا في كل الأحوال لجرده الله تعالى في القرآن، ولم يفعل الله ذلك، ولكنه أطال تارة للتوكيد وحذف تارة للإيجاز وكرر تارة للإفهام... وليس يجوز لمن قام مقاما في تحضيض على حرب أو حمالة بدم، أو صالح بين عشائر أن يقلل الكلام ويختصره، ولا لمن كتب إلى عامة كتابا في فتح أو استصلاح أن يوجز" [3].

ويبدو أن أول من وضع الملاءمة بين الكلام والمقام كمقياس بلاغي في صيغتها النهائية هو الرماني[4].

وهكذا تتضح أهمية مقياس الملاءمة، وما يتحقق به للنص الأدبي من أبعاد جمالية على مختلف المستويات والعناصر التي تشترك في تكوينه.

1) حامد صالح خلف الربيعي، مقياس البلاغة بين الأدباء والعلماء، ص 406 .

2) ينظر ، المرجع نفسه، ص نفسها.

3) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، أدب الكاتب، تحقيق، محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، د ط، 1981 م ص 19، 20 .

4) حامد صالح خلف الربيعي، المرجع السابق، ص 409.

7- أبواب البلاغة:

لقد فرق بعضهم بين علم المعاني وعلم البيان، بأن علم المعاني يتعلق بالأمور اللفظية من الذكر والحذف و نحوهما: وعلم البيان يتعلق بالأمور المعنوية من التشبيه والمجاز وغيرهما أما علم البديع فيتعلق بالأمرين معا[1].

ونحن سنوجز دراستنا على علم المعاني مؤجلين دراسة علم البيان إلى الدراسة التداولية:

7-1- تعريف علم المعاني:

يرجع أصل علم المعاني إلى نظرية النظم *التي وضعها عبد القاهر الجرجاني[2].

وقد عرفه الخطيب –علم المعاني–: " بأنه علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال " [3].

ومهما تعددت التعريفات وكثرت الأقوال، فلن تخرج عن هذا التعريف، وهو العلم الذي يدلك على أن لكل مقام مقال[4].

وقد عرفه بعضهم بأنه" علم يبحث فيه عن أحوال التراكيب العربية من حيث السكات والمزايا بعد فهم المعاني الأصلية من علم النحو"[5].

7-2- وظيفة علم المعاني:

يتضح من التعريفات السابقة أن الهدف من علم المعاني هو الاحتراز عن الخطأ في مطابقة الكلام بمقتضى الحال، ومعنى هذا أن للتراكيب من الوجهة البلاغية مستويين:

---

1) عبد المتعال الصعيدي، البلاغة العالية، ص 38.

* النظم: تعليق الكلام بعضه على بعض، أو هو توخي معاني النحو.

2) فضل حسن عباس، البلاغة فنونها و أفنانها، ص 85.

3) عبد المتعال الصعيدي، المرجع السابق، ص 38.

4) فضل حسن عباس، المرجع السابق، ص 88.

5) عبد المتعال الصعيدي، المرجع السابق، ص 39.

مستوى الصواب ومستوى الخطأ، ولتحقق الأول، وتوقي الثاني فإنه لابد من قاعدة ثابتة لا تنخرم لأن المستوى الصوابي الذي يتوخاه علم المعاني لا يتحقق إلا بالابتعاد عن نقيضه[1].

7-3- أبواب علم المعاني:

اختلف حصر أبواب علم المعاني، فمنهم من جعل منها ثلاث أبواب هي:

1- أحوال الإسناد مطلقا خبريا أو إنشائيا.

2- أحوال الطرفين والمتعلقات مع المفعول وغيره من الفضلات.

3- أحوال الجملة في ذاتها بقطع النظر عن طرفيها ومتعلقاتها[2].

كما انحصرت مضامين البحث عن مطابقة الكلام بمقتضى الحال في ثمانية أبواب هي:

1- أحوال الإسناد الخبري.

2- أحوال المسند إليه.

3- أحوال المسند.

4- أحوال متعلقات الفعل.

5- القصر.

6- الإنشاء.

7- الفصل و الوصل.

8- الإيجاز و الإطناب و المساواة[3].

7-3-1- أحوال الإسناد الخبري:

لقد استثمر البلاغيون ذلك الحوار الذي دار بين الكندي المتفلسف والمبرد، ذلك أن الكندي سأل أبا عباس: "قائلا: إني أجد في كلام العرب حشوا، يقولون: عبد الله قائم ثم

1) حامد صالح خلف الربيعي، مقاييس البلاغة بين الأدباء و العلماء، ص 541، 542.

2) عبد المتعال الصعيدي، البلاغة العالية، ص 41.

3) جلال الدين عبد الرحمن الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة ، شرح و تعليق محمد عبد المنعم خفاجي مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، مصر، ج 1، ط 2، 1984 م، ص 55.

يقولون إن عبد الله قائم، ثم يقولون إن عبد الله لقائم، والمعنى واحد، قال المبرد: بل المعاني مختلفة فقولهم: عبد الله قائم، إخبار عن قيامه وقولهم: إن عبد الله قائم، جواب عن سؤال سائل، وقولهم: إن عبد الله لقائم، جواب عن إنكار منكر قيامه " [1].

ويتضح لنا من جواب المبرد أنه ينبه إلى ضرورة مراعاة حال المخاطب لأن المخاطب بالنسبة للخبر لا يعدوا أن يكون واحدا من ثلاثة: فقد يكون خالي الذهن من مضمون الخبر وقد يكون مترددا في قبوله، حيث لم يترجح عنده نعته أو ثبوته، وقد يكون منكرا له[2].

ومن هنا فقد جعل البلاغيون الخبر ثلاثة أظرف باعتبار حال المخاطب سموا الأول ابتدائيا وهو الخالي من المؤكدات، ويخاطب به خالي الذهن من الحكم بأحد طرفي الخبر على الآخر وسموا الثاني طلبيا؛ وهو ما يحسن تفويته بمؤكد ويخاطب به المتردد في قبول الحكم، وسموا الثالث إنكاريا، وهو ما يستوجب التوكيد بمؤكد أو أكثر، ويخاطب به من كان منكرا للحكم ويكون عدد المؤكدات بحسب درجة الإنكار [3].

7-3-2- حذف المسند إليه:

يقول السكاكي: " أما الحالة التي تقتضي طي ذكر المسند إليه فهي، إذا كان السامع مستحضرا له، عارفا منك القصد إليه عند ذكر المسند، والترك راجع إما لضيق المقام وإما للاحتراز عن العبث بناء على الظاهر، وإما لتخييل أن في تركه تعويلا على شهادة العقل وفي ذكره تعويلا على شهادة اللفظ من حيث الظاهر، و كم بين الشهادتين وإما لإيهام أن في تركه تطهيرا للسان عنه، أو تطهيرا له من لسانك، وإما للقصد إلى عدم التصريح ليكون لك سبيل إلى الإنكار إن مست إليه حاجة، وإما لأن الخبر لا يصلح إلا له حقيقة

1) أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق، عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1982 م ص 259.

2) حامد صالح خلف الربيعي، مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء، ص 556.

3) ينظر ، الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة، ج 1، ص 69.

كقولك: خالق لما يشاء فاعل لما يريد، أو إدعاء وإما لأن الاستعمال وارد على تركه أو ترك نظائره كقولهم: نعم الرجل زيد على قول من يرى أصل الكلام: نعم الرجل هو زيد وإما لأغراض سوى ما ذكر، مناسبة في باب الاعتبار بحسب المقامات لا يهتدي إلى أمثالها إلا العقل السليم، والطابع المستقيم وقلما ملك الحكم هناك شيء غيرهما " [1].

فهو يرى إمكانية تزايد الأحوال والأغراض، طالما هناك مقامات تقتضي وأغراض تستدعي[2]، ولقد زاد البلاغيون عددا من الدواعي في هذا الموطن من ذلك[3]:

1- اختبار تنبه السامع، أو مقدار تنبه.

2- خوف فوات فرصة سانحة.

3- المحافظة على سجع أو قافية.

4- إخفاء الأمر عن غير المخاطب.

5- جهل الفاعل.

6- تعجيل المسرة أو البشرى السعيدة.

7- تكثير الفائدة باحتمال أمرين .

8- المدح أو الذم أو الترحم.

ويكفي أن نقول بالربط بين الظاهرة والحالة التي تقتضيها في كل سياق.

1) أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، ص 265، 266.

2) حامد صالح خلف الربيعي، مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء، ص 558.

3) المرجع نفسه، ص نفسها.

7_3_3- تقديم المسند:

وهو ما يطلب فيه مطابقة اللفظ لمقتضى الحال[1]، فقد جمع البلاغيون دواعي تقدم المسند عليه فيما يلي[2].

أ- تخصيص المسند إليه: كما في قوله تعالى: ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾ [الكافرون، الآية (06)].

ب- التنبيه من أول الأمر على أنه خير لا نعت، كقول الشاعر:

له همم لا منتهى لكبارها وهمته الصغرى أجل من الدهر

جـ- التفاؤل بتقديم ما يسر: كما في قول الشاعر:

سعدت بغرة وجهك الأيام وأزَّينت ببقائك الأعوام

د- التسويق إلى ذكر المسند إليه: كما في قول الشاعر:

ثلاثة تسرق الدنيا ببهجتها شمس الضحى وأبو إسحاق و القمر

وقد ثبتت هذه الدواعي، وتناولها الدارسون قديما وحديثا بشواهدها دون زيادة، فاكتفوا بذكر هذه الدواعي والأغراض [3].

7_3_4- القصر:

في الاصطلاح البلاغي يعني تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص، أي جعل

1) ينظر، أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، ص 267، 268.

2) حامد صالح خلف الربيعي، مقياس البلاغة بين الأدباء والعلماء، ص 559 .

3) ينظر، عبده قليقلة، البلاغة الاصطلاحية، ص 214.

الشيء خاصا بالشيء، أو بعبارة أخرى، جعل شيء مقصورا على شيء بحيث لا يتعداه إلى غيره، وقد قيل إن الأول هو المقصور والثاني هو المقصور عليه[1].

وقد عالج البلاغيون أسلوب القصر في ضوء مطابقة الكلام لمقتضى الحال فكثرت أقسامه لأن الأحوال التي يرتبط بها وتراعى فيه متعددة، وكل منها يقتضي مطابقة تتناسب مع طبيعته فهناك مطابقة باعتبار الغرض من الكلام ومطابقة باعتبار حال المقصور ومطابقة باعتبار حال المخاطب.

أولا : باعتبار الغرض من الكلام :

ينقسم القصر بهذا الاعتبار إلى قسمين حقيقي وإضافي: " لأن تخصيص الشيء بالشيء إما أن يكون بحسب الحقيقة و نفس الأمر، بأن لا يتجاوز إلى غيره أصلا وهو حقيقي، أو بحسب الإضافة والنسبة إلى شيء آخر، بأن لا يتجاوز إليه، وهو غير حقيقي بل لإضافي، لأن تخصيصه بالمذكور ليس على الإطلاق بل بالإضافة إلى معين آخر كقولك: ما زيد إلا قائم بمعنى أنه لايتجاوز القيام إلى القعود و نحوه، لا بمعنى أنه لا يتجاوزه إلى صفة أخرى أصلا " [2].

أي أن غرض المتكلم هو الذي يستدعي النوع الذي يلاءمه من هذين النوعين.

وقد توسع علماء البلاغة في التقسيم والتفريغ لهذين القسمين ففرقوا بين نوعين للقصر الحقيقي، ونوعين للقصر الإضافي.

1) حامد صالح خلف الربيعي، مقياس البلاغة بين الأدباء والعلماء ، ص 560.

[2]) المرجع نفسه، ص 561، نقلا عن، سعد الدين التفتزاني، المطول على التلخيص، مطبعة احمد كامل، اسطنبول تركيا، 1809م، ص 204.

فالقصر الحقيقي ينقسم إلى [1]:

أ-حقيقي تحقيقي:

والمراد به ما كان النفي فيه عاما يتناول كل ما عدا المقصور عليه في حقيقة الأمر وواقع الحال، نحو: " ما كاملٌ إلا الله " ففيه قصر صفة الكمال على الله سبحانه بحيث لا يتصف بها غيره.

ب- حقيقي إدعائي :

أو على سبيل الإدعاء و المبالغة، و المراد أن يكون النفي عاما يتناول كل ما عدا المقصور عليه إدعاء و مبالغة، نحو لا فتى إلا علي، إذا كان هناك فتيان غير علي ولكن المتكلم لا يعتد بصفة الفتوة فيهم، مبالغة في كمال تلك الصفة في علي ونقصها في غيره.

كما أن القصر الإضافي ينقسم إلى : [2].

أ- **إضافي حقيقي :**

وهو أن يختص المقصور بالمقصور عليه بالنسبة لمعين ، لا لجميع ما عداه مثل : ما زيدا إلا أديب ، حيث قصر زيد على الأدب بحيث لا يتعداه إلى كونه طبيبا أو مهندسا .

ب- إضافي إدعائي :

وهو أن يختص المقصور بالمقصور عليه على سبيل الإدعاء، مثل لا عالم إلا زيد حيث قصر العلم على زيد بالنسبة إلى عَمرو، إذا كان عمروا عالما كذلك.

---

[1]) حامد صالح خلف الربيعي، مقياس البلاغة بين الأدباء والعلماء ، ص 563 .

2) المرجع نفسه ، ص 563 .

ثانيا : باعتبار حال المقصور:

فكل من القصر الحقيقي والقصر الإضافي يأتي على ضربين بحسب ما يقتضيه حال المقصور؛ هما " قصر الموصوف على الصفة، وقصر الصفة على الموصوف " [1].

أ _ قصر الموصوف على الصفة:

فالأول أن لا يتجاوز الموصوف تلك الصفة إلى صفة أخرى، لكن يجوز أن تكون تلك الصفة لموصوف آخر مثل: ما زيد إلا كاتب، إذا أريد أنه لا يتصف بغير الكتابة من الصفات أصلا، هذا إذا كان القصر حقيقيا، و الثاني أن يتكلم بأن هذا الموصوف لا يتجاوز هذه الصفة إلى صفة أخرى واحدة أو صفات أخرى معنية نحو: ما المتنبي إلا شاعر، وما الجاحظ إلا كاتب حيث قصر الموصوف على الصفة قصرا إضافيا فالمتنبي لا يتعدى الشعر إلى الكتابة، والجاحظ لا يتعدى الكتابة إلى الشعر[2].

ب- قصر الصفة على الموصوف :

فالأول أن تتجاوز تلك الصفة ذلك الموصوف إلى موصوف آخر، لكن يجوز أن يكون لذلك الموصوف صفات أخرى، نحو: ما في الدار إلا زيد على معنى أن الكون في الدار مقصور على زيد، هذا إذا كان القصر حقيقيا، والثاني أن يحكم بأن هذه الصفة لا تتجاوز هذا الموصوف إلى موصوف آخر معين متحد (واحد) أو متعدد، وإن كانت هي تتجاوز

1) الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ج 3، ص 7.

2) ينظر، حامد صالح خلف الربيعي، مقياس البلاغة بين الأدباء والعلماء، ص ص 564، 566.

إلى غير ذلك المعين، إذا كان القصر إضافيا مثل ما شاعر إلا زيد، لمن يعتقد أن الشعر وصف لَعمرو فقط[1].

ثالثا: باعتبار حال المخاطب:

وقد حصر البلاغيون أحوال الخطابين بالنسبة لأسلوب القصر في ثلاثة أنواع، " إذ المخاطب لا يخرج عن كونه إما معتقدا الشركة في الحكم، وإما معتقدا العكس، وإما مترددا في الحكم بين المقصور عليه و غيره "[2].

وقد انقسم القصر وفق هذا الأساس إلى ثلاث أقسام:

أ- **قصر الإفراد:**

والمراد به: "خصيص أمر بصفة دون أخرى، وتخصيص صفة بأمر دون آخر" [3] فالمخاطب يفهم من قولنا: ما زيد إلا كاتب، من يعتقد أن زيدا كاتب وشاعر، وبقولنا: ما شاعر إلا زيد، من يعتقد أن زيدا شاعرا، لكن يدعي أن عمرا أيضا شاعرا[4].

ب- **قصر القلب:**

وهو تخصيص أمر بصفة مكان أخرى، وتخصيص صفة بأمر مكان آخر [5] فالمخاطب بقولنا: ما زيد إلا قائما: من يعتقد اتصافه بالقعود دون القيام والمخاطب بقولنا:

1) حامد صالح خلف الربيعي ، مقياس البلاغة بين الأدباء والعلماء ، ص 566.

2) المرجع نفسه، ص 567.

3) الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ج 3، ص 13.

4) حامد صالح خلف الربيعي، المرجع السابق، ص 567.

5) الخطيب القزويني، المرجع السابق، ص 15 .

ما شاعر إلا زيد من اعتقد أن الشاعر عَمرو لا زيد [1].

جـ – قصر التعيين:

ويقصد به تعيين مبهم عند المخاطب، وتخصيصه بواحد معين، سواء كان من قصر الموصوف على الصفة أو قصر الصفة على الموصوف، فهو تخصيص أمر بصفة دون غيرها أو تخصيص صفة بأمر دون غيره[2].

فمثلا إذا قلنا: ما زيد إلا قائم، يعتقد المخاطب أنه قائم أو قاعد، ولا يعرفه على التعيين وبقولنا ما شاعر إلا زيد، من يعتقد أن الشاعر إما زيد أو عَمرو.

7_3_5- الإيجاز و الإطناب و المساواة:

وهذه المصطلحات الثلاثة متلازمة اعتاد علماء البلاغة على إدراجها معا في عملية تبويب مباحث علم المعاني والكيفيات التي يطابق بها الكلام مقتضى الحال فالكلام البليغ لا يخرج عن ثلاثة، فهو إما أن يكون إيجازا أو إطنابا، أو مساواة[3].

وقد ساد تقسيم الكلام إلى مساو، وموجز، ومطنب.

فكل معنى في الأصل لفظ يساويه كميا، فإذا نقص اللفظ عن ذلك المعنى، وكان وافيا فهو إيجاز، وإن كان زائدا عليه لفائدة اقتضت تلك الزيادة فهو إطناب.

1) حامد صالح خلف الربيعي، مقياس البلاغة بين الأدباء والعلماء ، ص 567.

2) المرجع نفسه، ص 588 .

3) المرجع نفسه، ص 588.

الفصل الثالث

المفاهيم التداولية بين الغرب والعرب

1- علاقة البلاغة بالتداولية

2- مميزات البحث التداولي

3- فروع التداولية و مهامها

4- أبرز أنشطة التداولية

5- مفاهيم أساسية في التداولية

6- التفكير التداولي الغربي

7- ملامح التفكير التداولي في التراث العربي .

فتحت التداولية آفاقا جديدة أمام الدرس اللغوي، إذ قامت بتغيير خارطة الاهتمامات معيدة ما همش من مواضيع للواجهة.

ويبدو مصطلح التداولية (pragmatique)على درجة من الغموض إذ يقترن به في اللغة الفرنسية، المعنيان التاليان: "محسوس" و "ملائم"، أما التداولية في الإنجليزية وهي اللغة التي كتبت بها أغلب النصوص المؤسسة للتداولية، فإن كلمة (pragmatic) تدل في الغالب على ماله علاقة بالأعمال والوقائع الحقيقية، هكذا يبدوا لأول وهلة،أن الحقل الذي فتحه هذا الاختصاص العلمي المسمى تداولية ضخم ووصف عموما بأنه كيان غامض، أو وعاء جديد توضع فيه الأعمال الهامشية التي لا تنتمي إلى الاختصاصات المؤسسة وهي اللسانيات وعلم الاجتماع والأنتربولوجيا، وعلم النفس الاجتماعي والدلائلية...نحو المشاكل التي أثارتها هذه الاختصاصات ولم تتوصل إلى معالجتها بشكل مرض، ومن بين أهم أعلامها نجد أوستن (Austin) وسورل (Searle) وغرايس (Grice). [1]

وتعني التداولية في سبيل دراستها، بأقطاب العملية التواصلية، فتهتم بالمتكلم ومقاصده بعده محركا لعملية التواصل، وتراعي حال السامع أثناء الخطاب، كما تهتم بالظروف والأحوال الخارجية المحيطة بالعملية التواصلية ضمانا لتحقيق التواصل من جهة ولتستغلها بالوصول إلى غرض المتكلم و قصده من كلامه من جهة أخرى.

[1]) ينظر، مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط12005 م ص 16 .

1- علاقة التداولية بالبلاغة:

يعد هذا العمل ضربا من ضروب الدراسات التي تعمل على قراءة التراث البلاغي قراءة معاصرة تستثمر بعض المناهج اللسانية المستحدثة، التي تعرف البلاغة بأنها "فن القول بشكل عام أو فن الوصول إلى تعديل موقف المستمع أو القارئ "[1].

هذا بالنظر إلى البلاغة الكلاسيكية أما البلاغة الحديثة فتعرف بأنها: "نظرية الحجاج التي تهدف إلى دراسة التقنيات الخطابية وتسعى إلى إثارة موالاة عقول الناس للأفكار المعروضة عليهم للقبول إثارة والبلاغة الجديدة تفحص أيضا الشروط التي تسمح للحجاج بأن يبدأ ثم يتطور، كما تفحص الآثار الناجمة عن ذلك التطور "[2].

هذا التعريف يبين إلى أي مدى تمثل البلاغة الجديدة استمرار للبلاغة الكلاسيكية وإلى أي مدى تختلف عنها.

يعتبر الباحث "لوسبرج" البلاغة نظاما له بنية من الأشكال التصورية واللغوية يصلح لإحداث التأثير الذي ينشده المتكلم في موقف محدد، ويرى "ليتش" أن البلاغة تداولية في صميمها إذ أنها ممارسة الاتصال بين المتكلم والسامع بحيث يحلان إشكالية علاقتهما باستخدام وسائل محددة للتأثير غير أن دارسي التداولية يرون ضرورة تضييق مجال البلاغة باعتبارها أداة درائعية؛ فالتداولية إذن قاسم مشترك بين أبنية الاتصال النحوية والدلالية والبلاغية[3]، ثم نمت التداولية وتطورت وتوسع مجال اهتمامها بعد أن كانت

1) نعمان بوقرة، اللسانيات اتجاهاتها و قضاياها الراهنة، علم الكتب الحديثة، ط 1، 2009 م، ص 166.

2) صابر الحباشة، مغامرة المعنى من النحو إلى التداولية، صفحات للدراسات و النشر، ط 1،2011 م، ص29.

3) نعمان بوقرة، المرجع السابق،ص 166.

مجالا من مجالات السيمياء وأصبح لها رواد كثر من لسانيين ومناطقة أسهموا في تطويرها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة [1] .

فالتداولية بوصفها علما يدرس النصوص المنتجة في سياقات تواصلية معينة تفتح المجال للباحث لكي يتفهم الدلالة العامة وتفرعاتها، في ضوء المتغيرات اللغوية، مع التركيز على العوامل التي تؤثر في الاختبارات اللغوية، وربط ذلك بالسياق الاجتماعي الذي يتطلب فهمه وكشف مقوماته الاندماج في فهم متطلبات الفلسفة التحليلية الحديثة وعلم النفس المعرفي وعلم التواصل والسيمياء[2].

كما أنه بالنظر إلى المفاهيم التي قدمت للتداولية، نرى بأن البلاغة تداولية في جوهرها كونها تهتم بكيفية إنتاج النص لدى المتكلم، وآلية فهمه لدى السامع ومدى مراعاة الظروف والأحوال الملتبسة بانجازه، وذلك أنها تأخذ بعين الاعتبار وضع المتكلم أثناء إصدار الحدث الكلامي وحال السامع وهيأته وتأثير العناصر السياقية والمقامات المختلفة فكل هذا من صميم بحث التداولية، سواء كان ذلك عند الأصوليين أو البلاغيين أو اللغويين؛ فاللغة عندهم نظام محكم البناء تشكل لبانته ألفاظا وتراكيب تضمن التعبير بدقة عن المعاني المختلفة ، واستعمالها يرتبط ارتباطا وثيقا بأدائها التواصلي [3].

كما اهتم القدماء في دراساتهم اللغوية بالسامع واعتبروا في ذلك المخاطبة مع مراعاة دور المتكلم في صياغة الخطاب و إنتاجه، فاهتموا بذلك بالعناصر الفاعلة في الإبداع وبمعيار

1) مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص26.

2) نعمان بوقرة ، ملامح التفكير التداولي البياني عند الأصوليين،بحوث و دراسات إسلامية المعرفة، السنة الرابعة عشر العدد 54، خريف 2008 م، ص136.

3) نسيمة نابي،مناهج البحث اللغوي عند العرب في ضوء النظريات اللسانية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير،جامعة مولود معمري ، تيزي وزو،السنة الجامعية 2010 م،2011م ، ص 53.

الصدق و الكذب في الأساليب و التمييز بين الحقيقة و المجاز و كل هذه الأمور تعبر عن التفكير التداولي لدى اللغويين العرب [1].

*** البلاغة الكلاسيكية:**

تصنف البلاغة الكلاسيكية الخطاب إلى خمسة أصناف هي [2]:

1- قسم البصر بالحجة (L'invention) : ويتعلق باستكشاف الأفكار والحجج انطلاقا من وجهات نظر مختلفة ممكنة.

2- قسم الترتيب(La disposition): ويتحقق عبر اختيار تنظيم للحجج يوسم بكونه تنظيما استراتيجيا، ونعني بالتنظيم عملية التخطيط.

3- قسم العبارة(Locution): وتتمثل في اختيار الأسلوب وإيقاع الخطاب ويتضمن استخدام الصور البلاغية، مثل : الاستعارة، المبالغة، والكناية ...

4- قسم الاستظهار(La memoire): وهو يخص عملية البحث عن وجهات النظر وذلك بواسطة التصنيف الذي يهدف من خلاله المتكلم إلى تنظيم المقولات التجريبية المتضمنة سلفا في الخطاب.

5- قسم العمل (Laction): وهو اختيار التنغيمات (Intonation) والهيئات والحركات.

1) نسيمة نابي،مناهج البحث اللغوي عند العرب في ضوء النظريات اللسانية ، ص 54.

2) فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ترجمة، صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع سورية ط 1 2007 م، ص 24 ، 25.

2- مميزات البحث التداولي:

من أقرب التعاريف التي قدمت للتداولية قبولا هو: "كونها دراسة اللغة في الاستعمال (in use) أو في التواصل(in interaction) لأنه يشير إلى أن المعنى ليس شيئا متأصلا في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلم وحده، فصناعة المعنى تتمثل في تداول (negoliation) اللغة بين المتكلم والسامع في سياق محدد (مادي اجتماعي، ولغوي) وصولا إلى المعنى الكامن في كلام ما "[1].

ولهذا نجد بعض الباحثين يميزون التداولية عن غيرها من اتجاهات دراسة البحث اللغوي بما يلي[2]:

1- التداولية تقوم على دراسة الاستعمال اللغوي أو هي لسانيات الاستعمال اللغوي وموضوع البحث فيها هو توظيف المعنى اللغوي في الاستعمال الفعلي من حيث هو صيغة مركبة من السلوك الذي يولد المعنى .

2- ليس للتداولية وحدات تحليل (units of analysis) خاصة بها، ولا موضوعات مترابطة (correlational topics).

3- التداولية تدرس اللغة من وجهة وظيفية عامة (معرفية cognitive واجتماعية social، و ثقافية cultural).

4- تعد التداولية نقطة التقاء (point of convergence) مجالات العلوم ذات الصلة باللغة بوصفها وصلة بينها وبين لسانيات الثروة اللغوية Linguistics of language) resources) .

1) محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر د ط 2002م، ص14.

2) المرجع نفسه، ص 14، 15.

هذا ما يميز به بعض الباحثين التداولية عن غيرها من مجالات أو اتجاهات دراسة البحث اللغوي.

3- فروع التداولية و مهامها:

3-1- فروع التداولية:

لما كان مجال البحث في التداولية شديد الاتساع، أخذت تظهر لها فروع يتميز كل منها عن الآخر وهي[1]:

3_1_1_ التداولية الاجتماعية: (Sociopragmatics)، التي تهتم بدراسة شرائط الاستعمال اللغوي المستنبطة من السياق الاجتماعي.

3_1_2_ التداولية اللغوية: (Linguistic pragmatics)، التي تهتم أو تدرس الاستعمال اللغوي من وجهة نظر تركيبية (structural)، أي إنها تنطلق من السياق الاجتماعي إلى التركيب اللغوي.

ومن الملحوظ أن التداولية اللغوية تنطلق من اتجاه مقابل للتداولية الاجتماعية فإذا كانت التداولية اللغوية تنطلق من السياق الاجتماعي إلى التركيب اللغوي، فإن التداولية الاجتماعية تنطلق من التركيب اللغوي إلى السياق الاجتماعي الذي تستخدم فيه.

3-1-3- التداولية التطبيقية: (Applied pragmatics)، وهي تعنى بمشكلات التواصل في المواقف المختلفة وبخاصة حين يكون للاتصال في موقف بعينه نتائج خطيرة كالاستشارة الطبية، وجلسات المحاكم.

3-1-4- التداولية العامة :(General pragmatics)، وهي تعنى بدراسة الأسس التي يقوم عليها استعمال اللغة استعمالا اتصاليا.

1) محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص15.

" وهناك أيضا التداولية الاستراتيجية التي ترى بأن التداولية هي نظرة غير ذهنية للمقصدية الخطابية، والتداولية المتعالية التي ترى بأنها الأداة المتميزة في تحقيق المشروع الفلسفي، وهي تداولية ذات اتجاه أخلاقي، والتداولية الحوارية وهي هنا تعني دراسة الشروط القبلية للتواصلية، ومهمتها هي التقيد بالبحث "[1].

3-2- مهام التداولية ووظائفها:

يعد أول تحديد لوظيفة التداولية ما جاء به " شارلز موريس "(Charles morris) 1938م، " الدلالة تبحث في علاقة العلامات بمدلولاتها، والتداولية تهتم بعلاقة العلامة بمؤولها "[2].

ونوجز مهام التداولية فيما يلي:

- دراسة "استعمال اللغة" التي لا تدرس البنية اللغوية ذاتها، ولكن تدرس اللغة عند استعمالها في الطبقات المقامية المختلفة، أي باعتبارها "كلاما محددا " صادرا من " متكلم محددا " وموجها إلى "مخاطب محددا" بـ " لفظ محدد" في " مقام تواصلي محدد " لتحقيق " غرض تواصلي محدد".

- شرح كيفية جريان العمليات الاستدلالية في معالجة الملفوظات.

- بيان أسباب أفضلية التواصل غير المباشر وغير الحرفي على التواصل الحرفي المباشر.

- شرح أسباب فشل المعالجة اللسانية البنيوية في معالجة الملفوظات.

---

[1]) موسى جمال، تجليات مفاهيم التداولية في التراث العربي، تفسير الرازي لسورة المؤمنون نموذجا، رسالة ماجيستير كلية الآداب و اللغات، قسم علوم اللسان، 2008م، 2009 م، ص 17.

2) المرجع نفسه ، ص 18.

وعليه فإن بعض الدارسين يعولون على التداولية في تحقيق مجموعة من الرهانات تعبر عنها الأسئلة التالية:

* كيف نصف الاستدلالات في عملية التواصل، علما بأن الاستدلالات التداولية غير مُقَلنة، وربما كانت غير مقنعة في كثير من الأحيان ؟.

* ما هو نموذج التواصل الأمثل ؟ أهو الترميز أم الاستدلال ؟ .

* ما هي العلاقة بين الأنشطة الإنسانية الآتية: اللغة والتواصل والإدراك ؟ وما هي العلاقة بين الفروع المعرفية المشتغلة بهذه الأنشطة (أي علم النفس وعلم التواصل وعلم النفس المعرفي) ؟ [1].

كذلك تهدف التداولية إلى تطوير نظرية الأفعال الكلامية، أي الأنماط التي تمثل الأفعال المحسوسة والشخصية التي ننجزها أثناء الكلام، واضعة بذلك موضع السؤال التقابل السوسيري بين اللغة والكلام، ورافضة اعتبار هذا الأخير موضوعا غير قابل للدراسة المنهجية [2].

4_ أبرز أنشطة التداولية :

يمكن أن نجملها فيما يلي:

- " دراسة استعمال اللغة " عوضا عن " دراسة اللغة "، فاللسانيات – كما هو معلوم – تتفرع للدراسة الثانية أي لدراسة المستويات الصوتية والتركيبية وربما الدلالية، فقد تحولت مع البنيويين إلى علم تجريدي مغلق ذي إجراءات داخلية خالصة، يؤمن بكيانية البنية

1) مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 26، 27.

2) زياد عز الدين العوف، التداولية تعلم فرناند هالين ،مجلة الأداب الأجنبية، العدد 125، شتاء 2006 م.

اللغوية في مستواها الصوري المجرد، في حين أن دراسة استعمال اللغة لا ينحصر ضمن الكينونة اللغوية بمعناها البنيوي الضيق وإنما تتجاوزها إلى أحوال الاستعمال في الطبقات المقامية المختلفة حسب أغراض المتكلمين وأحوال المخاطبين.

– دراسة الآليات المعرفية (المركزية) التي هي أصل معالجة الملفوظات وفهمها فالتداولية تقيم روابط وشيجة بين اللغة والإدراك عن طريق بعض المباحث في علم النفس المعرفي.

– دراسة الوجوه الاستدلالية للتواصل الشفوي، فتقيم من ثَم روابط وشيجة بين علمي اللغة والتواصل[1].

5– مفاهيم أساسية في التداولية :

5–1– مفهوم الفعل: ويتنبه إلى أن اللغة لا تختص بالكلام فقط، بل تخدم إنجاز أفعال، فالكلام هو أن نفعل، وبمعنى واضح: هو فعل في الآخرين وبمعنى غير ظاهر ولكنه واقعي: تدشين معنى، والقيام على كل حال بـ " فعل الكلام "؛ إذ يوجه مفعول الفعل هذا نحو مفاهيم أكثر دقة، وأكثر شمولية للتفاعل و التسوية [2].

5–2– مفهوم السياق: ويقصد به الوضعية الملموسة التي توضع وتُنطق من خلالها مقاصد تخص المكان والزمان، وهواية المتكلمين... وكل ما نحن في حاجة إليه، من أجل فهم وتقييم ما يقال، وهكذا ندرك مقدار أهميةالسياق حين نُحرم منه مثلا، وحين تُنقل إلينا

1) مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 28.

2) موسى جمال، تجليات مفاهيم التداولية في التراث العربي، رسالة ماجستير ص 20.

المقاصد عبر وسيط، وفي حالة معزولة عن السياق الذي يصبح مبهما عامة ودون قيمة[1].

5-3- مفهوم الانجاز: ويقصد بالانجاز طبقا للمعنى الأصلي للكلمة إنجاز الفعل في السياق، إما بمحايثة لقدرات المتكلمين، أي معرفتهم وإلمامهم بالقواعد وإما بتوجب إدماج التمرس اللساني بمفهوم أكثر تفهما، كالقدرة التواصلية[2].

5-4- متضمنات القول: مفهوم تداولي إجرائي يتعلق برصد جملة من الظواهر المتعلقة بجوانب ضمنية وحفية من قوانين الخطاب، تحكمها ظروف الخطاب العامة كسياق الحال وغيره [3].

5-5- الاستلزام الحواري: لاحظ بعض فلاسفة اللغة واللسانيين التداوليين وخصوصا غرايس، أن جملة اللغات الطبيعية في بعض المقامات تدل على معنى غير محتواها القضوي، وللإلمام بهذه الظاهرة اقترح غرايس 1975م، نظرية المحادثية التي تنص على أن التواصل الكلامي محكوم بمبدأ عام (مبدأ التعاون) وبمسلمات حوارية [4].

5-6- الفعل الكلامي: أصبح مفهوم الفعل الكلامي، (speech act) نواة مركزية في الكثير من الأعمال التداولية، وفحواه أنه كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، وفضلا عن ذلك، يعد نشاطا ماديا نحويا يتوسل أفعالا قوية (actes locutoires) لتحقيق أغراض انجازية (actes illocutoires) (كالطلب والأمر، والوعد...) وغايات

1) بعلي حنفاوى، التداولية البراغماتية الجديدة خطاب ما بعد الحداثة، مجلة اللغة و الأدب، جامعة الجزائر، العدد 17 جانفي 2006 م، ص 55.

2) المرجع نفسه، ص نفسها.

3) مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 30.

4)المرجع نفسه، ص 33.

تأثيرية (actes perlocutoires) تخص ردود فعل المتلقي (كالرفض والقبول)، ومن ثم فهو فعل يطمح إلى أن يكون فعلا تأثيريا، أي يطمح إلى أن يكون ذا تأثير في المخاطب اجتماعيا أو مؤسساتيا ومن ثم انجاز شيء ما[1].

6- التفكير التداولي الغربي:

6-1- الأفعال الكلامية:

الفعل الكلامي مفهوم نظري حديث النشأة ولد في رحاب الفلسفة التحليلية الغربية التي مهد لها الفيلسوف الألماني غوتلوب فريجة (G.frege) في مؤلفه " أسس علم الحساب " (Les fondements de l'arithmotiqe)، الذي كان بمثابة انقلاب فلسفي جديد[2]، " أحدث قطيعة معرفية ومنهجية بين الفلسفتين القديمة والحديثة كما ربط بين مفهومين تداوليين هامين، هما الإحالة والاقتضاء ولا شك في أن ذلك من نتائج اعتماد "التحليل" منهجا فلسفيا جديدا، وقد اقتفى الفيلسوف النمساوي لودفيع فيتنشتاين (L.wittgenstein) أثر فريجة... وأسس اتجاها فلسفيا جديدا سماه، فلسفة اللغة العادية وقوامها الحديث عن طبيعة المعنى في كلام الرجل (الإنسان) العادي، وأهم ما يميز فلسفة فيتنشتاين بحثه في المعنى، وذهابه إلى المعنى ليس ثابتا ولا محددا، ودعوته إلى تفادي البحث في المعنى المنطقي الصارم " [3].

6-2- أوستين:

6-2-1- الأفعال الكلامية عند أوستين:

بداية يمكن القول أن أوستن قسم الكلام قسمين:

---

1)مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 40.

2) صلاح الدين ملاوي، نظرية الأفعال الكلامية في البلاغة العربية، جامعة محمد خيضر، بسكرة ، الجزائر العدد الرابع جانفي 2009م ، ص 2.

3) مسعود صحراوي، المرجع السابق، ص 20.

أ- **قسم تقريري** *(Constatif)، مجاله الخبر الذي يحتمل قيمتي الصدق والكذب[1].

"أما الفلاسفة فلطالما توهموا حينما افترضوا أن شأن الحكم في القضية إما أن" يصف "حالة شيء ما، وإما أن " يثبت واقعة عينية " مما يعني أن حكم القضية إما أن يكون صادقا أو كاذبا" [2].

ب- قسم إنشائي(performatif) ، ينجز به المتكلم عملا، ولا يقتصر على مجرد الكلام به، ومن شروط نجاحه توافر عناصر الإرادة، القصد، القدرة وحسن النية ونحوهن من مقتضيات المقام التي تتناسب مع الأعمال الكلامية المنجزة[3]. "فهناك من الجمل ما يفيد في العادة الاستفهام، ومنها ما يفيد التعجب، والأمر والتمني، ومنها ما يفيد التعارض على وجه ما " [4].

وكل من الاستفهام والتعجب والأمر وغيرها هي مؤشرات الإنشائية في النحو العربي وما يحدد الإنشاء هو أن المتكلم بالقول يحقق – بموجب أداء القول- العمل [5].

وللتميز بين الإنشائي والوصفي عند أوستين نحقق بالضرورة ثلاث أعمال [6]:

أ- **العمل التصويتي:** ومفاده إنتاج بعض الأصوات.

---

1) صلاح الدين ملاوي، نظرية الأفعال الكلامية، في البلاغة العربية، ص3.

* هناك من يصطلح عليها : وصفي.

2) أوستن، نظرية أفعال الكلام العامة، كيف تنجز الأشياء بالكلام، ترجمة عبد القادر قينيني، إفريقيا الشرق، دط 1991م، ص13.

3) صلاح الدين ملاوي، المرجع السابق، ص3.

4) أوستين، المرجع السابق، ص13.

5) آن روبول، جاك موشلار، القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة مجموعة من الأساتذة والباحثين، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، ج1، ط2، 2010م، ص63.

6) المرجع نفسه، ص 64،65.

ب- العمل الصيغي: ومفاده إنتاج بعض الألفاظ في تركيب معين وتنظيم معين.

جـ- العمل التبليغي: ومفاده استعمال بعض التراكيب بدلالة معينة، وهذه الدلالة تتكون من معنى مكونات التركيب المستعمل وإحالته.

وقد تأثر بالتجديد الفلسفي الذي جاء به فريجة عدد من الفلاسفة، منهم: كارناب (Carnap)، أوستين (Austin)، سيرل (Searle)، وغيرهم[1].

ويعتبر أوستين الوريث الشرعي لتيار " فلسفة اللغة العادية " الذي عني بلغة التداول، فأوصى بمراعاة الجانب ألاستعمالي طبقا لمقامات التخاطب، وكان قد رأى أن الفلسفة حادت عن الصواب لما اعتدت بالأقوال الجازمة وحدها، لما تبين له أن ليست اللغة مجرد أداة لنقل الأفكار ووصف الأشياء، وإنما هي ميدان تنجز فيه أعمال (Actes) لا تنجز إلا في اللغة وباللغة [2].

فقد نظر أوستن إلى اللغة على أنها شكل من أشكال النشاط، وقد اختلف عن سابقيه في هذا الوصف باهتمامه بما ينجز فعلا [3].

وسنحاول بشيء من الاختصار الإشارة إلى الأفعال الكلامية وما اشتملت عليه في معناها عند كل من أوستين، وسيرل، وغرايس، وغيرهم.

وقد ميز أوستين بادئ الأمر بين نوعين من الأفعال:

أ\ أفعال إخبارية (Constative): وهي أفعال تصف وقائع العالم الخارجي وتكون صادقة أو كاذبة.

---

[1]) مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص21.

[2]) صلاح الدين ملاوي، نظرية الأفعال الكلامية، في البلاغة العربية، ص2.

[3]) جون إي جوزيف وآخرون، أعلام الفكر اللغوي التقليدي الغربي في القرن العشرين، ترجمة، أحمد شاكر الكلابي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط 1، 2006م، ص 149.

ب\ أفعال أدائية (performative): تنجز بها في ظروف ملائمة أفعال أو تؤدي وتوصف بصدق ولا كذب، بل تكون موفقة (happy) كما أطلق عليها، أو غير موفقة (unhappy)، ويدخل فيها التسمية والوصية، والاعتذار، والرهان، والنصح والوعد[1].

6-2-2- جوانب الأفعال الكلامية عند أوستين:

يرى أوستين أن وظيفة اللغة الأساسية ليست إيصال المعلومات والتعبير عن الأفكار إنما هي مؤسسة تتكفل بتحويل الأقوال التي تصدر ضمن معطيات سياقية إلى أفعال ذات صبغة اجتماعية، فمثلا حينما يقول القاضي: " فتحت الجلسة " يكون قد أنجز فعلا اجتماعيا وهو فتح الجلسة [2].

وقد توصل أوستين إلى أن الفعل الكلامي مركب من ثلاثة أفعال *، تعد جوانب مختلفة لفعل كلامي واحد، ولا يفصل أحدهما على الآخر.

الأفعال الكلامية الأدائية :

يقول أوستين في هذه الأفعال : "يبدو واضحا أن النطق بهذه العبارات ليست لوصف فعلي لما يقال عن أني أنطق الكلمات لأقوم بالفعل أو أصرّح أني أعمل ذلك الشيء : بل لفعل الشيء أصلا "[3].

ونذكر هنا أحد الأمثلة التي قدمها أوستين، وهو قول الشخص المعنى رسميا في المرحلة المناسبة من الاحتفالية. " أسمي هذه السفينة "، وهو بذلك لا ينشئ عبارة خبرية

1) محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في الدرس اللغوي المعاصر، ص43،44.

2) جمال موسى، تجليات مفاهيم التداولية في التراث العربي، ص 38، 39.

*وقد قسمها مسعود صحراوي في كتابه "التداولية عند العلماء العرب " إلى : 1- فعل القول (أو الفعل اللغوي) acte locutoire، 2- الفعل المتضمن في القول acte illocutoire، 3- الفعل الناتج عن القول acte perlocutoire.

3) جون إي جوزيف وآخرون، أعلام الفكر اللغوي، التقليد الغربي في القرن العشرين، ص 157.

وحسب، في الواقع هو لا يقول شيئا أساسيا على الإطلاق، إنما يقوم بتنفيذ إجراء معين يأخذ في مثل هذه الحالات صيغة النطق بكلمات معينة.

فجوهر العبارة الأدائية هو : "وجود شيء في اللحظة التي يقع فيها اللفظ من الشخص المتكلم، و يبرز ضمير المتكلم " أنا " الذي يقوم بالفعل بشكل أساسي في الصورة "[1].

✖ الفعل الكلامي التعبيري:

يقترح أوستين تسمية فعل قول الشيء " بالفعل التعبيري " والفعل التعبيري في الوقت ذاته فعل " صوتي " وفعل " تفاعلي " وفعل " بلاغي "، فالفعل الصوتي يتعلق بنطق أصوات معينة، والفعل التفاعلي يتعلق بنطق كلمات معينة، تعود إلى مفردات معينة وتتطابق مع نوع معين من النحو، أمَّا الفعل البلاغي فهو فعل استخدام تلك الكلمات بمعنى معين محدد إلى حدّ ما وإحالة محددة نوعا ما وهما يعادلان سوية المعنى [2].

وينصب اهتمام أوستين أساسا على مقابلة الفعل التعبيري مع الفعل التمريري والتأثيري؛ ومن الواضح أن الأفعال الثلاثية جميعا لها علاقة مباشرة بالمعنى.

✖ الفعل الكلامي الغرضي (الإنجازي):

لاحظ أوستين أن هناك قوة غرضية (force illocutoicutoire) في فعل الكلام التلفظي تصاحب المعنى الصريح والحرفي الذي يتيحه هذا الفعل ذلك أننا ونحن ننجز فعل الكلام الأدائي نقوم في ذات الوقت بانجاز تلفظات تعطي بعدا دلاليا أساسيا لهذا الفعل [3].

فيرى أوستين أن سمة " الأدائية " وظيفة (أو بالواقع الوظيفة الوحيدة) العبارات من

1) جون إي جوزيف وآخرون، أعلام الفكر اللغوي، التقليد الغربي في القرن العشرين، ص 159.

2) المرجع نفسه، ص 161، 162.

3) ينظر، جمال موسى، تجليات مفاهيم التداولية في التراث العربي، ص 39.

نوع معين خاص ـ تظهر ثانية في نهاية المطاف نتيجة لدراسة الأفعال الكلامية بشكل عام كونها خاصية أو سمة لكل عبارة ـ أي " القوة الكلامية لتلك العبارات " [1].

6-2-3- تصنيف أوستين للأفعال الكلامية:

لقد ارتأى أوستين أن يصنف الأعمال التي ينجزها بواسطة اللغة ومن حيث معناها إلى مجموعات وظيفية خمس:

1-الأفعال الدالة على الحكم (الحكميات): وتتمثل في حكم يصدره قاض أو حكم [2] وهي بعض الأفعال التي تبث في بعض القضايا بناء على سلطة معترف بها رسميا أو سلطة أخلاقية، ولا يشترط أن تكون دائما إلزامية، فهي قد تدل على التقييم أو التقويم لملاحظة وتشتمل على سبيل المثال أفعال التبرئة، الحكم التقدير، التحليل إصدار مرسوم ... وقد شبه أوستين فعل الحكم بالفعل القانوني المختلف عن الفعل التشريعي والتنفيذي الذي يدخل ضمن مجموعة أفعال الممارسة [3] .

2- أفعال الممارسة (التنفيديات): وهي الأفعال التي تجلى ممارسة الحق" كاتخاذ قرارات: التعيين، العزل، الطرد، نحوهم " [4]، أو تكون لها القوة في فرض واقع جديد مثل: الانتخاب، التعيين (الرسمي) الاستشارة الترشيح... وهو تحكيم أكثر منه تقدير وقرار أكثر منه حكم [5].

3-أفعال الوعد (الوعديات): وتتمثل فيما يقطعه المتكلم على نفسه من عهود ووعود[6] أو هي الأفعال التي تؤسس لدى المتكلم إلزامية القيام بعمل ما معترف به من قبل

1) جون إي جوزيف و آخرون، أعلام الفكر اللغوي، التقليد الغربي في القرن العشرين، ص 164.

2) صلاح الدين ملاوي، نظرية الأفعال الكلامية في البلاغة العربية، ص 4.

3) ينظر، موسى جمال، تجليات مفاهيم التداولية في التراث العربي، ص 40.

4) صلاح الدين ملاوي، المرجع السابق، ص 5.

5) ينظر، موسى جمال، المرجع السابق، ص 40.

6) صلاح الدين ملاوي، المرجع السابق ، ص 5.

المخاطب، إن المتكلم بتفوهه بالكلام يؤسس وجوب القيام بمحتوى كلامه ويحمل المخاطب على الاعتراف بهذه الإلزامية، مثل : القسم ، الرهان التعهد الضمان...[1].

4)أفعال السلوك (السلوكيات): وهي تشكل مجموعة متباينة مرتبطة بالسلوك الاجتماعي للمتكلم، وهي التي تعمل المتكلم على اتخاذ الموقف المنصوص عليه في القول إزاء المخاطب مثل : الاعتذار، التهنئة، التعزية، الشكر...[2].

أي إنها تتمثل فيما يكون رد فعل لحدث ما كالاعتذار التعاقد والقسم.

5)أفعال العرض (العرضيات): وهي تدخل في علاقة ما يقوله المتكلم عند الحديث عن طريق الاحتجاج مثل: الإثبات، التأكيد، النفي، الوصف، التعريف والتأويل...[3].

أي أنها تتمثل فيما يستخدم لأجل الإيضاح أو بيان وجهات الرأي.

6-2-4- خصائص الفعل الكلامي عند أوستين :

يلاحظ أوستين أنه توجد ثلاث خصائص للفعل الكلامي الكامل : [4]

- إنه فعل دال.
- إنه فعل انجازي (ينجز الأشياء والأفعال الاجتماعية بالكلمات).
- إنه فعل تأثيري (أي يترك آثار معينة في الواقع، خصوصا إذا كان فعلا ناجحا).

1) موسى جمال، تجليات مفاهيم التداولية في التراث العربي ، ص 40.

2) المرجع نفسه، ص نفسها.

3)المرجع نفسه، ص نفسها.

4) مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 44.

6-3- سيرل:

6-3-1- الأفعال الكلامية عند سيرل :

يعتبر سيرل الوريث الشرعي لنظرية أوستين، فلقد أعاد تناول هذه النظرية وطور فيها بـُعدين من أبعادها الرئيسية هما: " المقاصد والمواضعات، بحيث يمكننا اعتبار الأعمال اللغوية والجمل التي أنجزت بواسطتها وسيلة تواضعية للتعبير عن مقاصد وتحقيقات، وهذا المظهر كان حاضرا عند أوستين لكن سيرل حاول تطويره "[1].

6-3-2- إسهامات سيرل :

اقتصر اهتمام سيرل بالأعمال المتضمنة، فلقد شكك وجود أعمال تأثير بالقول ولم يحفل الأعمال القولية.

فكان إسهامه الرئيسي في التمييز داخل الجملة بين ما يتصل بالعمل المتضمن في القول في حد ذاته، وهو ما يسميه " واسم القوة المتضمنة في القول "؛ وما يتضمن العمل وهو ما يسميه " واسم المحتوى القضوي * "[2].

يتمثل إسهامه الثاني في تحديده للشروط التي بمقتضاها يـُ كلًل عمل متضمن في القول بالنجاح، فيميز بين القواعد التحضيرية ذات الصلة بمقام التواصل وقاعدة المحتوى القضوي، والقواعد الأولية المتعلقة باعتقادات تمثل الخلفية وقاعدة النزاهة ذات الصلة بالحالة الذهنية للقائل، والقاعدة الجوهرية التي تحدد نوع التعهد الذي قدمه أحد المتخاطبين

1) ينظر، آن روبول و جاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة : سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط 1، 2003 م، ص 33.

*المحتوى القضوي: يقتضي الوعد من القائل أن يسند إلى المرجع نفسه إنجاز عمل في المستقبل.

2) المرجع نفسه، ص 33.

وقواعد المقصد والمواضعة التي تحدد مقاصد المتكلم والكيفية التي ينفد بها هذه المقاصد بفضل المواضعات اللغوية [1].

ولأن ما قدمه أوستين لم يكن كافيا لوضع نظرية متكاملة بل يمكننا أن نعتبره نقطة انطلاق، وقد استلم سيرل راية التداولية، محاولا الخوض بها، من خلال ضبطها وصياغتها ضمن نظرية محكمة، ويمكن أن نوجز القول في أهم ما جاء به سيرل على النحو الآتى:

1/ نص سيرل على أن الفعل الانجازي هو الوحدة الصغرى للاتصال اللغوي، وأن للقوة الانجازية دليلا يسمى دليل القوة الانجازية، يبين لنا نوع الفعل ألإنجازي الذي يؤديه المتكلم بنطقه للجملة، ويتمثل في اللغة الإنجليزية في نظام الجملة (word-order) والنبر (stress)، والتنغيم intonation ...

2/ الفعل الكلامي عنده أوسع من أن يقتصر على مراد المتكلم، بل هو مرتبط أيضا بالعرف اللغوي والاجتماعي.

3/ طور سيرل شروط الملائمة عند أوستين فجعلها أربعة وطبقها تطبيقا محكما على كثير من الأفعال الانجازية، وهذه الشروط هي: شروط المحتوى القضوي: الشرط التمهيدي (prrparatory) ، شرط الإخلاص (sincerity)، والشرط الأساسي (essential)[2] .

4/ صنع سيرل الأفعال الكلامية في أسر خمس * غير ما قدمه أوستين.

5/ استطاع سيرل أن يميز بين الأفعال الانجازية المباشرة direct والأفعال الانجازية غير

1) ينظر، آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص 34.

2) ينظر، محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 47، 48.

*سيأتي تفصيلها في الصفحات الموالية.

المباشرة (indirect) ، فبين أن الأفعال المباشرة هي التي تطابق قوتها الانجازية غير المباشرة فهي التي تخالف فيها قوتها الانجازية مراد المتكلم [1].

6-3-3- جهود سيرل في تطوير نظرية الأفعال الكلامية:

بعد اطلاع سيرل على دروس أستاذه أوستين حاول تعديل وتطوير نظرية الأفعال اللغوية فقسمها إلى قسمين:

1- فعل كلام مباشر (Directe): اعتمد فيه مبدأ اللغة العادية الذي تلخصه العبارة المركزية التالية: "القول هو العمل"[2].

فالقول في نظره، شكل من السلوك الاجتماعي الذي تضبطه قواعد؛ مما يعني انجاز أربعة أفعال في الوقت نفسه [3]:

- **فعل القول (Acte d'enonciation):** ويتمثل في التلفظ بكلمات وجمل.
- **فعل الإسناد (Acte propositionnel):** يسمح بربط الصلة بين المتكلم والسامع.
- **فعل الإنشاء (Acte performatif):** يبين القصد المعبر عنه في القول.
- **فعل التأثير (Acte perlocutif)**ويمثل التأويل الذي يُعطي للقول باعتماد العناصر المقامية.

1) محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 49، 51.

2) ينظر، الجيلالي دلاش، مدخل في اللسانيات التداولية، ترجمة : محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، دط د ت، ص 24 .

3) نسيمة نابي، مناهج البحث اللغوي عند العرب في ضوء النظريات اللسانية، ص 81.

2- فعل كلام غير مباشر (undirecte): والذي خصصه للتخييل والاستعارة، وركز فيه على البحث عن ميزة الصيغ الحقيقية وأشكال الأقوال المجازية، وتساءل عن الدواعي التي تجعلنا نستخدم عبارات مجازية واستعارية، وتوصل إلى أنه يمكن أن تتوفر الأفعال غير المباشرة على سبيل المثال على الوظائف التالية: "تحاشي المحظورات التحايل على حواجز غير مرغوب فيها، تفادي مطلب غير مبرر لمنزلة ما أو حقل ما وخلق إمكانيات واسعة للذات والطرف الثاني للتمكن من الاهتداء إلى مخرج... " [1]بمعنى انه يمكننا استبدال كلمة أو عبارة بأخرى للتعبير عن معنى لا نرغب التلفظ به إما تحايلا على حواجز غير مرغوب فيها أو يمكن أن يكون من المحظورات [2].

6-3-4- معايير سيرل في تصنيف الأفعال اللغوية:

اقترح سيرل معايير صريحة و خارجة عن العلامات اللغوية لوضع تصنيفية مقبولة للأعمال اللغوية :

1) الغاية من الفعل.
2) اتجاه المطابقة بين العلامات اللغوية و العالم الواقعي.
3) الحالة النفسية المعبر عنها مثل اليقين، الرغبة، الحسرة.
4) كثافة الاستثمار في تقديم الأقوال.
5) وضعية المتخاطبين من جهة كون ذلك يؤثر في القوة القولية.
6) الطريقة التي يرتبط بها القول بالمصالح الشخصية للمخاطبين.
7) العلامة ببقية الخطاب مثل: أرد، أعترض، استنتج...

[1]) الجيلالي دلاش، مدخل في اللسانيات التداولية، ص 31.

[2]) نسيمة نابي، مناهج البحث اللغوي عند العرب في ضوء النظريات اللسانية ، ص 81.

8) المحتوى القضوي المحدد بوسم صريح للقوة اللاقولية والاختلاف بين عرض وتوقع يقوم على أساس واسمات تحدد الماضي و المستقبل مثلا.

9) إمكانية أو عدم إمكانية إنجاز العمل.

10) الحاجة أو عدم الحاجة إلى مؤسسة خارجة عن اللغة لإنجاز عملا لغوي.

11) وجود أو عدم وجود استعمال إنشائي للفعل اللاقولي.

12) أسلوب إنجاز العمل اللغوي فمثلا: " أذاع " و" باح " لا يختلفان لا في الهدف ولا المحتوى بل في طريقة إنجاز العمل [1].

6-3-5- تصنيف سيرل للأفعال الكلامية:

تعتبر من اجتهادات سيرل بعد ما جاء به أستاذه و هي:

1) الإخباريات (Assertives): والغرض الإنجازي فيها هو وصف المتكلم واقعة معينة من خلال قضية Proposition وأفعال هذا الصنف كلها تحتمل الصدق والكذب واتجاه المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم Word-to-world وشرط الإخلاص فيها يتمثل في النقل الأمين للواقعة و التعبير الصادق عنها [2].

أي أن يلتزم المتكلم بصدق القضية المعبر عنها ومطابقة ما تقوله لما هو عالمي أو هو محاولة الإجابة عن السؤال: " هل يمكننا أن نقول حرفيا أن القول صادق أو كاذب " [3].

2) التوجيهيات (Directives) أو الطلبيات: الهدف المتضمن في القول للتوجيهات هو أن المتكلم يسعى إلى أن يجعل المخاطب أن يقوم بشيء ما واتجاه المطابقة من العالم إلى

1) ينظر، فيليب بلانشيه، التداولية من أستن إلى غوفمان، دار الحوار للنشر والتوزيع ،اللاذقية، سورية ط1، 2007 م ص ص 63، 65.

2)محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 49.

3) جاك موشلار وآن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ج 1، ص 76.

الكلمات والموقف الموافق لشرط النزاهة هو الرغبة والمحتوى القضوي هو أن المخاطب يجب أن يفعل شيئا ما [1].

أي إن غرضها ألإنجازي هو محاولة المتكلم توجيه المخاطب إلى فعل شيء معينو يدخل في هذا الصنف الأمر، والنصح، والاستعطاف، والتشجيع ويكون حالته النفسية رغبة أو إرادة [2].

3)الوعديات (Les promissifs):حيث الهدف منها جعل المتكلم ملتزما بإنجاز عمل حيث يجب أن يطابق العالم الكلمات وحيث الحالة النفسية الواجبة هي صدق النية وقد أخذ سيرل هذا القسم عن أوستين[3]. والغرض منها أن يلتزم المتكلم بالقيام بعمل ما في الزمن المستقبل.

4)الإفصاحيات (Les expressifs) أو التعبيريات: والهدف المتضمن في القول في التعبيريات هو التعبير عن الحالة النفسية التي يخصصها شرط النزاهة بالنسبة إلى حالة الأشياء التي يخصصها المحتوى القضوي كما تخلو التعبيريات من اتجاه مطابقة وصدق القضية المعبر عنها [4].

أي إن الغرض من الإفصاحيات هو التعبير عن حالات نفسية انفعالية اتجاه الوقائع الخاصة التي يمثل مضمون القول و لا تطابق هذه الأعمال[5].

5) التصريحيات (Les declaratifs) أو الإيقاعيات: حيث يكون الهدف إحداث واقعة

1) جاك موشلار وآن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ج 1، ص 76.

2) ينظر: محمود أحمد نحلة ، جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 49، 50.

3)فيليب بلا نشيية، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ص 66.

4) جاك موشلار وآن ريبول، المرجع السابق، ص 76.

5) صلاح الدين ملاوي، نظرية الأفعال الكلامية في البلاغة العربية، ص 6.

وحيث التوافق بين الكلمات والعالم المباشر؛ دون تطابق مع تحفظ المشروعية المؤسسية أو الاجتماعية[1].

والسمة المميزة لها أن أدائها الناجح يتمثل في مطابقة محتواها القضوي للعالم الخارجي؛ فإذا أديت فعل إعلان الحرب أداء ناجحا فالحرب معلنة وثمة سمة أخرى مميزة هي أنها تحدث تغييرا في الوضع القائم فمثلا: عن أنها تقتضي عرفا غير لغوي واتجاه المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم، ومن العالم إلى الكلمات ولا تحتاج إلى شرط الإخلاص [2].

6-3-6- أسس سيرل في تصنيف الأفعال الكلامية:

اعتمد سيرل في تقسيمه للأفعال الكلامية على ثلاثة أسس منهجية جعلته يقدم تصنيفا بديلا عما جاء به أستاذه سيرل، وهذه الأسس هي: [3]

1_الغرض الإنجازي (Illocutionary point).

2_اتجاه المطابقة (Direction of fit).

3_شرط الإخلاص (Sincerity condition).

6-4- غرايس:

يقوم تصنيف غرايس على المقصدية أساسا[4]، حيث لاحظ أن جمل اللغات الطبيعية في

1) فيليب بلانشيه، التداولية من أستن إلى غوفمان، ص 66.

2) محمود أحمد نحلة، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 50.

3) المرجع نفسه، ص 49.

4) فيليب بلانشسه، المرجع السابق، ص 151.

بعض المقامات ، تدل على معنى غير محتواها القضوي [1].

6-4-1- الاستلزام عند غرايس :

لقد لاحظ غرايس أن جمل اللغات الطبيعية، في بعض المقامات، تدل على معنى غير محتواها القضوي[2]. وقد كانت نقطة البدء عند غرايس أن الناس في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون، وقد يقصدون أكثر مما يقولون، وقد يقصد دون عكس ما يقولون فجعل كل همّه إيضاح الاختلاف بين ما يقال (What is said) وما يقصد (What is meant)، فما يقال هو ما تعنيه الكلمات والعبارات بقيمها اللفظية وما يقصد هو ما يريد المتكلم أن يبلغه السامع على نحو غير مباشر، اعتمادا على أن السامع قادر على أن يصل إلى مراد المتكلم لما يحتاج له من أعراف الاستعمال ووسائل الاستدلال، فأراد أن يقيم معبرًا بين ما يحمله القول من معنى صريح، وما يحمله معنى متضمن وبهذا نشأة عنده فكرة الاستلزام[3].

6-4-2- أنواع الاستلزام:

لاحظ غرايس أن الاستلزام الحواري نوعان :

1- استلزام عرفي Conventional implicature :

وهو قائم على ما تعارف عليه أصحاب اللغة من استلزام بعض الألفاظ دلالات بعينها لا تنفك عنها مهما اختلفت بها السياقات، وتغيرت التراكيب [4].

2- استلزام الحواري :

والذي يعتبر دائم بتغير السياقات التي ترد فيها [5]، فالمشاركون يتوقعون أن يساهم كل

1) مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 33.

2) المرجع نفسه، ص 33.

3) ينظر، محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 33.

4) المرجع نفسه، ص نفسها.

5) المرجع نفسه ، ص 33.

واحد منهم في المحادثة بكيفية عقلانية و متعاونة لتسيير و تأويل أقواله [1] .

ولوصف هذه الظاهرة، كان ما يشغل "غرايس" هو كيف يكون ممكنا أن يقول المتكلم شيئا، ويعني شيئا آخر ثم كيف يكون ممكنا أيضا أن يسمع المخاطب شيئا ويفهم شيئا آخر وجد "غرايس" حلا لهذا الإشكال فيها أسماه مبدأ التعاون(Co-operative principale) بين المتكلم والمخاطب، وهو مبدأ حواري عام [2].

كما يشتمل مبدأ التعاون على أربعة مبادئ (maxims) * فرعية هي:

- **مبدأ الكم (Quantity):** التي تفرض أن تتضمن مساهمة المتكلم حدا من المعلومات يعادل ما هو ضروري في المقام ولا يزيد عليه [3].

- **مبدأ الكيف(Quality):** ومفادها: "لا تقل ما لا تعتقد أنه غير صحيح، ولا تقل ما ليس عندك دليل عليه"[4].

- **مبدأ المناسبة (Relevence):** أو مبدأ العلاقة التي تفرض أن يكون حديثنا داخل الموضوع، أي ذا علاقة بأقوال القائل السابقة وأقوال الآخرين[5]؛ أي أن يتناسب الكلام مع الموضوع.

---

1) آن ريبول وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص 55.

2) محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 33 ، 34 .

*وقد قسمها مسعود صحراوي في كتابه : "التداولية عند العلماء العرب " إلى أربع مسلمات هي: 1- مسلمة القدر 2- مسلمة الكيف، 3- مسلمة الجهة، 4- مسلمة الملاءمة.

3) آن ريبول وجاك موشلار، المرجع السابق، ص 55.

4) محمود أحمد نحلة، المرجع السابق، ص 34.

5) آن ريبول وجاك موشلار، المرجع السابق، ص 56.

✖ **مبدأ الطريقة(Manner):** ومفادها: "كن واضحا ومحددا، فتجنب اللبس وتجنب الغموض وأوجز كلامك ورتبه"[1].

أي أن يتوخى فيه المتكلم الوضوح و التركيب في الكلام لتحقيق حوار جاء مثمرا بين المتكلم و المتلقي .

6-4-3- خصائص الاستلزام الحواري عند غرايس:

أ- الاستلزام ممكن إلغاؤه: و يكون ذلك عبارة بإضافة قول يسد الطريق أمام الاستلزام أو يحول دونه فإذا قالت قارئة لكاتب مثلا لم أقرأ كل كتبك فقد يستلزم ذلك عنده أنها قرأت بعضها، فإذا أعقبت كلامها بقولها، الحق أني لم أقرأ أي كتاب منها فقد ألغت الاستلزام وإمكان الإلغاء هذا هو أهم اختلاف بين المعنى الصريح والمعنى الضمني وهو الذي يمكن المتكلم من أن ينكر ما يستلزمه كلامه [2].

ب- الاستلزام لا يقبل الانفصال عن المحتوى الدلالي: ويقصد غرايس بذلك أن الاستلزام الحواري متصل بالمعنى الدلالي لما يقال بالصيغة اللغوية التي قيل بها، فلا ينقطع مع استبدال مفردات أو عبارات بأخرى ترادفها، ولعل هذه الخاصية هي التي تميز الاستلزام الحواري عن غيره من أنواع الاستدلال التداولي[3].

جـ - الاستلزام متغير: والمقصود بالمتغير أن التعبير الواحد قد يؤدي إلى استلزامات مختلفة في سياقات مختلفة، ومثال ذلك أن يقول رجل سُرق متاعه يوم العيد؛ تلك أفضل

1) محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 34.

2) المرجع نفسه، ص 38 .

3) المرجع نفسه، ص نفسها .

هَدية ومن الممكن أن يقول هذه العبارة نفسها رجل تلقى رسالة من صديق قديم يوم العيد أو طلب يـُشيد بنجاحه [1].

د – الاستلزام يمكن تقديره: والمراد به أن المخاطب يقوم بخطوات محسوبة يتجه بها خطوة خطوة إلى الوصول إلى ما يستلزم الكلام [2]، أي أن يفهم من كلام المخاطب أنه يلجأ إلى التعبير الاستعاري.

6-4-4- أنماط العبارات اللغوية عند غرايس :

تقوم الأنماط اللغوية عند غرايس على المقابلات الآتية التي تنقسم فيها الحمولة الدلالية للعبارات إلى معاني صريحة ومعاني ضمنية :

أ – **المعاني الصريحة** : هي المدلول عليها بصيغة الجملة ذاتها، وتشتمل على ما يلي [3]:

✱ **المحتوى القضوي**: و هو مجموعة معاني مفردات الجملة مضموم بعضها إلى بعض في علاقة إسناد .

✱ **القوة الإنجازية الحرفية** : وهي القوة الدلالية المؤشر لها بأدوات تصبغ الجملة بصبغة أسلوبية ما، كالاستفهام، الأمر، النهي والنداء ...

1)ينظر، محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 39.

2) المرجع نفسه، ص نفسها.

3) مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 34، 35.

2/ المعاني الضمنية: هي المعاني التي لا تدل عليها صيغة الجملة بالضرورة ولكن للسياق دخلا في تحديدها والتوجيه إليها، وتشتمل ما يلي[1].

✖ **معاني عرفية:** وهي الدلالات التي ترتبط بالجملة ارتباطا أصيلا وتلازم الجملة ملازمة في مقام معين، مثل: معنى الاقتضاء.

✖ **معاني حوارية:** وهي التي تتولد طبقا للمقامات التي تنجز فيها الجملة، مثل: الدلالة الاستلزامية .

6-5- ولسن وسبربر و نظرية الملاءمة :

تعد نظرية الملاءمة نظرية تداولية معرفية أرسى معالمها كل من اللساني البريطاني ديردر ولسن(D . wilson) ، والفرنسي دان سبربر(D . sperber)[2].

6-5-1 أهميتها التداولية :

- أنها تنتمي إلى المعرفية الإدراكية .

- أنها و لأول مرة منذ ظهور الأفكار والمفاهيم التداولية تبين بدقة موقعها من اللسانيات وخصوصا موقعها من علم التراكيب [3].

6-5-2- مصادرها :

تدمج مشروعين معرفيين :

الأول : مستمد من مجال علم النفس المعرفي، خاصة النظرية القالبية.

1) مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 35.

2) المرجع نفسه، ص 36 .

3) المرجع نفسه، ص نفسها .

الثانية : يستفيد من مجال فلسفة اللغة و بخاصة النظرية الحوارية.

وقد استفاد ولسن و سبربر من نظرية غرايس الحوارية، التي تنص على أن التواصل الكلامي محكوم بمبدأ عام هو مبدأ التعاون، وبمسلمات حوارية*، إلا أن "نظرية الملاءمة" أعادت النظر في نظرية غرايس وقلصت محتوياتها مقتصرة على "مبدأ الملاءمة " كأساس مركزي يختزل جميع المسلمات المذكورة، ويعيد تعميمها للتواصل الموصوف بـ" المناسب الاستدلالي" فهو: "مناسب " لأن المتكلم يستعمل "المثير" الأكثر ملاءمة لإبلاغ افتراضاته وهو "استدلالي" لأن المتلقي يستدل على القصد الإخباري انطلاقا من المؤشرات المسوقة من قبل المتكلم"[1].

6-5-3- مميزات نظرية الملاءمة :

تعتبر أهم ميزة تتميز بها نظرية "الملاءمة " تصورها للسياق، إذ لم يعد شيئا معطى بشكل نهائي أو محددا قبل عملية الفهم، وإنما يبنى تبعا لتوالي الأقوال ويتألف السياق من زمرة الافتراضات السياقية المستمدة من مصادرها الثلاث[2]:

1_ تأويل الأقوال السابقة: فالقضايا التي نحصل عليها مباشرة بعد الالتفات إلى أول الكلام وتأويله تخزن في الذاكرة التصورية، حيث تمثل جزءا لا يتجزأ من سياق تأويل الأقوال المستهدفة في المعالجة، فلا بد من رد آخر الكلام على أوله.

2_ المحيط الفيزيائي: قد يشتمل السياق أيضا كل تمثيل قضوي انبثق من المكان الذي فيه التواصل .

1) ينظر، مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 38.

*المسلمات الحوارية عند مسعود صحراوي هي المبادئ السابقة.

2) المرجع نفسه، ص 38، 39.

3_ ذاكرة النظام المركزي: وتحتوي ذاكرة النظام المركزي على معلومات مختلفة عن العالم نستخدم بعضها في السياق التأويلي .

هذه باختصار شديد، لمحة عن الأفعال الكلامية والمعاني التي تأتي فيها كما جاء بها منظروها الأوائل، في الفكر الفلسفي الغربي، وهو عبارة عن نظرية في اللغة، تصدر عن منزع وظيفي تداولي يعالج القوة الكلامية للوحدات اللغوية،يوُ عني بجميع أشكال التعامل القولي، ولا يغادر منها أحدا، فحتى ما كان منها مبتذلا صار معتمدا، على خلاف ما ترسخ في التقاليد القديمة من تعلق بالأقوال الجازمة دون سواها [1].

7- ملامح التفكير التداولي في التراث العربي:

سنحاول في هذا الجزء أن نقصر دراستنا على مسارات التفكير التداولي البياني في التراث العربي، أي البحث في الأبعاد التداولية في مباحث البيان مخصصين عينة منهم هم اللغويون والمفسرون، وعلماء القراءات و الحديث والأصوليون ، و محاولة ذكر جهودهم .

7-1- التداولية في البيان اللغوي:

يعد البيان محورا رئيسيا في البلاغة ، حيث تبرز أهميته بأن أصبح المعادل الموضوعي لعلاقة اللغة بالمتكلمين في سياقات معينة[2]، حيث ترتبط قضية الفهم والإفهام بوظيفة المتكلم الساعي إلى إظهار الخفي و توضيحه للسامع، بالاستعانة بكل الوسائل اللسانية والإشارية لتحقيق الفهم، وفي هذا يرى الجاحظ أن "البيان اسم جامع لكل شيء كشف قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير ، حتى يفضي السامع إلى حقيقته ويهجم على محصوله كائنا من كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل لأن مدار الأمر والغاية

1) صلاح الدين ملاوي ، نظرية الأفعال الكلامية في البلاغة العربية ، ص 7 .

2) نعمان بوقرة، ملامح التفكير التداولي البياني عند الأصوليين، ص 110.

التي إليها يجري القائل والسامع، إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع"[1].

وفي قضية تحقيق التواصل الفعال والإفادة بين المخاطب والمخاطب يذهب الجاحظ إلى ضرورة التركيز على مقصد أدبي هام، يتمعن في إفهام المخاطب وإبلاغه محتوى الرسالة الأدبية من لدن المرسل، الذي تتعاظم وظائفه الإبلاغية لتحقيق المقصد الأسمى المتمثل في البيان[2]؛ وهو يعتبر أهم غرض تحرص التداولية المعاصرة على تحقيقه في الخطابات المنجزة.

كما كانت عناية الجاحظ بالبيان كبيرة، نتيجة صعوبة الفهم الكثير من الخطابات المنجزة و الُمَبَّلَغة للمتلقي .

ونجد البيان في النظرية الجاحظية منقسما على مستويين هما المستوى التداولي ألإقناعي، والمستوى المعرفي، كما يرى أن البلغة في اللفظ، والمستوى المعرفي الذي يختص بالمعاني بصفة عامة، أي إنه عمل على حصر البيان في اللفظ، وربط الإقناع بالتداول [3].

وفي مقولة الجاحظ : "المعاني القائمة في صدور الناس المتصورة في أذهانهم والمتخلجة في نفوسهم، المتصلة بخواطرهم والحادثة عن فكرهم، مستورة خفية، وبعيدة وحشية، ومحجوبة مكنونة، وموجودة في معنى معدومة لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه

1) الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص76.

2) محمد أديوان، نظرية المقاصد بين حازم القرطاجيني و نظرية أفعال اللغة المعاصرة، مجلة الوصل، كلية الآداب جامعة تلمسان، العدد لأول، 1994 م، ص37.

3) نعمان بوقرة، ملامح التفكير التداولي البياني عند الأصوليين، ص 111.

ولا حاجة أخيه وخليطه، ولا معنى شريكه والمعاون له على أموره، وعلى مالا يبلغه من حاجات نفسه إلا بغيره، وإنما يحيي تلك المعاني ذكرهم لها، وإخبارهم عنها، واستعمالهم إياها، وهذه الخصال هي التي تقربها من الفهم، وتجليها للعقل فتجعل الخفي منها ظاهرا والغائب شاهدا والبعيد قريبا، وهي التي تلخص الملتبس وتحل المنعقد، وتجعل المهمل مقيدا والمقيد مطلقا، والمجهول معروفا، والوحشي مألوفا ، والغُفل موسوما والموسوم معلوما وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة وحسن الاختصار ودقة المدخل، يكون إظهار المعنى، وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح، وكانت الإشارة أبين وأنور، كان أنقع وانجح والدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان الذي سمعت الله عز وجل يمدحه ويدعو إليه ويحث عليه وبذلك نطق القرآن، وبذلك تفاخرت العرب، وتفاضلت أصناف العجم[1].

يتبين أنه انطلق من الوظيفة التواصلية، وصولا إلى ذلك المستوى البلاغي في البيان، ومفاد هذا القول أن المعاني المستورة الخفية لا يتم التعرف عليها إلا بالاستعمال: أي بالألفاظ أو الإخبار عنها، أي الإبانة عنها، وهذا ما نجده في مفهوم الإبلاغ في التداولية كما أن الجاحظ في حديثه عن الإخبار والاستعمال وعدهما المسؤولين في تفعيل المعاني وإعطائهما وظائف لسانية وبلاغية وإقناعية معينة، كان من خلال التركيز على حركية الخطاب بين مستعملي اللغة في علاقة الكلام المنجز بالسياق العام والخاص.

ونجد كذلك التداولية عند السكاكي من وصفه لعناصر العملية التواصلية وربطها بمقتضى الحال لأن وضعية المتلقي وأحواله تساهم مساهمة فعالة في فهم المقصد فهما جيدا، وتحدد أيضا نوعية الكلام المرسل من المتكلم، فالمتلقي سيكون خالي الذهن أو مترددا في الحكم، أو منكرا له، وقد يخرج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر، فيجعل غير

1) الجاحظ البيان والتبيين،ج1،ص 85 .

السائل – وهو خالي الذهن – كالسائل، وقد يجعل غير المنكر كالمنكر، وقد يجعل المنكر كغير المنكر[1].

وكتحليل لمقالة السكاكي نجده يشير إلى قاعدة شهيرة عند البلاغيين مفادها أن: بلاغة الكلام مطابقته لمقتضى الحال فهو هنا يكشف عن أوضاع غير لسانية تؤطر الفعل التبليغي وعملية التلقي .

وفي قول السكاكي: "فمقام الكلام ابتداء يغاير مقام الكلام بناء على الاستخبار أو الإنكار، ومقام البناء على السؤال يغاير مقام البناء على الإنكار، وكل ذلك معلوم لكل لبيب، وكذا مقام الكلام مع الذكي يغاير مقام الكلام مع الغبي، ولكل ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر"[2]، إشارة إلى العلاقة الوثيقة بين المتلقي والمقام ووجوب الالتفات إلى تغاير أعراض الخطاب، كما أنه يرى أن الكلام الموجه إلى الذكي ليس نفسه الكلام الموجه إلى الغبي، ويتغير حال المتلقي يتغير قصد المتكلم وتتعين حينها مقصديه الإفهام واستجابة المتلقي، كما تتمركز نظرية الأفعال الكلامية في بؤرة اهتمامه بالأساليب الإنشائية من حيث : البنية والدلالة والغرض[3].

كما عد السكاكي أنموذجا عربيا متميزا يمكن أن تكون آراؤه أساسا نظريا للسانيات تداولية عربية بعامة ولنظرية الأفعال الكلامية بخاصة [4]. كما عني بشكل خاص بالأفعال

1) السكاكي، مفتاح العلوم ، ص70.

2) المرجع نفسه ،ص 73.

3) نعمان بوقرة،ملامح التفكير التداولي البياني عند الأصوليين، ص 112-113.

4)محمد العمري ، البلاغة العربية أصولها و امتداداتها، إفريقيا الشرق، المغرب، دط،1999 م،ص 27.

الطلبية التي تجاوزت معناها المباشر إلى المعنى ألمقامي [1]، وقد درس السكاكي تعدد التداولية في الأفعال الطلبية في كل من الاستفهام والنداء، الأمر والنهي والتمني [2].

كما يعتبر ابن خلدون النموذج المغربي الأمثل لدراسة التصور التداولي العربي ففي قوله: "اعلم أن اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة، إذ هي ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني، وجودتها، وقصورها، بحسب تمام الملكة أو نقصانها، ليس ذلك بالنظر إلى المفردات، وإنما هو بالنظر إلى التراكيب، فإذا حصلت الملكة التامة في تركيب الألفاظ المفردة للتعبير بها عن المعاني المقصودة، ومراعاة التأليف الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال، بلغ المتكلم حينئذ الغاية من إفادة مقصوده للسامع، وهذا هو معنى البلاغة[3]. إشارة إلى أن امتلاك اللغة يجب أن يكون لغاية الإبانة والإفهام، وهما هدف التداولية وفي قول ابن خلدون مصطلحات و مقولات مثل: الملكة اللغوية الجودة، القصو التعبير عن المعاني المقصودة، مراعاة التأليف، مقتضى الحال التبليغ، الغاية من إفادة المقصود السامع، والبلاغة، هذه المفاهيم يمكن مقابلتها بأخرى في التداولية المعاصرة مثل: الأداء الكفاءة، القصد، التركيب، السياق، المتلقي والإبلاغية، وغيرها.

أما حازم القرطاجني، فنلتمس تصوره التداولي من خلال ثلة من النصوص لعل أهمها قوله: "لما كان الكلام أولى الأشياء بأن يجعل دليلا على المعاني التي احتاج الناس إلى تفهمها بحسب احتياجهم إلى معاونة بعضهم بعضا على تحصيل المعاني و إزاحة المضار" [4]؛ إذ يشير إلى البعد النفعي الذي ترمي إليه العملية الإبلاغية بصورة شاملة

1) السكاكي، مفتاح العلوم، ص 147.

2) ينظر، المرجع نفسه، ص167.

3) عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، دار القلم للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 7، 1989م، ص 553.

4) حازم القرطاجيني، مناهج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، دط، دت ص216.

والعملية الإبداعية ممثلة في المنجز الشعري بصورة خاصة والذي يقوم بشكل خاص على عنصر التأثر والتأثير، هذا ما تركز عليها اللسانيات التداولية في تحليل الخطاب[1]، مشيرا في ذات السياق ضرورة احترام مقاصد المتكلم، المتحكمة بدورها في الأثر الذي سلطه النص على المتلقي، ويبدو من ناحية ثانية أن هذه المقاصد ذات صبغة حالية تقرأ قراءة سياقية، وهي من ثم جزء لا يتجزأ من المقام الذي في التصور التداولي الحازمي مكانة متميزة[2].

7-2- التداولية عند المفسرين وعلماء الدراسات القرآنية:

لقد عظم لدى المهتمين بقضية التفسير دور السياق بنوعيه: اللغوي، والحالي، في تحديد المعنى النصي، والأغراض التداولية للخطاب فتحولت هذه الملفوظات المشكلة للنص إلى أفعال كلامية في شكل طلبيات (أفعال الأمر والنهي)، وسلوكيات (الأخلاق) وإخباريات (القصص)، وحكميات (أحكام الجزاء والعقاب) و تعهديات (الترغيب والترهيب) .[3]

وهذا انطلاقا من مفهوم التداولية القائل: " بأن كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، وفضلا عن ذلك يعد نشاطا ماديا نحويا يتوسل أفعالا قولية actes) (locutoires لتحقيق أغراض إنجازية (actes illocutoires)، كالطلب والأمر والوعد والوعيد... وغايات تأثيرية (actes perlocutoires) تخص ردود فعل الملتقى (كالرفض

1) محمد أديوان، نظرية المقاصد بين حازم القرطاجيني و نظرية الأفعال اللغوية المعاصرة، ص 26.

2) نعمان بوقرة، ملامح التفكير التداولي البياني عند الأصوليين، ص 115، 116 .

3) المرجع نفسه، ص 116.

والقبول)، ومن ثم فهو فعل يطمح لأن يكون ذا تأثير في المخاطب اجتماعيا أو مؤسساتيا ومن ثم انجاز شيء ما [1] .

أي إن كل صورة تنهض على ملفوظات وأفعال قولية تحقق بدورها أفعالا كلامية لها بعد تأثيري على الملتقي، توجه أفعاله، وتعدل في سلوكه، و قيمه ومعتقداته، فتلقى آيات الرحمة والعذاب والأحكام الشرعية، والإخبار بالغيب والدعوة إلى فعل الخيرات وتجنب المحرمات، كلها موضوعات تدور في فلك الفعل ألانجازي الطلبي الكلي بشتى أغراضه وسياقاته وشروط تحققه، والتي توجهنا إليها تداوليات الخطاب القرآني مقاصده الكبرى[2].

كما نجد الرؤية التداولية عند المهتمين بالقراءات القرآنية، في ارتباطها بالعملية التفسيرية، في ضوء تأكيدهم تمثل ضوابط القراءة الجيدة، والترتيل المأثور عن قراءة رسول الله محمد ﷺ. والتي تراعي فيها قواعد القراءات كالإدغام ولقلب والإخفاء وغيرها، التي تترك أثرا متعدد الأبعاد في السامع الذي تتيح له إمكانياته اللسانية والجمالية والذوقية التفاعل مع معاني النص وأغراضه التواصلية، علما أن ذلك التفاعل لا يتحقق مع القراءة العادية والسريعة [3].

7-3- التداولية عند الأصوليين:

كان من رأي البلاغيين أن" لكل مقام مقال " لأن صورة المقال ، تختلف في نظر البلاغيين بحسب المقام(context of altuation)، وما إذا كان يتطلب هذه الكلمة أو

1) مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 40.

2) نعمان بوقرة، ملامح التفكير التداولي البياني عند الأصوليين ، ص 117.

3) ينظربدر الدين الزركشي، البُ رهان في علوم القرآن، تحقيق، أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، مصر، ج1، 1957م ص ص 318 ، 338 .

تلك وهذا الأسلوب أو ذاك من أساليب الحقيقة أو المجاز والإخبار أو الاستفهام وهلم جرا[1].

كما أن البحث في السياق يعود إلى ظاهرة المشترك اللفظي، ومسألة المعنى المركزي والمعاني الهامشية، فالمشترك هو ظاهرة معجمية سياقية، و أما المعنى المركزي والمعاني الهامشية المتفرعة منه فهو ذو صلة وشيجة بالبحث التاريخي لدلالة الكلمات وتغير مجالاتها، و جاءت فكرة المركزية في المعنى من ملاحظة معاني الكلمة المفردة من خلال النصوص المختلفة، وفي معظم الأمثلة تبدو الكلمة كأنها تحتوي على معنى مركزي (central meaning) يشتق منه عدد من المعاني الأخرى[2].

ويعتمد السياق على اللغة، بخاصة عند الشكليين، بما هي علاقات بين عناصر منتظمة، مما يحقق مناسبة أو مفارقة في المعنى، كما يعتمد على الظروف الحسية والنفسية المحيطة بالنص، وكذا المحيط الاجتماعي بما فيه من عادات وتقاليد، مما يؤكد على ضرورة المعرفة التامة بأسباب النزول، وأخبار العرب وحياتهم العقلية والروحية والاجتماعية بصفة عامة، وهكذا تمتد قرينة السياق على مساحة واسعة من الركائز تبدأ باللغة، وتنتهي بهذه القرائن المتعددة [3].

ويمكن أن تدرس نظرية السياق عند الأصوليين واستخراج أمثلتها من أبواب: الاستثناء الشرط، الغموض، الوضوح، والحقيقة والمجاز[4]. ولنا أن نتوقف مع مفهوم مميز ظهر عند

1) تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 337.

2) علي زوين، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، ص 185.

3) نعمان بوقرة، ملامح التفكير التداولي البياني عند الأصوليين، ص 119، 120.

4) سليمان طاهر حمودة، دراسة المعنى عند الأصوليين، الدار الجامعية للنشر، الإسكندرية، مصر، د ط دت ص 13.

الأصوليين هو مفهوم الاقتضاء، والمقصود به دلالة اللفظ على المسكوت عنه إذ يتوقف صدق الكلام عليه، أو يمتنع وجود صدق الكلام عليه، أو يستحيل فهمه إلا به [1]. حيث يعتبر هذا المفهوم من أبرز مفاهيم التداولية المعاصرة التي ترى فيه تعبيرا عن قدرة المتكلم على أن يفهم أكثر مما يعلن عنه بالمعنى الحقيقي للألفاظ المستعملة، ويفسر كثيرا من النصوص التي تبدو في غاية التفاوت التباعد[2].

وبما أن الأصوليين عنوا بدراسة اللغة في سياقها التواصلي ، فقد أفادوا من مجمل التصورات اللسانية والبيانية التي صاغها النحاة وعلماء البيان والمعاني وقد تجلت قدراتهم في ميدان الخبر والإنشاء تحديدا، " ونعني بذلك كيفية استثمارهم للمفاهيم والمقولات التداولية " كنظرية الأفعال الكلامية" التي بحثوها ضمن نظرية الخبر والإنشاء أثناء بحثهم عن الدلالات وعن الطرائق التي يتخذها النص لإفادة معنى أو لصناعة أفعال دينية – فردية كانت أو اجتماعية – بالكلمات وكيفية تعاطيهم بالأساليب اللغوية و الأغراض الإبلاغية التواصلية المنبثقة عنها وقد توصل الأصوليون إلى "اكتشاف" و" وضع" أفعال كلامية فرعية جديدة منبثقة عن الأفعال الكلامية الأصلية "[3].

وقد يتضح من هذا أن الأصوليين، في الجهة التداولية قد درسوا نواحي أخرى كان قد أغفلها آخرون، وذلك جراء فهمهم لطرائق تأليف الكلام، وأوجه استعماله وإدراك مقاصده وأغراضه، وما يطرأ عليه من تغيير ليؤدي معاني متعددة .

1) سيف الدين أبو الحسن الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق سعيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ط2، 1990م، ج2، ص 186.

2) نعمان بوقرة، ملامح التفكير التداولي البياني عند الأصوليين، ص 127، 128.

3) مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 132.

الفصل الرابع

بعض ملامح التداولية عند عبد القاهر الجرجاني

1-النظم و المعنى

2- النظم و توخي معاني النحو .

3 - أغراض المتكلم عند عبد القاهر الجرجاني : (المقاصد) .

4- ظاهرة الاستلزام الحواري عند عبد القاهر الجرجاني .

5- ظاهرة الملاءمة عند عبد القاهر الجرجاني .

تعد البلاغة من العلوم العربية التي نالت رواجا في أوساط الباحثين والدارسين فقد كانت دعامة أساسية للدرس العربي القديم، مثلت مجالا للاتصال نظرا لارتباطها باستعمال اللغة وما ينتج عنه من أساليب تخرج إلى أغراض تفهم بحسب المقام؛ إذ لكل مقام مقال وما زاد من قيمتها هو ارتباطها الوثيق بمقصدية الدفاع عن النص القرآني.

وبالتأمل في الدرس البلاغي نجد أن البلاغة دعامة أساسية للدراسات الحديثة أيا كانت أشكالها وتعبيراتها وفنونها، كما أنها تتيح السبيل أمام المتكلمين للتعبير والإبداع والتواصل بمختلف المستويات اللغوية، الصوتية، الصرفية، النحوية الدلالية وهي مستويات مشاركة في تعيين عناصر العملية التخاطبية بين المرسل والمستقبل، وتوجيهها وفقا للأبعاد التداولية والتي تتلخص في ضرورة ربط اللغة بالاستعمال[1].

وبالتالي فإن غالبية المعطيات البلاغية تتداخل بشكل كبير مع المنظومة التداولية كحال الأفعال الكلامية، وإنتاج الأنماط الخطابية الخاصة المتشكلة من المخاطب والمخاطب والخطاب والموقف الخارجي، وذلك تجسيدا للعملية التواصلية.

[1]) ينظر، مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 16، 17.

1- النظم و المعنى:

1-1- أسس نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني:

أورد عبد القاهر الجرجاني في دراسته لموضوع النظم مصطلحات علمية " هي من ذوات المصطلحات المعاصرة في النظام اللغوي " [1] وهي:

1-1-1- النظم: هو عند عبد القاهر الجرجاني تصور للعلاقات النحوية بين الأبواب كتصور علاقة الإسناد بين المسند والمسند إليه، وتصور علاقة التعدية بين الفعل والمفعول به، وتصور علاقة السببية بين الفعل و المفعول لأجله وهلم جرا.

وفي ذلك يقول:" وإذ قد عرفت أن مدار أمر النظم على معاني النحو وعلى الوجوه والفروق التي من شأنها أن تكون فيه فاعلم أن الفروق الوجوه كثيرة، ليس لها غاية تقف عندها ، و نهاية لا تجد لها ازديادا بعدها ثم اعلم أن ليست المزية بواجبة لها في أنفسها ومن حيث هي على الإطلاق، ولكن تَعرضُ بسبب المعاني و الأغراض التي يوضع لها الكلام، ثم بحسب موقع بعضها مع بعض، واستعمال بعضها مع بعض " [2].

فالمزية عنده ناتجة بسبب المعاني و الأغراض التي يوضع لها الكلام حسب موقع بعضها من بعض واستعمال بعضها مع بعض و يؤكد ذلك قائلا :" ومعلوم أن سبيل الكلام الذي يعبَّر عنه سبيل الشيء الذي يقع التصوير والصوغ فيه كالفضة والذهب يصاغ منها خاتم أو سوار. فكما أن محالا إذا أنت أردت النَّظر في صوغ الخاتَم، وفي جودة العمل ورداءته، أن تنظُر إلى الفضة الحاملة لتلك الصورة، أو الذهب الذي وقع فيه ذلك العمل

1) محمد عباس، الأبعاد الإبداعية في منهج عبد القاهر الجرجاني، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط 1، 1999 م ص 66.

2) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 87.

وتلك الصنعة، كذلك محال إذا أردت أن تعرف مكان الفضل والمزية في الكلام، أن تنظر في مجرد معناه، وكما أنَّا لو فضلنا خاتما على خاتم، بأن تكون فضة هذا أجود، أو فَصُّه أنفس، لم يكن ذلك تفضيلا له من حيث هو خاتم، كذلك ينبغي إذا فضلنا بيتا عل بيت من أجل معناه أن لا يكون تفضيلا له من حيث هو شعر وكلام " [1].

فهو هنا يشبه التفاوت بين كلام وكلام بالذهب والفضة ووجوه التمييز في النوع الواحد ويحاول أن يقول لنا أن النظم هو نظم المعاني النحوية في نفس المتكلم لا بناء الكلمات في صورة جملة.

1-1-2 - الترتيب: انتهى عبد القاهر إلى أن الميزة البلاغية تكمن في المعنى الذي تحدثه الألفاظ إذا ألفت على ضرب خاص من التأليف، ورتبت ترتيبا معلوما بحيث يقع ترتيب الألفاظ في الكلام على حساب ترتيب معانيها في النفس، وهذه المعاني يكون ترتيبها في النفس على ما يقتضي العقل ليثبت أن النظم هو ترتيب معاني الألفاظ في النفس وليس ترتيب الألفاظ و تواليها في النطق [2]، وفي ذلك يقول: " و أما نظم الكلم فليس الأمر فيه كذلك، لأنك تقتفي في نظمها آثار المعاني وتُرَتِّبُها على حسب تَرَتُّب المعاني في النفس " [3].

ويقول أيضا : " وصف الكلام بحسن الدلالة و تمامها فيما له كانت دلالة " [4].

والترتيب هو وضع العلامات المنطوقة أو المكتوبة في سياقها الاستعمالي حسب

---

1) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 254، 255.

2) عوّد خليفة، علاقة الدرس النحوي بالدرس البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في البلاغة و النقد، كلية الآداب واللغات قسم اللغة العربية وآدابها شعبة الدراسات البلاغية والنقدية بين أصالة التراث والمعاصرة، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، 2009 م . 2010 م، ص 133، 134.

3) عبد القاهر الجرجاني، المرجع السابق، ص 49.

4) المرجع نفسه، ص 43.

رتب خاصة تظهر فيها فوائد التقديم والتأخير اللذين كانا موضع عناية فائقة من لدن عبد القاهر وكذلك يظهر بهذا الترتيب ما كان من الرتب محفوظا أو غير محفوظ [1].

وهو عنصر أساسي من عناصر نظرية النظم و مقياس يقاس بواسطته الحسن في الكلام.

1-1-3 – الموقع: هذا العنصر شديد الصلة بعنصر الترتيب لأنه لا يمكن أن يتحقق النظم الذي هو مدار البلاغة بترتيب المعاني في النفس فقط، بل لابد من العلم بمواقعها في النفس، وفي ذلك يقول عبد القاهر الجرجاني: " وإذا كان لا يكون في الكلم نظم ولا ترتيب بأن يـُصنع به هذا الصنيع ونحوه، وكان ذلك كله مما لا يرجع منه إلى اللفظ شيء ومما لا يتصور أن يكون فيه ومن صفته َبلَن بذلك أنَّ الأمر على ما قلناه، من أن اللفظ تـَبع للمعنى في النظم، وأن الكلم تترتب في النطق بسبب ترتُّب معانيها في النفس، وأنها لو خلت من معانيها حتى تتجرد أصواتا وأصداء حروف، لما وقع في ضمير ولا هجس في خاطر، أن يجب فيها ترتيب ونظم، وأن يـُجعل لها أمكنة ومنازل، وأن يجب النطق بهذه قبل النطق بتلك " [2].

فالألفاظ إذن لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، وإنما من حيث ملاءمة معنى الكلمة لمعنى التي تليه ، ومما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موضع، ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر [3].

ويقول كذلك: " إن الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلمات، وإنما تظهر بالضم على طريقة مخصوصة، فقولهم بالضم لا يصح أن يـُراد به النطق باللفظ بعد اللفظ من غير اتصال يكون بين معانيهما، لأنه لو جاز أن يكون لمجرد ضَم اللفظ إلى اللفظ تأثير في الفصاحة

1) تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 188.

2) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 55، 56.

3) عّود خليفة، علاقة الدرس النحوي بالدرس البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني، ص 136.

لكان ينبغي إذا قيل: " ضحك، خرج " أن يحدث في ضم " خرج " إلى " ضحك " فصاحة! إذا بطل ذلك، لم يبق إلاّ أن يكون المعنى في ضم الكلمة إلى الكلمة توخي معنًى من معاني النحو فيما بينهما " [1].

والنتيجة أن موضع الكلمة أو موقعها من النظم مقياس أيضا لتحديد المزية والفصاحة عند عبد القاهر الجرجاني، فهو لا يربط فصاحة الكلمة بنطقها منفصلة كما أن تجاور الكلمات لا يستقيم إلا إذا اتفقت في المعنى المراد الإشارة إليه، وذلك مع توخي معنى النحو

1-1-4- التعليق : يعتبر أهم شيء بنا عبد القاهر الجرجاني نظريته فهو يعتبر" أساس النظم والذي قصد به " إنشاء العلاقات بين المعاني النحوية بواسطة ما يسمى بالقرائن اللفظية والمعنوية والحالية، ويحدد معاني الأبواب في السياق ويفسر العلاقات بينها على صورة أوفى وأفضل وأكثر نفعا من التحليل اللغوي لهذه المعاني الوظيفية النحوية [2] .

ولذلك نجد عبد القاهر الجرجاني يلح في تحديده للنظم على فكرة التعليق ولا أدلّ على الأهمية إلي يعلقها بها من اقتصاره في بعض التعريفات عليها ومن ذلك قوله: "معلوم أن النظم ليس سوى تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض" [3].

ثم انتقل إلى تحديد أقسام التعليق معقبا عليها بقوله: " فهذه هي الطرق والوجوه في تعلق الكلم بعضها ببعض، وهي كما تراها معاني النحو وأحكامه " [4].

فالتعليق الذي قصده الإمام الجرجاني هو تعلق فيما بين معاني الألفاظ لا فيما بينها أنفسه، والمزية ترجع إلى المعاني والأغراض، لأن اتساق الألفاظ وترتيبها إنما يكون بحسب معانيها في النفس وأوضاعها في العقل.

1) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 394.

2) ينظر تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 188.

3) عبد القاهر الجرجاني، المرجع السابق، ص 4.

4) المرجع نفسه، ص 8.

1-1-5 - الصياغة: هي" من الصوغ والتصوير والحكم ببلاغة الكلام وحسنه، أو عدم بلاغته وحسنه لا يرجع إلى مجرد معناه، بل إلى براعة صياغته وحسن عرضه " [1] يقول الإمام الجرجاني: " فالتصوير والصياغة هما سبيل الكلام، والمعنى الذي يقع فيه التصوير كالفضة أو الذهب مادة الفن والمزية في الكلام لا تكون في النظر إليه بمجرد معناه فقط"[2]، والصياغة عند الجرجاني دلالة على جلاء الصورة الأدبية وبراعتها وفي ذلك يقول: " ومعلوم أن سبيل الكلام سبيل التصوير والصياغة، وأن سبيل المعنى الذي يعبر عنه سبيل الشيء الذي يقع التصوير والصوغ فيه كالفضة والذهب يصاغ منهما خاتم أو سوار فكما أن محالا إذا أنت أردت النظر في صوغ الخاتم وفي جودة العمل ورداءته أن تنظر إلى الفضة الحاملة لتلك الصورة أو الذهب الذي وقع فيه العمل وتلك الصنعة،كذلك محال إذا أردت أن تعرف مكان الفضل والمزية في الكلام أن تنظر في مجرد معناه؛ وكما أنا لو فضلنا خاتما على خاتم بأن تكون فضة هذا أجود أو فضة أنفس لم يكن ذلك تفضيلا له من حيث هو خاتم كذلك ينبغي إذا فضلنا بيتا على بيت من أجل معناه أن لا يكون تفضيلا له من حيث هو شعر و كلام [3] .

ويتضح مما تقدم أن أساس المفاضلة بين المعاني عند عبد القاهر الجرجاني هو الصوغ والتصوير فالحكم ببلاغة الكلام وحسنه، أو عدم بلاغته وحسنه لا يرجع إلى مجرد معناه، بل إلى براعة صياغته وحسن معرضه، فقد تكون المعاني جيدة، ولكن صياغتها فاسدة ومعرضها سيء، لأن العمل الأدبي أساسه الذوق والجمال والبراعة [4].

ونستنتج مما تقدم أن جمال العبارة في رأي الجرجان ، متولد عن نظمها وترتيبها

1) عّود خليفة، علاقة الدرس النحوي بالدرس البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني، ص 139.

2) ينظر، عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 84.

3) المرجع نفسه، ص 87 ، 88.

4) عبود خليفة، المرجع السابق، ص 140.

وفق ترتيب المعاني القائمة في الذهن، وأن النظم بالمعنى الذي حدده خاصية موجودة في الكلام البليغ دون غيره من مستويات الكلام الأخرى.

وخلاصة القول: " إن عبد القاهر الجرجاني قد تأثر بمن سبقه من العلماء واستطاع بحسه الصادق، وذوقه المرهف أن يوضح بالشواهد العديدة وتحليلها أن المزية لا ترجع إلى الألفاظ المفردة، ولا إلى المعاني العام ، أو المعاني اللغوية للألفاظ، وإنما ترجع إلى النظم، الذي هو توخي معاني النحو، فهو يقوم على ترتيب الكلام حسب مضامينه، ودلالاته في النفس، ترتيبا ينشأ عن معان إضافية، وهي معان ترجع إلى الإسناد فالمتكلم ينظم أفكاره، ويرتبها في ذهنه وينسقها أولا في نفسه، ثم يأتي دور الألفاظ، على حسب ترتيب الأفكار في الذهن، وتنسيقها في العقل، فاللفظ يتبع المعنى في النظم، فإذا وجب لمعنى أن يكون أولا في النفس، ومقدما على غيره، وجب أن يكون اللفظ الدال عليه أولا وقبل غيره من الألفاظ، وبقدر ما يكون ترتيب الألفاظ وفق ترتيب المعاني في النفس، تكون البراعة، ويكون الحسن، فالمتكلم البليغ والأديب الجيد يتكلم أو يكتب وفق ترتيب المعاني والأفكار التي تكونت في ذهنه ووضحت في عقله " [1].

1-2- أهمية نظرية النظم:

حاول عبد القاهر إبراز لب الدرس النحوي، فهو علم يبحث في وظائف الكلمة من خلال العلاقات السياقية اللغوية وهذا يعني أن وظيفة النحو ليست في البحث عن الخطأ والصواب، وحماية اللغة من اللحن وحسب كما هو شائع؛ بل إن وظيفته إلى جانب هذا هي إيضاح المعاني وبيان الفروق اللغوية والمعنوية بين حالات الاستعمال اللغوي. ومن هنا تبرز أهمية النظم فيما يلي:

1) عّود خليفة، علاقة الدرس النحوي بالدرس البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني ، ص 141.

* أنها كانت أساسا منهجيا للكشف عن أسرار البلاغة وحجة دامغة على الإعجاز البلاغي للقرآن، وهذا يستدعي أن تكون الأمثلة والشواهد المدروسة مستمدة من النصوص التي تمثل قمة البلاغة في الثقافة العربية، سواء كانت هذه النصوص من القرآن الكريم، أو من الشعر والنثر، في أرفع مستوياتهما [1].

* أنها كانت تركز على مقتضيات علم النحو وعلى مراعاة أصوله وقوانينه مما جعلها معتمدة لتناول كل ضروب الكلام، بما فيها تلك التي لا تقتصر الهدف من اللغة عند مرحلة استيعاب المعنى وإدراك الغرض وذلك حين ربطت اللغة بظروف الحال والمقام ولا سيما المقام الاجتماعي، وبالمعنى بكل صوره [2].

* ونجد أن لفكرة النظم أهمية كبيرة عند العلماء العرب، وقد يتضح ذلك من خلال ما قدموه في هذا الباب من دراسات، وفي ذلك يقول عبد القاهر الجرجاني: " وقد علمت إطباق العلماء على تعظيم شأن " النظم" وتفخيم قدره، والتنويه بذكره، وإجماعهم أن لا فضل مع عدمه، ولا قدر لكلام إذا هو لم يستقم له، ولو بلغ في غرابة معناه ما بلغ وَبتُّهم الحكم بأنه الذي لا تمام دونه، ولا قِوام إلا به وأنه القطب الذي عليه المدار، والعمود الذي به الاستقلال؛ وما كان بهذا المحلِّ من الشرف، وفي هذه المنزلة من المفضل، وموضوعا هذا الموضع من المزية وبالغا هذا المبلغ من الفضيلة، كان حري بأن توقظ له الهمم وتوكل به النفوس وتحرك له الأفكار، وتُستخدم فيه الخواطر، وكان العاقل جديرا أن لا يرضي من نفسه بأن يجد فيه سبيلا إلى مزية علم، وفضل استبانة، وتلخيص حُجة

1) ابتسام أحمد حمدان، أسس نحوية و لغوية في التفكير البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني، مجلة دراسات في اللغة العربية و آدابها، فصيلة محكّمة، العدد 3، خريف 2010 م، ص 25.

2) تمام حسان، اللغة العربية معناها و مبناها، ص 322.

وتحرير دليل..وهو يستطيع أن يرتفع عن هذه المنزلة، ويـ ُباين من هو بهذه الصفة، فإن ذلك دليلُ ضعف الرأي وقِصَر الَهّمة ممن يختاره ويعمل عليه [1].

* كما كشفت نظرية النظم عن العلاقة القائمة بين المتكلم والمتلقي من خلال شبكة العناصر المكونة للحدث الكلامي من متكلم ونص، ومقام يمثل صلة التواصل بين المتكلم والمخاطب، فالكلام لا تحدده مقصد المتكلم وحسب ، وإنما تتدخل مقاصد المتلقي لتوجيه آلية الكلام، وتربطه بما يسمى "المقام"، إذ ينطلق الكلام من المتكلم ليتفاعل مع معطيات قد استقرت بين المتحاورين [2].

* كما أن المتتبع لجهود العلماء في سعيهم وراء أسباب الإعجاز في القرآن الكريم من بدايات الدرس اللغوي يجد أن الأساس الذي اتكأت عليه تلك الدراسات كان المتلقي في الدرجة الأولى، لأن همَّ الدارسين كان ملاحظة ارتباط النص القرآني بمتلقيه خاصة لـِما كانوا يجدونه من حرج في تناول هذا النص بالاعتماد على مصدره، وعندما بدأت الدراسات اللغوية تبتعد عن دائرة النص القرآني وتبحث في دواعي الإعجاز، ضعفت العناية بالمتلقي حتى جاء عبد القاهر الجرجاني في القرن الخامس الهجري، ليسلط الضوء على المتلقي ُصورا الانعكاسات النفسية للكلام على وجدانه و إدراكه، وما يمكن أن يحدث عنده ُمتعمقا في ذكر دور المعنى في كل ذلك من خلال تناوله لظواهر علمي المعاني والبيان [3].

1-3- معالم نظرية النظم:

لقد تحددت معالم النظم واتضحت قسماته على يد عبد القاهر الجرجاني دون غيره

1) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 80، 81.

2) ابتسام أحمد حمدان، أسس نحوية ولغوية في التفكير البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني، ص 27.

3) ينظر، المرجع نفسه، ص نفسها.

لأن النظم عند عبد القاهر الجرجاني لم يكن مقصودا أو مدروسا بطريقة مباشرة، وإنما هو شيء عفوي نابع من ملاحظات العلماء، " كان يريد أن يؤسس بكتابه هذا علما جديدا استدركه على من سبقه من الأئمة الذين كتبوا في البلاغة وفي إعجاز القرآن " [1]، فقد جمع في كتابه " دلائل الإعجاز " أغلب تلك الدراسة الواسعة التي نهضت على أكتاف النحو وعلى تماسك لبناته حتى إنه يرجع كل جمال في النظم إلى مراعاة أحكام النحو.

وأما عن سبب التأليف فقد جاء في دلائله قوله: " ثم إن التوق إلى أن تقر الأمور قرارها، وتوضع الأشياء مواضعها، والنزاع إلى بيان ما يشكل، وحل ما ينعقد والكشف عما يخفى، وتلخيص الصفة حتى يزداد السامع ثقة بالحجة واستظهارا على الشبهة، واستبانه الدليل، وتبينا للسبيل، شيء في سوس العقل وفي طباع النفس إذا كانت نفسا " [2].

ولقد كان فضل الإمام عبد القاهر عظيما في تقرير نظرية النظم ضمن اللفظ والمعنى في طريقة الأداء لتصوير المعنى، فإذا اختلفت طرق التعبير عن المعنى الواحد لابد وأن يتبع هذا الاختلاف تبدلا و تغيرا يصور هذا المعنى في النفس والذهن وبذلك يربط المعاني بطرق الأداء ربطا لا يجوز الحديث بعده عن المعاني والألفاظ كل على انفراد ولا يفصل بينهما بفاصل، ولن يبرز المعنى الواحد إلا في صورة واحدة، فإذا تغيرت الصورة الواحدة تغير المعنى بمقدارها، فأي تبدل في الألفاظ لابد أن يقابله تبدل في المعنى وهذه هي الطريقة المثلى [3]. يقول: " اعلم أن ما ترى أنه لابد منه من ترتب الألفاظ و تواليها على النظم الخاص، ليس هو الذي طلبته بالفكر. و لكنه شيء يقع بسبب الأول ضرورة من حيث إن الألفاظ إذ كانت أوعية للمعاني، فإنها لا محالة تتبع المعاني في مواقعها، فإذا وجب لمعنى أن يكون أولا في النفس، وجب للفظ الدال عليه أن يكون مثله أولا في النطق

1) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص(أ) من مقدمة الناشر.

2) المرجع نفسه، ص 34.

3) ينظر، خالد بن ربيع الشافعي، نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني مقدماتها – أركانها – قيمها –

فأما أن تتصور في الألفاظ أن تكون المقصودة قبل المعاني بالنظم والترتيب وأن يكون الفكر في النظم الذي يتواصفه البلغاء فكرا في نظم الألفاظ أو أن تحتاج بعد ترتيب المعاني إلى فكر تستأنفه لأن تجيء بالألفاظ على نسقها فباطل من الظن ووهم يتخيل إلى من لا يوفي النظر حقه، وكيف تكون مفكرا في نظم الألفاظ وأنت لا تعقل لها أوصافا وأحوالا إذا عرفتها عرفت أن حقها أن تنظم على وجه كذا ؟ " [1].

ويقول : " إنه لا يتصور أن تعرف للفظ موضعا من غير أن تعرف معناه ولا أن تتوخى في الألفاظ من حيث هي ألفاظ ترتيبا ونظما، وأنك تتوخى الترتيب في المعاني وتعمل الفكر هناك، فإذا تم لك ذلك أتبعتها الألفاظ و قَفَوتَ بها آثارها وأنك إذا فرعت من ترتيب المعاني في نفسك، لم تحتج إلى أن تستأنف فكرا في ترتيب الألفاظ، بل نجدها تترتب لك بحكم أنها خدم للمعاني، و تابعة لها، و لاحقة بها، و أن العلم بمواقع المعاني في النفس، علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق " [2].

حيث يشير إلى أن أي تغيير في جمع الألفاظ بعضها مع بعض، قد يؤدي إلى تغيير المعنى المراد إيصاله إلى المتلقي.

ولقد درج المحدثون نقادا ولغويون على إطلاق مصطلح " نظرية النظم " على الفكرة الأساسية التي يدافع عنها الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز، خاصية هذه النظرية قيامها على أسبقية المعنى على اللفظ، وانتهاج منهج لبناء العبارة اللغوية على أساس معناها [3]. حيث يعتبر عبد القاهر المعنى بنية قائمة بذاتها حيث يقول: " فأما نظم الكلم فليس الأمر

[1]) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ، ص 52، 53.

[2]) المرجع نفسه، ص54، 53.

[3]) أحمد المتوكل، المنحنى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، الأصول و الامتداد، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط 1 2006 م، ص 181.

فيه كذلك، لأنك تقتفي في نظمها آثار المعاني وترتيبها على حسب ترتيب المعاني في النفس، فهو إذن نظم تعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض " [1].

وقد تصدى الإمام عبد القاهر الجرجاني لذلك التيار الذي اهتم باللفظ دون المعنى لأنه إذا اقتصر البعض على المزية المحصورة بنظم الكلم وبأن النظم هو نظم للألفاظ دون المعاني، دون المزية الأخرى في توخي معاني النحو، فإنهم لن يصلوا إلى حقيقة الإعجاز باعتقادهم أن الفصاحة لا تظهر بأفراد الكلمات وإنما تظهر بالضم على طريقة مخصوصة[2].

وقد كانت الفكرة الرئيسية التي بني عليها عبد القهار الجرجاني كتابه "دلائل الإعجاز" تدور حول بلاغة الكلام، وأنها تكون في النظم، وأن النظم هو تعلق معاني الكلام بعضها ببعض، وليس ذلك سوى أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل بقوانينه وأصوله، وأن نظم الكلام تابع لمعناه " [3]. هذا ما نجده مؤكدا له. فنجده يشرحها حينا، ويبرهن على صحتها حينا، ويورد ما ذكره المعارضون حينا آخر. و كل ما ذكره عبد القاهر و أورده في دلائله من المسائل، إنما ذكره لتوضيح هذه الفكرة، فالتقديم والتأخير، والذكر والحذف والتعريف والتنكير، وغير ذلك من الموضوعات جاء بها عبد القاهر يبين معنى بلاغة " النظم "، وأن الألفاظ جاءت على نحو معين: لأنها جاءت كذلك تابعة للمعاني، كما يذكر المجاز والتشبيه والاستعارة والكناية ليبين أن البلاغة فيها جميعا لمعناها كذلك.

---

[1]) ينظر، عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ، ص360.

2) ينظر، خالد بن ربيع الشافعي، نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني مقدماتها– أركانها – قيمها.

3) المرجع نفسه.

وقد سيطرت على الكتاب نظرية النظم بشتى أقسامها من علوم المعاني تناول فيه اللفظ والمعنى، والفصاحة والبلاغة وتحرير القول في الإعجاز وغيرها من الموضوعات اللغوية الهامة، ويمكن تلخيص أبرز آراء عبد القاهر في دلائله حول نظم الكلام بما يلي [1]:

1. الألفاظ أوعية للمعاني وخادمة لها.
2. ليس المقصود بالنظم ضم الشيء إلى الشيء كيفما اتفق، بل لابد من تتبع آثار المعاني، واعتبار الأجزاء مع بعضها.
3. لا نظم ولا ترتيب للكلم حتى يتعلق بعضها ببعض.
4. لابد في النظم أن تتلاقى معاني الكلمات على الوجه الذي يقتضيه العقل.
5. ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، أي أن تتوخى فيه معاني النحو.
6. الهام معرفة مدلول عبارات النحو لا العبارات نفسها.
7. الاستعارة وسائر ضروب المجاز من مقتضيات النحو.
8. لا ينكر تعليق الفكر بمعاني الكلم المفردة أصلا، ولكن الفكر لا يتعلق بمعاني الكلم مجردة عن معاني النحو.

وقد كانت قضية اللفظ والمعنى من أكثر القضايا التي شغلت عبد القاهر الجرجاني وفصَّل الحديث فيها، فكان له أراء حولهما، وحول العلاقة بينهما ففي مسألة المعنى نجد عبد القاهر الجرجاني قد أكد سبق المعاني للألفاظ ويفصل فيها بإلحاح في غير موضع من كتابه، ويمكن إرجاع ما يحتج به الجرجاني لأسبقية المعنى إلى أمرين [2]:

أولا: مراحل عملية التخاطب.

ثانيا: تحكم المعنى في تحديد بنية الخطاب.

---

1) خالد بن ربيع الشافعي، نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني مقدماتها– أركانها – قيمها، نقلا عن، جعفر دك الباب، الموجز في شرح دلائل الإعجاز في علم المعاني، مطبعة الجليل ، دمشق، سوريا، ط 1، 1980م، ص 103.

2) أحمد المتوكل، المنحنى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، الأصول والامتداد، ص 181.

حيث إن أهم شقي العملية التخاطبية في رأي الجرجاني هو شق المتكلم لا شق السامع أو العبرة في رأيه في تحليل العبارة اللغوية بكيفية بنائها لا بكيفية تلقيها [1]، يقول في هذا الصدد: " واعلم أنه إن نظر ناظر في شأن المعاني والألفاظ إلى حال السامع. فإذا رأى المعاني تقع في نفسه من بعد وقوع الألفاظ في سمعه ظن لذلك أن المعاني تبع للألفاظ في ترتيبها. فإن هذا الذي بيناه يريه فساد هذا الظن، وذلك أنه لو كانت المعاني تكون تبعا للألفاظ في ترتيبها، لكان محالا أن تتغير المعاني والألفاظ بحالها لم تزل عن ترتيبها، فلما رأينا المعاني قد جاز فيها التغير من غير أن تتغير الألفاظ و تزول عن أماكنها، علما أن الألفاظ هي التابعة والمعاني هي المتبوعة " [2].

كما يميز الجرجاني بين " الضم " و" النظم " على أساس أن الأول مجرد وصف اعتباطي للألفاظ، في حين أن الثاني إعمال لقواعد التعليق بين الألفاظ للوصول إلى بنية تركيبية معينة وهذا المفهوم لا يمكن أن تتم عملية " النظم " بين ألفاظ العبارة إلا إذا أخذ معناها بعين الاعتبار [3].

ولعل أوضح الإشارات إلى تبعية البنية اللفظية للمعنى الإشارة التالية: " وليت شعري، هل كانت الألفاظ إلا من أجل المعاني؟ وهل هي إلا خدم لها ومصرفة على حكمها ؟ أو ليست هي سمات لها، وأوضاعا قد وضعت لتدل عليها ؟ فكيف يتصور أن تسبق المعاني"[4].

ويقول أيضا: " من حيث إن الألفاظ أوعية للمعاني، فإنها لا محالة تتبع المعاني في مواقعها، فإذا وجب لمعنى أن يكون أولا في النفس، وحب للفظ الدال عليه أن يكون مثله أولا في النطق، فأما أن تتصور في الألفاظ أن تكون المقصودة قبل المعاني بالنظم

1) أحمد المتوكل، المنحنى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، الأصول والامتداد، ص 181.

2) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 373، 372.

3) ينظر، أحمد المتوكل، المرجع السابق، ص 182.181.

4) المرجع نفسه، ص 417.

والترتيب، وأن يكون الفكر في النظم الذي يتواصفه البلغاء فكرا في نظم الألفاظ، أو أن تحتاج بعد ترتيب المعاني إلى فكر تستأنفه لأن تجيء بالألفاظ على نسقها، فباطل من الظن، ووهم يتخيل إلى من لا يوفي النظر حقه، وكيف تكون مفكرا في نظم الألفاظ، وأنت لا تعقل لها أوصافا وأحوالا إذا عرفتها عرفت أن حقها أن تنظم على وجه كذا " [1].

فهو لا يجعل للفظ فضلا في الوجود من دون المعنى فيقول: "لا يتصور أن تعرف للفظ موضعا من غير أن تعرف معناه، ولا تتوخى في الألفاظ من حيث هي ألفاظ ترتيبا ونظما، وأنك تتوخى الترتيب في المعاني وتعمل الفكر هناك، فإذا تم لك ذلك أتبعتها الألفاظ وقفوت بها آثارها وأنك إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك، لم تحتج إلى أن تستأنف فكرا في ترتيب الألفاظ، بل تجدها تترتب لك بحكم أنها خدم للمعاني، وتابعة لها ولاحقة بها، وأن العلم بمواقع المعاني في النفس، علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق " [2].

ورغم اهتمام الإمام عبد القاهر بالمعنى، وما قدمه له من جهد في توضيح مفهومه، إلا أنه خطأ المنحازين إلى جانب المعنى بشدة، فيقول : " واعلم أن هذا أعني الفرق بين أن تكون المزية في اللفظ، وبين أن تكون في النظم " باب يكثر فيه الغلط، فلا ترى مستحسنا قد أخطأ بالاستحسا ن موضعه، فينحلُ اللفظ ما ليس له ولا تزال ترى الشبهة قد دخلت عليك في الكلام قد حسن من لفظه ونظمه فظننت أن حسنه ذلك كله للفظ منه دون النظم" [3].

وهو هنا في هذا الباب يوجب العناية بالنظم من أجل معرفة الصواب، أي إلى من تعود المزية قائلا: "وهذا باب ينبغي أن تراعيه وأن تعنى به، حتى إذا وازنت بين كلام وكلام

1) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 52، 53.

2) المرجع نفسه، ص 54، 53.

3) المرجع نفسه، ص 98.

دريت كيف تصنع، فضممت إلى كل شكل شكله وقابلته بما هو نظير له، وميزت ما الصنعة منه، مما هي منه في نظمه " [1].

فبناء العبارة اللغوية – الكلام – يقوم عند الإمام عبد القاهر الجرجاني على التمييز بين مستويين، مستوى المعنى ومستوى اللفظ، يربط بينهما رابط تبعية وفق قواعد النظم فمستوى المعنى هو الغرض المتوخي تحقيقه، ومستوى اللفظ ينقل مستوى المعنى بواسطة قواعد النظم إلى مستوى اللفظ حيث تجري قواعد تعليق المفردات بعضها ببعض وترتيب بعضها بالنظر إلى بعض طبقا للغرض المنشود تحقيقه [2].

2_ النظم و توخي معاني النحو:

لم يكن هَمُّ عبد القاهر الجرجاني تصحيح مسار الدرس النحوي الذي أصبح في عصره حسب قوله: "وأما النحو، فظنّته ُ ضربا من التكلف، وبابا من التعسف، وشيئا لا يستند إلى أصل، ولا يـُعتمد فيه على عقل، وأن ما زاد منه على معرفة الرفع والنصب وما يتصل بذلك مما تجده في المبادئ، فهو فضل لا يجدي نفعا، ولا تحصل منه على فائدة وضربوا له مثل الملح كما عرفت... " [3]؛ بل كان همه قبل كل شيء بيان دلائل الإعجاز فوصل إلى أن توخي معاني النحو هو الأساس الذي يقوم عليه إعجاز نظم القرآن الكريم وهناك فرق بين النحو وتوخي معاني النحو؛ فالنحو يسعى إلى بيان الأسلوب الصحيح في الكتابة الذي يطابق أوضاع القواعد النحوية فيعرف الدارس للنحو الكيفية التي تتسابق فيها الكلمات، حتى تؤدي معنى يصل إلى عقل المتلقي، وهدا ليس هدف النظم لان النظم يقوم على توخي أو اختيار الأساليب التي تؤدي غرض المتكلم فهو يختار من الأساليب

1) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص98.

2) أحمد المتوكل، المنحنى الوظيفي في الفكر العربي، الأصول والامتداد ص 185.

3) عبد القاهر الجرجاني، المرجع السابق، ص 8.

الموضوعة في قوانين النحو ما يمكن أن يعبر عن الأغراض، والمعاني المناسبة للمقام والحال، ليصل إلى عقل المتلقي ووجدانه [1].

وقد أبى عبد القاهر الجرجاني أن ينساق مع نظرة النحاة الخاطئة للنحو فانتشله من مهاوي التردي، وغياهب الجمود، فدعا إلى دراسة النظم وما يتصل به من بناء وترتيب وتعليق مجسداً الرغبة في إيضاح المعاني الوظيفية للتركيب الكلامي، وأوجه الدلالة في تأليف العبارة؛ فالنحو عند عبد القاهر الجرجاني هو الذي يفتح الألفاظ المغلقة على معانيها وهو المعيار الذي يعرف به فضل كلام على كلام، وهو مقياس الصحة من السقامة في الفكر[2]؛ فنراه يقول في فصل "النظم هو توخي معاني الإعراب": "واعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك علمت علما لا يعترضه الشك، أن لا نظم في الكلم ولا ترتيب، حتى يُعَّلق بعضها ببعض ويُبنى بعضها على بعض، وتُجعل هذه بسبب من تلك " [3].

وعلى الرغم من أن مصطلح " النظم " تناولته كتب الباحثين في الإعجاز القرآني لكنهم نادرا ما فصلوا فيه ليكون عَلَما على نظرية متكاملة مؤهلة لتكون أساسا في دراسة أية ظاهرة لغوية أو أدبية، بينما استطاع الجرجاني أن يتوصل إلى أبعاد دقيقة وعميقة، فقال: "و اعلم أن ههنا أسرار ودقائق لا يمكن بيانها إلا بعد أن تَقَدُم جملة من القول في النظم وفي تفسيره والمراد منه" [4]، ونجده يذهب على تحديد جوهر النظم وهو توخي معاني النحو فيقول: " اعلم أن ليس " النظم" إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه" علم

1) ابتسام أحمد حمدان، أسس نحوية و لغوية في التفكير البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني، ص 28 .

2) عبود خلفية، علاقة الدرس النحوي بالدرس البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني، ص 65.

3) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 55 .

4) المرجع نفسه، ص 80.

النحو"، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نُهِجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رُسمت لك فلا تُخِلُّ بشيء منها " [1].

كما نجده يدخل الكلام كله تحت لوائه، ويؤكد أن مرد الصواب والخطأ في الكلام إلى معاني النحو وأحكامه، يقول: "هذا هو السبيل، فلستَ بواجد شيئا يرجع صوابه إن كان صوابا، وخطؤه إن كان خطأ، إلى "النظم" ويدخل تحت هذا الاسم، إلا وهو معنى من معاني النحو قد أصيب به موضعه، ووضع في حقه أو عومل بخلاف هذه المعاملة، فأزيل عن موضعه، واستُعمل في غير ما ينبغي له، فلا ترى كلاما قد وُصِف بصحة نظمٍ أو فساد، أو بمزية وفضل فيه، إلا وأنت تجد مرجع تلك الصحة وذلك الفساد وتلك المزية وذلك الفضل، وإلى معاني النحو وأحكامه، ووجدته يدخل في أصل من أصوله، ويتصل بباب من أبوابه [2].

فالّنحو عند عبد القاهر الجرجاني مقياسٌ به يستقيم الكلام، وبالاعتماد عليه يكشف الّقاب عن خفّي الّدلالات ومختلف المقاصد وصحيح الكلام من خطئه وقد ذهب في ذلك إلى عدم تعلّق الفكر بمعاني الكلم مجّردة من معاني الّنحو وتوخّيها.

ويقول في إثبات محاسن النظم: " وإذ قد عرفت أنّ مدار أمر "النظم على معاني النحو"، وعلى الوجوه و الفروق التي من شأنها أن تكون فيه، فاعلم أنّ الفروق والوجوه كثيرة ليس لها غاية تقف عندها، ونهاية لا تجد لها ازديادا بعدها ثُم اعلم أن ليست المزية بواجبة لها في أنفسها، ومن حيث هي على الإطلاق و لكن تعرض بسبب المعاني والأغراض

1) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 81.

2) المرجع نفسه، ص 82، 83.

التي يـُوضَع لها الكلام، ثم بحسب موقع بعضها مع بعض ، واستعمال بعضها مع بعض[1].

ويـُتم قائلا: "بل ليس من فضل ومزية إلا بحسب الموضع، وبحسب المعنى الذي تريد والغرض الذي تؤم. وإنما سبيل هذه المعاني سبيل الأصباغ التي تـُعَمَل منها الصور والنقوش، فكما أنك ترى الرجل قد تهدى في الأصباغ التي عما منها الصورة والنقش في ثوبه لذي نسج، إلى ضرب من التخيُّر والتدبر في أنفس الأصباغ وفي مواقعها ومقاديرها وكيفية مزجه لها وترتيبه إياها، إلى ما لم يـَتـَهَدَّ إليه صاحبه، فجاء من أجل ذلك أعجب،وصورته أغرب، كذلك حال الشاعر والشاعر في توخيهما معاني النحو ووجوهه التي علمت أنها محصول " النظم " [2].

من هنا يتعين، أن نظرية النظم تستند إلى النحو كأساس علمي على أن يفهم أن هذا النحو يتحرك بين حدين متلازمين [3]:

الأول: حدٌّ معياريٌّ يحكم بالصحة والخطأ بناًء على قواعد علمية مضبوطة تجد نموذجها المفضل في اللّغة بدلالاتها الوضعّية الّتي يتقلّص فيها العدول أو يكاد إلى درجة الصفر مثل: (زيدٌ منطلقٌ) و(خرج عمرو) ... الخ.

الثاني: حدٌّ وصفيٌّ ينطلق من الحد الأول ليتجاوزه إلى تعليل المزية التي تجد نموذجها المفضّل في اللغة بدلالاتها المجازّية المتمثّلة في ظواهر من قبيل الاستعارة الكناية التمثيل، التقديم والتأخير، والفصل والوصل، إلى غير ذلك مما نجده في لغة الشر ولغة القرآن.

---

[1]) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 87.

[2]) المرجع نفسه، ص 87، 88.

[3]) ابتسام أحمد حمدان، أسس نحوية و لغوية في التفكير البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني، ص 9.

ونستفيد من ما سبق أن النّظم في جوهره لدى الجرجاني هو النّحو في أحكامه وليس المقصود بأحكام النّحو مجرّد مراعاة الإعراب والقواعد الّتي تقف بالنّحو عند حدود الحكم بالصّحّة والفساد ممّا يعتبر من لوازم الكلام، ولكنّ المقصود أيضًا هو مراعاة "صورة المعنى" في الكلام، أي مراعاة العلاقة البنيويّة أو النظميّة الّتي يمكن من خلالها أن نجد ما للنّظم من مزية أو فضل؛ وذلك بدرجاتٍ متباينةٍ في الفهم و التأّول.

3_ أغراض المتكلم عند عبد القاهر الجرجاني : (المقاصد)

من البديهي أن الأفعال هي ما يقوم الإنسان بعمله، وقد يتردد الإنسان في إطلاقه صفة الفعل على الشيء إذا لم يكن نتيجة لقصد الفاعل، وعليه فلا يسمى الفعل فعلا ما لم يصحبه القصد، بحيث ينطبق هذا على الفعل الذهني أو الجسدي، ولا ريب أن كل فعل من هذه الأفعال يأتي لتحقيق هدف معين [1].

وقد عالج بعض الباحثين القدماء القصد؛ فاشترط بعضهم ورود القصد في الكلام، وذلك عند تعريفهم له؛ فتساءلوا " وهل يشترط في الكلام القصد؟ " قولان: أحدهما يقول نعم والثاني يقول لا [2].

ويسعى عبد لقاهر الجرجاني من خلال نظريته النظم على رصد الفروق والوجوه التي ينطوي عليها كل تركيب لغوي يهدف من ورائه المتكلم إيصال أغراض الكلام ومقاصده "مرتبة في النطق على حسب ترتيبها في النفس" [3]، وبهذا فقد ميز بين شكل التركيب أو بنيته والمعنى الذي تؤديه، مراعيا في ذلك كل ما يطرأ عليه من زيادة أو نقصان مما شأنه

1) بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بن غازي، ليبيا، ط 1 2003 م، ص 188.

2) ينظر، المرجع نفسه، ص 189.

3) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 64.

أن يغير حاصل المعنى، فالمعنى يعتبر الجزء الأساسي في الحدث الكلامي و الألفاظ خدم هذه المعاني [1].

ونرى أن عبد القاهر الجرجاني يربط بين معاني النحو الناشئة عن تعلق الكلم بعضها ببعض والأغراض والمقاصد التي يصدر عنها الكلام، يقول: " وإذا كان لا يكون في الكلم نظم ولا ترتيب إلا بأن يُصنع بها هذا الصنيع ونحوه ـ يقصد تركيبها النحوي ـ وكان ذلك كله مما لا يرجع منه إلى اللفظ شيء، ومما لا يُتصور أن يكون فيه ومن صفته َبانَ بذلك أن الأمر على ما قلناه، من أن اللفظ تبع للمعنى في النظم، وأن الكلم ترتب في النطق بسبب ترتب معانيها في النفس" [2].

والنحو عنده ليس مقتصرا على الرفع والنصب والجر كما ظنَّ من يقللون من شأنه وإنما هو بحث يقتفي آثار المعان ، ورصد الأغراض والمقاصد، وتتّبع الوجوه والفروق التي يشتمل عليها التركيب، وهذا ما أوضحه من خلال إنكاره عليهم [3] في قوله لهم إذا تجاوزوا المعقول في حديثهم عن النحو و تخليهم عن كل جوانبه: " قلنا لهم: أما الجنس فلسنا َنعيبكم إن لم تنظروا فيه ولم تُعنوا به، وليس ُبهِمِّنا أمره، فقولوا ما شئتم، وضعوه حيث أردتم. فإن تركوا ذلك وتجاوزوه إلى الكلام على أغراض واضع اللغة، على وجه الحكمة في الأوضاع وتقرير المقاييس التي اطردت عليها" [4]، أوجب عبد القاهر الجرجاني لنفسه الرد عليهم، ونذكر مثالا في رده عليهم في مجال الصفة والموصوف، إذ يقول: "وإذا نظرتم

1) ينظر، عائشة برارات، أغراض المتكلم ودورها في التحليل النحوي في شرح كافية ابن الحاجب لرضي الدين الأستراباذي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، مخطوط جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية قسم اللغة العربية وآدابها، نوقشت 2009 م، ص 71، 72.

2) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 55 ، 56.

3) ينظر، عائشة برارات، المرجع السابق، ص 72.

4) المرجع نفسه، ص 29.

مثلا، فعرفتم أنها تَتبع الموصوف، وأن مثالها قولك: جاءني رجل لطيف ومررت بزيد الظريف، هل ظننتم أن وراء ذلك علما، وأنها صفة تُخصِّص، وصفة تُوضح وتُبين وأن فائدة التخصيص غير فائدة التوضيح، كما أن فائدة الشَّياع غير فائدة الإبهام، وأن من الصفة صفة لا يكون فيها تخصيص ولا توضيح، ولكن يُؤتَى بها مؤكِّدة كقولهم: أمسِ الدابرُ، وقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحاقة، الآية (13)] ، وصفة يراد بها المدح والثناء، كالصفات الجارية على اسم الله تعالى جَدُّه؟ وهل عرفتم الفرق بين الصفة والخبر، وبين كل واحدة منها وبين الحال، وهل عرفتم أن هذه الثلاثة تتفق في أن كافتها لثبوت المعنى للشيء، ثم تختلف في كيفية ذلك الثبوت ؟ " [1].

وهو هنا لا يكتفي بإثبات بالصفة أن الصفة تابعة للموصوف من حيث الشكل أي الإعراب، وإنما يتجاوز ذلك ببيان الأغراض التي تُؤتى بالصفة من أجل تأديتها كالتوضيح والتخصيص والتأكيد والمدح وغيرها [2].

وهذه الأغراض من صميم النحو وتتصل به، ذلك أنّ معرفة الوجوه والفروق التي تتعلق بكل باب من أبوابه إنما تكون بحسب الأغراض والتصرف فيها، يقول الجرجاني في ذلك: "و إذ قد عرفت أن مدار أمر النظم على معاني النحو، وعلى الوجوه والفروق التي من شأنها أن تكون فيه فاعلم أن الفروق الوجوه كثيرة، ليس لها غاية تقف عندها، ونهاية لا تجد لها ازديادا بعدها ثم اعلم أن ليست المزية بواجبة لها في أنفسها، ومن حيث هي

1) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 29، 30.

2) ينظر، عائشة برارات، أغراض المتكلم ودورها في التحليل النحوي في شرح كافية ابن الحاجب لرضي الدين الأستراباذي، ص 72.

على الإطلاق، ولكن تَعرضُ بسبب المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام، ثم بحسب موقع بعضها مع بعض، واستعمال بعضها مع بعض " [1].

والكلام لا يعني إصدار الأصوات دون ارتباط فيما بينها، من حيث آداء المعاني وأغراض التواصل.

"والتلفظ دون القصد هو ما يوازي الفعل التعبيري عند أوستين، إذ قد ينطق المرسل أصواتا عربية، مركبة من مفردات لغوية ذات معان معجمية وبُنى صرفية، ومنتظمة في تركيب نحوي صحيح. وبالرغم من أنها ذات دلالة في ذاتها، إلا أنها لا تنجز فعلا دون قصد المرسل، فضلا عن أن تحدد قوته؛ فالتلفظ بالخطاب ليس عملية تصويت فحسب فلا يمكن الحكم بوجود التلفظ إلا بتوفر قصد المرسل، وذلك يتجاوز مجرد النطق بأصوات فقط" [2].

وهذا ما جعل من الضروري بحث المقاصد لأنها مقاصد المتكلم لإحداث الأصوات التي تعمل وفق هذه الأعراف بطريقة معينة؛ أي قصد المتكلم إحداث سلسلة من الأصوات تعد جملة في اللغة، حيث إن الفعل الصوتي المعين يكون الفعل الصرفي التركيبي في حالة واحدة وهي [3] :

_ أن يقصد المتكلم إحداث سلسلة من الأصوات وفقا لأعراف لغوية معينة.

_ أن يحدث سلسلة من الأصوات تعمل وفقا للنحو المشار إليه.

أي أن يقصد المرسل استعمال ملفوظ معين رابطا معناه الحرفي إلى أعراف اللغة.

1) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 87.

2) بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص 191.

3) المرجع نفسه ، ص نفسها .

ويتعدى اهتمام عبد القاهر الجرجاني ببيان دور الأغراض في الجانب النحوي للمفردات والعبارة، إلى بيان مرتبة الفضل والمزية في قوله: "بل ليس من فضل ومزية إلا بحسب الموضع، وبحسب المعنى الذي تريد والغرض الذي تَؤم" [1].

إذ يبين لنا هذا النص كيفية عمل النظام النحوي من خلال توفر العناصر التالية: [2]

_ موقع لكلمات بعضها مع بعض (الترتيب).

_ الأغراض التي يوضع لها الكلام، وهي تشتمل على السياق الملائم للكلام.

_استعمال الكلمات بعضها مع بعض وهو ما يُفهم وصفه بالاختيار الصحيح بين الحقول الدلالية للمفردات؛ أي التوارد المعجمي على مستوى محور التراكيب (ائتلاف الملم بعضها مع بعض).

وفي هذا يقول أيضا: "ليس الغرض بنظم الكلم، أن توالت ألفاظها في النطق، بل أن تناسقت دلالتها تلاقت معانيها، على الوجه الذي اقتضاه العقل" [3].

ولذلك فإنه يغدو لزاما أن يلازم القصد فعل التلفظ، لأنه لا عبرة بقصد المرسل بعد أن يتلفظ باللغة، إذ يدخل هذا في باب التلاعب، ولا تعارض بين هذه المصاحبة وتنفيذ قصد المرسل، إذا كان الخطاب ينتمي إلى الفعل ألتأثيري، فالقصد يظل كامنا في فعل التلفظ بالخطاب ذاته [4] .

فالجرجاني يعتبر الأغراض التي يُوضع لها الكلام شرطا أساسيا للحكم عليه بالفضل ونسبة المزية والشرف إليه ويعدّ تأكيده على تلك المعاني وما تضّمه من الإفادات الأغراض

1) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 87.

2) ينظر، عائشة برارات، أغراض المتكلم ودورها في التحليل النحوي في شرح كافية ابن الحاجب لرضي الدين الأستراباذي، ص 73.

3) عبد القاهر الجرجاني، المرجع السابق، ص 49 ، 50.

4) بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب ، مقاربة لغوية تداولية، ص 93.

التواصلية مبدأ عاما يتوخّاه في كلّ باب من أبواب النحو" فلايتأتّى للناظم نظمه إلا بالفكر الرّوية"؛ أي: النطق بالألفاظ من نفس المتكلم ووفق قصده وغرضه " [1].

ويرى بن ظافر الشهري أنه "يتبوأ القصد بمعنى الإرادة أهمية في التفريق بين مرسل صادق وآخر كاذب، حتى لو اتحد الخطاب في صورته ومن ثم فرض عبد القاهر علينا أن لا نستغني عن اعتقاد المتكلم ولا عن نية المتكلم، وهذا يسري بوجه قوي في إستراتيجيات كثيرة، وفي بعض الأفعال اللغوية. في هذه الحالة لن يكون محتوى القضية هو معيار الصدق والكذب، بل تكون إرادة المرسل هي المعيار [2].

وخلاصة القول أن تأكيد الجرجاني على فكرة المعاني المرتبة في النفس (أغراض المتكلم)، ومن ثم ترتيب الألفاظ تبعا لها يدل دلالة واضحة على تأثير العناصر غير اللغوية ولاسيما قصد المتكلم وغرضه في إيجاد وتقرير نمط معين للنظم وهكذا تُقدِّم النظرية جانبين : الأول نفسي يضم الدلالة أو المعنى النفسي ويشكل قصد المتكلم وغرض الكلام والثاني لغوي يضم الألفاظ لمنطوقة حيث تتلاحم الدلالات المعجمية بالدلالات السياقية على مستوى التأليف [3].

وقد ألّح الجرجاني على استجلاء الأغراض والمقاصد المتضّمنة في التركيب اللغوي إذ إنّ كلّ صورة من الصور التي يأتي عليها ترجع في حقيقة الأمر إلى الدواعي والحاجات التي تخالج نفس المتكلم، أو بمعنى آخر تتصل اتصالا وثيقا بغرض المتكلم من وراء إيراد خطابه إلى السامع، فيفصل بين نفي وإثبات وبين استفهام وجزاء وغيره.

1) ينظر، عائشة برارات، أغراض المتكلم ودورها في التحليل النحوي في شرح كافية ابن الحاجب لرضي الدين الأستراباذي، ص 73.

2) بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص 194، 195.

3)عائشة برارات، المرجع السابق، ص 75.

4- ظاهرة الاستلزام عند عبد القاهر:

تعد ظاهرة الاستلزام حديثة المعالجة يرجع فضل البحث فيها – كما ذكرنا في الفصل السابق – إلى بول غرايس، لكننا نلاحظ لهذه الظاهرة بروزا عند العرب وذلك في تمييز اللغويين العرب والبلاغيين منهم بصفة خاصة في استعمال العبارات اللغوية بين ما يسمونه بالاستعمال على وجه الحقيقة والاستعمال على غير وجه الحقيقة [1].

وقد تحدث الجرجاني في ذلك، إذ يعتبر خلاصة ما أنتجه الفكر العربي، لأن تفكيره لم يقف عند التركيب، بل تخطاه إلى فحص مختلف جوانب الظاهرة اللغوية فحصا دقيقا لما يتميز به من شمول للعمليات الدلالية والمقامية الراجعة إلى اختيارات المتكلم وظروف إبلاغه [2]، فدراسة" عبد القاهر للنظم وما يتصل به تقف بكبرياء كتفا إلى كتف مع أحدث النظريات اللغوية في الغرب وتفوق معظمها في مجال فهم طرق التركيب اللغوي هذا مع الفارق الزمني الواسع الذي كان ينبغي أن يكون ميزة للجهود المحدثة على جهد عبد القاهر "[3].

ونرى الجرجاني يميز في كتابه دلائل الإعجاز بين حمل العبارة اللغوية على ظاهرها وحملها على المجاز إذ يمكن أن تدل على غير معناها حينئذ عن طريق التأويل، وقد كان ذلك ظاهرا وجليا في فصل عنونه بـ: " فصل في اللفظ يطلق والمراد به غيرُ ظاهر" وقد اشتمل على ذكر بعض الأمثلة، يقول: "و اعلم أن لهذا الضرب اتساعا وتفننا لا إلى غاية، إلا أنه على اتساعه يدور في الأمر الأعم على شيئين: "الكناية" و"المجاز" "[4].

فقد فصل عبد القاهر في أمر التشبيه والتمثيل والكناية والاستعارة والمجاز، وذلك

1) مجلة علوم اللغة العربية و آدابها، منشورات المركز الجامعي بالوادي، العدد الأول، مارس 2009 م، ص 107.

2) ينظر، المرجع نفسه، ص نفسها.

3) تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص، 18، 19.

4) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 66.

تحت فكرة أن المزية فيها ليست في أنفس المعاني التي يقصد المتكلم إليها الخبر وإنما في طريقة إثباته لها وتقريره إياها.

والمراد بالكناية عند الجرجاني: أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود. فيومئ به إليه، ويجعله دليلا عليه، ومثال ذلك قولهم: "هو طويل النجاد"، يريدون طويل القامة "وكثير رماد القدر" يعنون كثير القرى، وفي المرأة: "نؤوم الضحى"، والمراد أنها مترفة مخدومة لها من يكفيها أمرها، فقد أرادوا في هذا كله معنى، ثم لم يذكروه بلفظه الخاص به، ولكنهم توصلوا إليه بذكر معنى آخر من شأنه أن يردفه في الوجود، وأن يكون إذا كان، أفلا ترى أن القامة إذا طالت طال النجاد؟ وإذا كثر القرى كثر رماد القدر؟ وإذا كانت المرأة مترفة لها من يكفيها أمرها، ردف ذلك أن تنام إلى الضحى؟ [1].

ويحاول عبد القاهر تأكيد المزية في الكناية في إخفاء المعاني، وإعطائها رونقا وجمالا في الإفصاح عن المعاني؛ يقول: "أما الكناية؛ فإن السبب في أن كان للإثبات بها مزية لا تكون للتصريح، أن كل عاقل يعلم إذا رجع إلى نفسه، أن إثبات الصفة بإثبات دليلها وإيجابها بما هو شاهد في وجودها، آكَدُ وأبلَغُ في الدعوى من أن تجيء إليها فتثبتها هكذا ساذجا غُفلا، وذلك أنك لا تدعي شاهد الصفة ودليلها إلاّ والأمر ظاهر معروف وبحيث لا يشك فيه لا يُظن بالمخبر التجوز والغلط " [2].

كما تحدث عبد القاهر عن المجاز ورأى أنه قد عول الناس في حده على حديث العقل وأن كل لفظ نقل عن موضوعه فهو مجاز، والكلام فيه يطول، والاسم والشهرة فيه لشيئين: الاستعارة والتمثيل.

1) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 66.

2) المرجع نفسه، ص 72.

"فالاستعارة أن يريد تشبيه الشيء بالشيء فتدع أن تفصل بالتشبيه وتظهره، وتجيء إلى اسم المشبه به فتعيره المشبه وتجريه عليه، تريد أن تقول: رأيت رجلا هو كالأسد في شجاعته وقوته وبطشه سواء، فتدع ذلك وتقول: رأيت أسدا " [1].

وفي ذكر أصول التشبيه جعل المشبه والمشبه به على ضربين [2]:

أحدهما: أن تنزله منزلة الشيء تذكره بأمر قد ثبت له، فأنت لا تحتاج إلى أن تعمل في إثباته وتزجيته، وذلكحيث تُسقط ذكر المشبه من البين، ولا تذكره بوجه من الوجوه، كقولك " رأيت أسدا" .

أي أنه يحذف المشبه من الكلام ولا يذكره بتاتا، و بيان مدى تأثيره في المعنى.

والآخر: أن تجعل ذلك كالأمر الذي يحتاج إلى أن تعمل في إثباته وتزجيته، و ذلك حيث تُجرِي اسم المشبه به خبرا على المشبه، فتقول: زيد أسد، وزيد هو الأسد"، أو تجئ به على وجه يرجع إلى هذا كقولك: "إن لَقِيتَه لقيت به أسدا، وإن لَقيتَ به أسدا، وإن لقيته ليلقينك منه الأسد"، فأنت في هذا كله تعمل في إثبات كونه أسدا أو الأسد، وتضع كلامك له. وأما في الأول فتُخرجه مُخرَجَ مالا يُحتاج فيه إلى إثبات وتقرير، والقياس يقتضي أن يقال في هذا الضرب أعني ما أنت تعمل في إثباته وتزجيته، أنه تشبيه على حد المبالغة ويقتصر على هذا القدر، ولا يسمى استعارة".

وفي هذا إشارة إلى اتساع المعاني التي يمكن أن تفهم من خلال سياق الكلام وقصد المتكلم من أجل إقناع السامع.

وأما " التمثيل" الذي يكون مجازا لمجيئك به على حد الاستعارة فمثاله قوله للرجل يتردد في الشيء بين فعله وتركه: " أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى " فالأصل في هذا: أراك في

1) ينظر، عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 67.

2) المرجع نفسه، ص 68.

ترددك كمن يقدم رجلا ويؤخر أخرى، ثم اختصر الكلام، وجعل كأنه يقدم الرجل ويؤخرها على الحقيقة [1].

يستفاد مما سبق أن الجرجاني يفترض أن العبارة اللغوية لا يمكن أن تفهم دائما على الحقيقة، أي إن المعنى الظاهر الذي يدل عليه لفظ العبارة، ليس دائما هو المعنى المراد وهذا الصنف من المعنى أي الذي يتوصل إليه بإعمال النظر، هو ما يمكن أن نسميه أو نصفه بالمعنى المستلزم، والجرجاني بتمييزه بين هذين الصنفين من المعنى يجعل المجاز والتمثيل أساس بلاغة العبارة.

ثم يذهب الجرجاني في فصل "لا يكون لإحدى العبارتين مزية على أخرى، حتى يكون لها في المعنى تأثير لا يكون لصاحبتها"، أنه إذا أفادت هذه مالا تفيد تلك، فليستا عبارتين عن معنى واحد، بل هما عبارتان عن معنيين اثنين[2].

ويرى الجرجاني أنه: "إنَّ قولنا المعنى في مثل هذا، يراد به الغرض، والذي أراد المتكلم أن يثبته أو ينفيه، نحو أن تقصد تشبيه الرجل بالأسد فتقول كأن زيدا بالأسد"، فتفيد تشبيهه أيضا بالأسد، إلا أنك تزيد في معنى تشبيهه به زيادة لم تكن في الأول، وهي أن تجعله من فرط شجاعته وقوة قلبه، وأنه لا يروعه بشيء، بحيث لا يتميز عن الأسد، ولا يقصر عنه، حتى يتوهم أنه أسد في صورة آدمي " [3].

حيث يرى أن هذا هو توخي نظم اللفظ وترتيبه، وأنه قدم الكاف إلى صدر الكلام وركبت مع أن، وأن هذا هو عين النظم.

1) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز المرجع نفسه ص 68 ، 69.

2) ينظر، المرجع نفسه، ص258.

3) المرجع نفسه، ص نفسها .

وقد سمى الجرجاني الكلام على ضربين في فصل " الكلام على ضربين "يقول": ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، وذلك إذا قصدت أن تخبر عن " زيد " مثلا بالخروج على الحقيقة، فقلت: "خرج زيد" وبالانطلاق عن "عَمرو" فقلت "عمرو منطلق" وعلى هذا القياس، وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده ولكن يذلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض، و مدار هذا الأمر على "الكناية" و"الاستعارة" و" التمثيل" [1].

أي إن أحدهما يدل على معناه بظاهر لفظه، و ثانيها يحتاج إلى إعمال الفكر، لأن معناه مستفاد من المعنى الأول.

وأطلق عليها الجرجاني مصطلح المعنى ومعنى المعنى، هذا الأخير الذي لم يسبقه إليه أحد في ذكره وشرحه، فقال: " وإذ قد عرفت هذه الجملة – يقصد ما تم شرحه في الاستعارة والكناية والتمثيل – فهاهنا عبارة مختصرة وهي أن تقول: " المعنى" و"معنى المعنى"، تعني بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ والذي تصل إليه بغير واسطة، و" بمعنى المعنى" أن تعقل من اللفظ معنى ثم يفضى بك ذلك المعنى إلى معنى آخر" [2].

أي إن المعنى عند الجرجاني هو المفهوم من ظاهر اللفظ الذي نصل إليه بلا واسطة، في حين أن معنى المعنى أن تقف على اللفظ بمعنى معين، ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر.

ثم يزيد عبد القاهر في دلائله عن فكرة المعنى، ومعنى المعنى في قوله: "ومن الصفات التي تجدهم يجرونها على "اللفظ"، ثم لا تعترضك شبهة ولا يكون منك توقف في أنها ليست له، ولكن لمعناه، قولهم: "لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه

1) عبد لقاهر الجرجاني دلائل الإعجاز، ص 262 .

[2])المرجع نفسه، ص 263 .

لفظه، ولفظه معناه، ولا يكون لفظه أسبق إلى سمعك من معناه إلى قلبك"، وقولهم: " يدخل في الأذن بلا إذن" فهذا مما لا يشك العاقل في أنه يرجع إلى دلالة المعنى على المعنى وأنه لا يتصور أن يراد به دلالة اللفظ على معناه الذي وضع له في اللغة " [1] .

إن الدلالة المتوارية خلف المعنى الظاهر تحتاج لمفسر ومؤول حذق ذي دراية كبيرة حتى لا يزيغ الكلام عما فيه من معنى، وحتى لا يتيه عما لها به علاقة متينة، ولكن كان التأويل بحرا بلا سواحل فلا مندوحة للمؤول من أن يضع له حدودا تقيه من مَغَبَّة الانزلاق ... فعبد القاهر يؤكد تعدد دلالات الكلام الواحد بقوله عن تأويلها الذي يعتبر أحد أبرز أسس التداولية [2] .

ومن الملحوظ أن الجرجاني في دلائله يميز بين حمل العبارة اللغوية على ظاهرها وحملها على المجاز، وهذا ما أشار إليه المعاصرين من إمكانية تطرق الجرجاني إلى ما سموه بالعبارات غير الملتبسة، وهي التي تدل على غير ما وضعت له، أي التي يؤخذ مدلولها من لفظها، وعبارات ملتبسة يرفع عنها الالتباس إما بالرجوع إلى الموقف التواصلي (الكلامي) وإما بسياقها التركيبي.

فعبد القاهر لا يجد في المعنى اللغوي مزية وفضلا، أما إذا كان هذا المعنى تمهيدا ودليلا إلى معنى آخر، لا تدركه إلا الأفهام الجيدة، والهمم اليقضة، فهذا ما يهمه ويسعى إليه [3].

وبهذا يؤكد الجرجاني على أن الاستعارة و الكناية والمجاز من مقتضيات النظم وأهم

1) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 268 .

2) مجلة علوم اللغة العربية و آدابها، العدد الأول ، ص 107، نقلا عن محمد السويرتي، النحو العربي من المصطلح إلى المفاهيم، تقريب توليدي و أسلوبي، و تداولي ، إفريقيا الشرق، المغرب، 2007 م، ص 217.

3) عبد الفتاح لاشين، التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر، دار المريخ للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، د ط ، 1980 م، ص 93.

أسسه، يقول: " بل ذلك يقتضي دخول الاستعارة ونظائرها فيما هو به معجز، وذلك لأن هذه المعاني التي هي الاستعارة والكناية والتمثيل، وسائر ضُروب المجاز من بعدها من مقتضيات النظم وعنه يحدث وبه يكون، لأنه لا يُتصور أن يدخل شيء منها في الكلم وهي أفراد لم يُتَوخَّ فيما بينها حكم من أحكام النحو" [1].

حيث نرى أن عبد القاهر الجرجاني لا يخرج من هذا الباب إلا وهو يؤكد انه لا يصادف القول موقعا من السامع، ولا يجد لديه قبولا، حتى يكون من أهل الذوق والمعرفة وحتى يكون الكلام معنى يفهمه المتلقي أو يذهب إليه تفكيره، وهذا مما يؤكد أهمية المعنى عنده.

5- الملاءمة عند عبد القاهر الجرجاني:

قلنا سابقا أن الملاءمة في الاصطلاح البلاغي تعني حسن الجمع بين عناصر الإبداع الفني، والحرص على اللياقة في ترتيب بعضها على بعض، وهذا المقياس عرف بين البلاغيين الأدباء تحت عدد من المسميات أهمها: الملاءمة، التناسب، المشاكلة والمطابقة، ومراعاة الحال والمقام. وهذه المسميات مؤداها واحد، وهو الملاءمة بين عناصر العمل الأدبي [2].

ومقياس الملاءمة من أكثر المقاييس دقة وشفافية واتساعا، فهو بمثابة الميزان الذي تحدد به القيمة البلاغية للنص الأدبي، ويتناول هذا المقياس أهم عناصر العمل الأدبي وما ينبغي أن يكون بينها من الموافقة. بدءا بملاءمة الكلمة للمعنى ولغيرها من الكلمات ومرورا

1) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 393.
2) حامد صلح خلف الربيعي، مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء، ص 376.

بملاءمة الكلام للمتلقي، وانتهاء بملاءمة النص للظرف الكلامي [1].

أولا : الملاءمة بين اللفظ و المعنى :

فطن عبد القاهر إلى أن لكل لفظة موقعا ومكانا محددا في أداء المعاني، وقدرة الأديب تبرز في مدى حذقه في اختيار اللائق بالمعنى من الألفاظ – بالرغم من أنه لا يعتد باللفظ المفرد – نجده يقول: " من المعلوم أن لا معنى لهذه العبارات وسائر ما يجري مجراها، مما يفرد فيه اللفظ بالنعت والصفة، وينسب فيه الفضل و المزية إليه دون المعنى غير وصف الكلام بحسن الدلالة وتمامها فيما له كانت دلالة، ثم تبرجها في صورة هي أبهى وأزين وأنق وأعجب وأحق بأن تستولي على هوى النفس، وتنال الحظ الأوفر من ميل القلوب وأولى بأن تُطلق لسان الحامد، وتُطيل رغم الحاسد، ولا جهة لاستعمال هذه الخصال غير أن تأتي المعنى من الجهة التي هي أصح لتأديته، وتختار له اللفظ الذي هو أخص به وأكشف عنه وأتم له، وأحرى بأن يكسبه نبلا، ويظهر فيه مزية... وإذا كان هذا كذلك فينبغي أن ينظر إلى الكلمة قبل دخولها في التأليف، وقبل أن تصير إلى الصورة التي بها يكون الكلم إخبارا وأمرا ونهيا واستخبارا وتعجبا، وتؤدي في الجملة معنى من المعاني التي لا سبيل إلى إفادتها إلاّ بضم كلمة إلى كلمة ، و بناء لفظة على لفظة ، هل يتصور أن يكون بين اللفظتين تفاضل في الدلالة حتى تكون هذه أدل على معناها الذي وضعت له من صاحبتها على ما هي موسومه به... " [2].

ثم يتم قائلا، وهل تجد أحدا يقول: " هذه اللفظة فصيحة" إلا وهو يعتبر مكانها من

1) حامد صالح خلف الربيعي، مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء ، ص 377.

2) عبد القاهر الجرجاني دلائل الإعجاز، ص 43، 44.

النظم، وحسن ملائمة * معناها لمعاني جارتها، وفضل مؤانستها لأخواتها [1].

فعبد القاهر يؤكد أمر الملاءمة بين اللفظ والمعنى، ويجعل منه مزية للأسلوب الأدبي ويرفض ما جاء به من الكلام على خلافه ولا يعتد به، لذلك فقد احتلت الملاءمة بين اللفظ والمعنى عنده مكانة مرموقة لأنها ملاءمة تُضفي على العمل الأدبي بُعدا جماليا، وتجعله أكثر تأثيرا في نفس الملتلقي [2].

ثانيا: الملاءمة بين الكلمة و الكلمة:

هذا الفرع من فروع مقياس الملاءمة يهتم بناحية من نواحي الصياغة على مستوى التقاء الكلمات و تأليفها في السياق، وذلك من خلال التأليف المعنوي. وما يكون بين الكلمات من المجانسة والانسجام، وهذا – بطبيعة الحال – لا يتحقق إلا إذا وضعت الكلمة في موضعها اللائق بها: وهو من أهم سمات الجودة في الكلام الذي يعتد به البلغاء.

وقد أجاد الإمام عبد القاهر معالجة الفكرة، فكان مقياس الملائمة بين الكلمات عنده أكثر نضجا، وأتم انضباطا، وذلك أن الإمام قد جعل هذا المستوى من مقياس الملائمة عنصرا من عناصر نظرية النظم التي تتعامل مع المعنى واللفظ على أنهما شيء واحد [3].

" ومعلوم علم الضرورة أن لن يتصور أن يكون للفظة تعلق بلفظة أخرى من غير أن يعتبر حال معنى هذه مع معنى تلك، و يراعى هناك أمر يصل إحداهما بالأخرى" [4]، فلا ريب عنده أن لهذا المقياس نصيبا من النظم، لأنه" لا نظم في الكلم، ولا ترتيب، حتى يعلق

*كلمة " ملائمة ": جاءت بهذا الرسم في كتاب دلائل الإعجاز.

1) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ، ص 44 .

2) ينظر، حامد صالح خلف الربيعي، مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء، ص 390.

3) المرجع نفسه، ص 392.

4) عبد القاهر الجرجاني، المرجع السابق، ص 406.

بعضها ببعض، ويبنى بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك، هذا ما لا يجهله عاقل، ولا يخفى على أحد من الناس" [1].

فالمزية لا تكون للألفاظ والمعاني، من حيث هي ألفاظ ومعان، "ولكن تعرض بسبب المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام، ثم بحسب موقع بعضها من بعض واستعمال بعضها مع بعض... – ثم يعود ويؤكد – كل ليس من فضل ومزية إلا بحسب الموضع وبحسب المعنى الذي تريد والغرض الذي تؤم، وإنما سبيل هذه المعاني سبيل الأصباغ التي تُعمل منها الصور والنقوش، فكما أنك ترى الرجل قد تَهَدَّى في الأصباغ التي عمل منها الصورة والنقش في ثوبه الذي نسج، إلى ضرب من التخير والتدبر في أنُفس الأصباغ وفي مواقعها ومقاديرها وكيفية مزجه لها وتربيته إياها، إلى ما لم يَتَهَدَّ إليه صاحبه، فجاء نقشه من أجل ذلك أعجب، وصورته أغرب، كذلك حال الشاعر والشاعر في توخيهما معاني النحو و وجوهه التي علمت أنها محصول النظم " [2].

فنظم الكلام فن كغيره من الفنون ، يقتضى من الأديب الدقة في اختيار الأدوات الفنية، ومعرفة مواقعها ومقاديرها وكيفية مزجها والتأليف بينها، وكلما كان الفنان "الأديب " أكثر دراية وعناية بفنه كان عمله أكثر جمالا[3].

و على هُدًى من هذا المبدأ تناول الإمام عبد القاهر الملاءمة بين الألفاظ، فكان مقياس الملاءمة نابضا بروح النظرية، مستقرا في صيغته النهائية، يقول: "وهل قالوا: "لفظة متمكنة مقبولة"، وفي خلافه: " قَلقة، ونابيه، ومستكرهة "، إلا و غرضهم أن يعبروا بالتمكن عن

1) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ، ص 55.

2) المرجع نفسه ، ص 87، 88.

3) حامد صالح خلف الربيعي، مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء، ص 393.

حسن الاتفاق بين هذه وتلك من جهة معناهما، وبالقلق والنُّبُوّ عن سوء التلاؤم، وأن الأولى لم تلق بالثانية في معناها، وأن السابقة لم تصلح أن تكون نفعا للتالية في مؤادَّها؟ [1].

ويقول أيضا: " وهل تشك إذا فكرت في قوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ "، سورة هود الآية (44) . فتجلى لك من الإعجاز وبهرك الذي ترى وتسمع، أنك لم تجد ما وجدت من المزية الظاهرة، والفضيلة القاهرة إلا لأمر يرجع إلى ارتباط هذه الكلم بعضها مع بعض، وأن لم يعرض لها الحسن والشرف إلا من حيث لاقت الأولى بالثانية، والثالثة بالرابعة، وهكذا إلى أن تستقر بها إلى آخرها . وأن الفضل ناتج ما بينها، وحصل من مجموعها، وإن شككت فتأمل: هل ترى لفظة منها بحيث لو أخذت من بين أخواتها وأفردت، لأدت من الفصاحة ما تؤديه وهي في مكانها من الآية ؟ قل: " ابلعي" واعتبره وحدها من غير أن تنظر إلى ما قبلها وما بعدها وكذلك فاعتبر سائر ما يليها "[2].

أي إن اللفظة وحدها مستقلة عن أخواتها وإن كانت فصيحة، لا تؤدي من الفصاحة ما تؤديه مجتمعة في سياق التأليف خدمة للمعنى المراد.

ويؤكد ذلك أيضا في قوله: " فقد اتضح إذن اتضاحا لا يدع للشك مجالا، أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلم مفردة، وأن الفضيلة وخلافها

1) حامد صالح خلف الربيعي، مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء ، ص 45 .

2) عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 45.

في ملائمة معنى اللفظة بمعنى التي تليها، وما أشبه ذلك، مما لا تعلق له بصريح اللفظ " [1] .

كما استطاع الإمام عبد القاهر أن يفسر ظاهرة وقف النقاد أمامها كثيرا، ألا وهي أن اللفظ تقع مقبولة في سياق، وتقع هي بعينها مكروهة في سياق آخر [2]، فيقول: " ومما شهد لك أنك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موضع، ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر، كلفظ " الأخدع "في الحماسة:

تَلَفَّتُ نَحوَ الحَي حتى وجَدتُني وَجعتُ من الإصغاء لَيتًا وأَخدَعَا.

و بيت البحري:

و إني وإن بَلَغَتني شَرَفَ الغنَى وأَعتَقتُ من رق المطامع أَخدَعي.

فإن لها في هذين المكانين مالا يخفى من الحسن، ثم إنك تتأملها في بيت أبي تمام:

يَا دَهرُ قَوم من أَخدَعيكَ ، فقد أَضجَجتَ هذا الأَنَام من خُرقك.

فتجد لها من الثقل على النفس، ومن التنغيص والتكرير أضعاف ما وجدت هناك من الرَّوح والخفَّة، ومن الإيناس و البهجة [3] .

ويؤكد الإمام عبد القاهر فكرته في آخر الفصل قائلا: " وهذا باب واسع، فإنك تجد متى شئت الرجلين قد استعملا كلاما بأعيانها ثم ترى هذا قد فَرَعَ السماك*، وترى ذاك قد لصق بالتخصيص، فلو كانت الكلمة إذا حُسنت حُسنت من حيث هي لفظ، وإذا هي استحقت المزية والشرف استحقت ذلك في ذاتها وعلى انفرادها، دون أن يكون السبب في ذلك حال

1) عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز، ص 46 .

2) حامد صالح خلف الربيعي، مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء، ص 394.

3) المرجع السابق، ص 46، 47.

* " السماك " نجم ، و هما " سماكان " ، الرامح و الأعزل ، "و فَرَعَ السماك "علاه وجاوزه في الارتفاع .

لها مع أخواتها المجاورة لها في النظم، بما اختلفت بها الحال و لكانت إما أن تحسن أبدا، أو لا تحسن أبدا " [1].

ثالثا: الملاءمة بين الكلام والمتلقي:

أما في هذا المقياس فنجده برز في محور منه وهو "ملاءمة الكلام لما ينتظره المتلقي" في نضمه بين النظم و السامع [2]. قال: " وليت شعري، كيف يتصور وقوع قصد منك إلى معنى كلمة من دون أن تريد تعليقها بمعنى كلمة أخرى؟ ومعنى "القصد إلى معاني الكم" أن تعلم السامع لها شيئا لا يعلمه . ومعلوم أنك، أيها المتكلم، لست تقصد أن تعلم السامع معاني الكلم المفردة التي تكلمه بها، فلا تقول: " خرج زيد " ، لتعلمه معنى " خرج " في اللغة، ومعنى " زيد ". كيف؟، ومحال أن تكلمه بألفاظ لا يعرف هو معانيها كما تعرف ولهذا لم يكن الفعل وحده من دون اسم، ولا الاسم وحده من دون اسم آخر أو فعل، كلاما وكنت لو قلت "خرج"، ولم تأت باسم ولا قدرت فيه ضمير الشيء، أو قلت:"زيد "، ولم تأت بفعل، ولا اسم آخر ولم تضمره في نفسك، كان ذلك وصوتا تُصَوِّتُهُ سواء، فاعرفه" [3].

فالملتقي عنصر أساس في نظم الكلام وتعليق الألفاظ بعضها ببعض، لا يستطيع المتكلم إغفاله بحال، لأن المتلقي ينتظر من الكلام شيئا جديدا يضيفه إلى رصيده المعرفي فإذا لم يكن كذلك لم يلق الكلام عنده قبولا و لم يحقق له بغية، ولعل هذا هو المبدأ الذي انطلق منه أبو العباس المبرد في الرد على اعتراض الكندي الذي زعم أن في كلام العرب حشوا [4] – التي ذكرت سابقا –.

1) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 48.

2) ينظر ، حامد صالح خلف الربيعي ، مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء، ص 404.

3) عبد القاهر الجرجاني، المرجع السابق، ص 412.

4) حامد صالح خلف الربيعي، المرجع السابق، ص 405.

فالمتكلم يراعي أبدا حال المخاطب ونوع الفائدة التي ينتظرها من الكلام، وإذا لم يعدل المتكلم كلامه وفقا لتلك الحال لم يكن لكلامه فائدة عند مخاطبه، نذكر من بين المواضع الكثيرة في دلائله ما يلي: "ثم قالوا : فإن كان رجل ليس له بأس و لا يقدر فيه أنه يقتل فقتل رجلا، وأراد المخبر أن يخبر بذلك، فإنه يقدم ذكر القاتل فيقول: "قتل زيد رجلا "، ذاك لأن الذي يعنيه وتعنى الناس من شأن هذا القتل، طرافته وموضع الندرة فيه وبعده كان من الظن، ومعلوم أنه لم يكن نادرا وبعيدا من حيث كان واقعا بالذي وقع به ولكن من حيث كان واقعا من الذي وقع منه" [1].

وكذلك قوله: "فإن ذلك من أجل أنه لا يؤتى بالاسم مُعرى من العوامل إلا لحديث قد ذ ُوي إسناده إليه، وإذا كان كذلك، فإذا قلت: "عبد الله"، فقد أشعرت قلبه بذلك أنك قد أردت الحديث عنه، فإذا جئت بالحديث فقلت مثلا: " قام" أو قلت: " خرج "، أو قلت :" قدم" فقد علم ما جئت به وقد وطأت له وقدمت الإعلام فيه فدخل على القلب، دخول المأنوس به وقبله قبول المهيأ له المطمئن إليه، وذلك لا محالة أشد لثبوته، وأنفى للشبه، وأمنع للشك وأدخل في التحقيق " [2].

وكذلك: " أن حال الفعل مع المفعول، الذي يتعدى إليه، حاله مع الفاعل: فكما أنك إذا قلت: " ضرب زيد "، فأسندت الفعل إلى الفاعل، كان غرضك من ذلك أن تثبت الضرب فعلا له، لا أن تفيد وجوب الضرب في نفسه وعلى الإطلاق. كذلك، إذا عدَّيت الفعل إلى المفعول فقلت: " ضرب زيد عمرا"، كان غرضك أن تفيد التباس الضرب الواقع من الأول بالثاني ووقوعه عليه، فقد اجتمع الفاعل والمفعول في أن عمل الفعل فيهما إنما كان من أجل أن يعلم التباس المعنى الذي اشتق منه لهما فعل الرفع في الفاعل، ليعلم التباس

1) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 108.

2) المرجع نفسه، ص 132 .

الضرب به من جهة وقوعه منه، والنصب في المفعول ليعلم التباسه به من جهة وقوعه عليه" [1].

إلى غيرها من المواضع العديدة التي عول عليها الإمام عبد القاهر في الكشف عن الفروق الدقيقة بين الأساليب، وبيان السر في العدول عن أسلوب إلى أسلوب [2]. وذلك خدمة لنظرية النظم التي تعد بدورها في سبيل خدمة المعنى السليم وتحقيق الفائدة التي ينتظرها المتكلم من الكلام وفقا لتلك الحالة التي يريدها مع مراعاة عدم تأدية المعنى وحسب بل ينبغي إيصال المعنى بأوضح السبل وأحسنها وأجملها.

1) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 153.

2) ينظر، حامد صالح خلف الربيعي، مقاييس البلاغة بين الأدباء و العلماء، ص 405.

خاتمة

خاتمة :

- ليس في مقدور أي مثقف أن يـُنكر ما للدرس البلاغي العربي من أهمية في إدراك بنية الكلام العربي، والأسس التي ينهض عليها إنشاء نماذجه الممتازة.
- وقد اهتم القدماء في دراسة البلاغة و بيان حيثياتها المعرفية ، فتعددت تعريفاتهم لها مما أدى إلى التقاء مفهوم البلاغة القديمة والجديدة، ولاسيما التركيز على مطابقة الكلام لمقتضى الحال، كما تنبهوا إلى التكامل القائم بين العلوم" علم النحو، وعلم المعاني " الذي يمثل الجانب البلاغي، وذلك يظهر في عنايتهم بالتركيب والمعنى منظورا إليهما من وجهة نظر تداولية.
- وسواء لدى القدامى أو لدى المحدثين تبقى فكرة " النظم " عصية على الانحصار في مصطلح وحيد بعينه ما دامت تؤمن بعقيدة التحيين التي لا تعرف الحدود المكانية أو الزمنية.
- إن الجهود المبذولة من قبل القدامى في مجال العنى لا يـُستهان بها، كما لا يمكن أن ننكر ما بذله المحدثون من إضافة أفكار جديدة أغفلها القدامى رغبة منهم في تيسير اللغة العربية وجعلها لغة تخاطب وتواصل واسعين.
- وقد صدر عن التفكير البياني العربي في اللغة و التفسير، وعلم القراءات والحديث والأصول، رؤية تداولية، تتعامل مع النص المعطى في ضوء القرائن السياقية والمقامية، دون حصر المعنى في الدلالة الحرفية، من خلال التركيز على الأغراض والمقاصد الأساسية للكلام.
- فنجد عبد القاهر الجرجاني يحرص على الاهتمام بالمعاني والأغراض الإبلاغية المتوخاة من الخطاب.

- وقد كان عبد القاهر الجرجاني عالما لغويا قبل أن يكون عالما بلاغيا، فهو لم يكتف بالوقوف عند حدود الظاهرة اللغوية البلاغية؛ بل كان يتناوله بروية وعمق كبيرين ويتوغل في خباياها ليصل إلى الرؤية السليمة، والفهم الثاقب.
- وقد حاول بذكائه مداواة الناس من دائهم، وعلاج الفساد الذي عَوض في آرائهم كل مبلغ، وأخذ بهم عن المجاهل التي كانوا يتعسفون فيها.
- وقد نجد بعدا تداوليا في تلك الأسس والمبادئ والمفاهيم الإجرائية التي اعتمدها كثير من علمائنا القدامى ونُحاتنا وبلاغيينا في دراسة اللغة العربية ورصد خصائصها ونذكر منها على الخصوص مفهوم الفعل الكلامي، وما يتعلق به من مبادئ ومفاهيم إجرائية أهمها، مراعاة سياق الحال، والغرض الذي يريده المتكلم من كلامه والفائدة التي يجنيها المخاطب من الخطاب وغيرها.
- لا يخلو البحث النحوي في تراثنا من الاهتمام " بالأفعال الكلامية "، وما يؤكد اهتمامهم بالبعد التداولي للظاهرة اللغوية إشارة بعضهم إلى المعاني والأغراض العميقة الكامنة وراء الألفاظ والمباني.
- ومن نتائج المقارنة بين ما توصلت إليه التداولية المعاصرة، وما كان قد قرره العلماء العرب من قبل أن الفعل الكلامي يُشعب إلى أربعة شُعب أساسية، لا إلى ثلاثة كما فعل أوستين وتلميذه سيرل، وأن تلك الشعب هي: فعل القول الفعل المتضمن في القول، الفعل المستدعي بالقول، والفعل الناتج عن القول.
- كما أن المعايير التي اعتمدها العلماء العرب في باب التداولية متعددة ومختلفة باختلاف المراحل وتطورها، مثل: معيار" قبول الصدق والكذب " و" القصد "...
- خلاصة القول: إن اللفظ والمعنى وجهان لعملة واحدة وهي النظم، فالكلام يكون فصيحا إذا تعلقت الكلمات ببعضها البعض وارتبطت بأخواتها في بنية ما مما يزيد

المعنى رسوخا في ذهن المتلقي، ناهيك عن معاني النحو، التي تضع الكلم في موضعه الصحيح الذي يليق بمكانه داخل المتن.

- كما أن الدراسات الحديثة لا تقتصر على التراث النحوي فقط، بل تفيد من التراث اللغوي العربي الموزع بين كتب النحو، واللغة، والبلاغة والفقه وأصول الفقه والقراءات والتفسير، والمعاجم بما هو تراث لغوي واحد.

ملخص

ملخص

يتناول هذا البحث محاولة ربط إحدى المدونات التراثية بالدراسات التداولية الحديثة وذلك من خلال البحث في موضوع " المعنى في البلاغة العربية من منظور اللسانيات التداولية، دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني – عينة – "، ذلك بـُغية الكشف عن العلاقات القائمة بينهما .

ويظهر أن للمعنى أهمية كبيرة في الدراسات القديمة، وكذا الدراسات التداولية الحديثة وذلك من خلال التأكيد على أنه يربط بين اللغة والكلام من حيث الاستعمال وكذا محاولة الكشف عنه في التراث العربي، ومدى أهميته، وصولا إلى تجسيده في مباحث التداولية ومحاولة الكشف عن المعنى في كل من البلاغة والتداولية.

ومما يدلل على أن هناك علاقة وشيجة بين البحث البلاغي القديم والمفاهيم التداولية المعاصرة، هو بروز بعض ملامح التداولية في مدونة الإمام عبد القاهر الجرجاني.

J’ai tenté à travers mon mémoire, d’établir un lien entre les corpus traditionnels et les études pragmatiques modernes, grâce à la recherche dans le thème du : « Elmaana fi elbalagha mine mendore ellissaniate attadawolia dalail Eliadjez li Abed Elkaher Eldjordjani –ayina – » et ce dans le but de dévoiler les liens qui existent entre eux.

Il s’avère que le sens détient une grande importance dans les anciennes études ainsi que dans les études pragmatiques modernes, par le fait qu’il constitue un lien entre la langue et le langage de part son usage, tout en essayant de le mettre en exergue dans la tradition arabe et démontrer son importance afin d’arriver à l’incarner dans les recherches pragmatiques et tenter de lever le voile sur le sens dans la rhétorique et le pragmatisme.

Ce qui prouve qu’il existe un lien étroit entre les anciennes recherches rhétorique et les concepts pragmatiques modernes, c’est l’émergence de quelques traits du pragmatisme dans le corpus de l’Imam Abdelkaher ELDJERDJANI

مكتبـة البحث

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع .

المصادر :

1. الأهدل محمد بن أحمد بن عبد الباري، الكواكب الدرية على متممة الأجرومية مؤسسة الكتب الثقافية، ط 1، 1990 م.

2. الباقلاني أبي بكر محمد بن الطيب، إعجاز القرآن، تحقيق احمد صقر دار المعارف مصر، ط 4، 1977م.

3. البطليوسي ابن السيد، الإنصاف في التنبيه على الأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم ، مطبعة الموسوعات بباب الخلق، القاهرة مصر، د ط، 1898م.

4. الجاحظ أبي عثمان بن عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ج 1، 1998م.

5. الجاحظ أبي عثمان بن عمرو بن بحر، الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون شركة مكتبة و مطبعة مصطفى بابي الجلبي و أولاده، مصر، ج 3، ط2، 1966 م .

6. الجارم علي ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، البيان المعاني البديع دار المعارف د ط ، د ت .

7. الجواري أحمد عبد الستار ،نحو الفعل، مطبعة المجمع العلمي العراقي بغداد العراق، د ط، 1974م.

8. ابن جني أبي الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، ط1، ج 1، 1957 م.

9. الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، قراءة و تعليق محمود محمد شاكر مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط 5، 2004 م.

10. الزمخشري أبي القاسم جار الله محمود، أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، ج 1، ط 1، 1998م.

11. الزركشي بدر الدين، البُرهان في علوم القرآن، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم القاهرة مصر، ج 1، 1957 م.

12. الزركشي سليمان طاهر حمودة الزركشي، دراسة المعنى عند الأصوليين الدار الجامعية للنشر، الإسكندرية، مصر، د ط ، د ت.

13. ابن منطور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، المجلد 11، ط 3 1994 م.

14. سيبويه أبي بشر بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 3، 1988 م.

15. السكاكي أبو يعقوب، مفتاح العلوم، تحقيق، عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1982 م.

16. ابن قتيبة أبي محمد عبد الله بن مسلم، أدب الكاتب، تحقيق، محمد الدالي مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، د ط، 1981 م.

17. ابن رشيق أبي علي الحسن، العمدة، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد دار الجيل، سوريا، ج 1، ط 5، 1981 م.

18. التفتزاني سعد الدين، المطول على التلخيص، مطبعة احمد كامل اسطنبول، تركيا د ط، 1809 م.

19. الخطيب القزويني جلال الدين عبد الرحمن ، الإيضاح في علوم البلاغة شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة مصر، ج 1 ، ط 2 1984 م

20. ابن خلدون عبد الرحمان، المقدمة، دار القلم للنشر و التوزيع، بيروت، لبنان، ط7 1989 م.

المراجع:

العربية:

21. بوقرة نعمان، اللسانيات اتجاهاتها و قضاياها الراهنة، عالم الكتب الحديثة جدار للكتاب العالمي، الأردن، ط1، 2009م.

22. بركات حمدي أبو علي محمد، البلاغة العربية في ضوء منهج متكامل دار البشي عمان، الأردن، ط 1، 1992 م.

23. دك الباب جعفر، الموجز في شرح دلائل الإعجاز في علم المعاني، مطبعة الجليل، دمشق، سوريا، ط 1، 1980 م.

24. زوين علي، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ط 1، 1986 م.

25. حمودة طاهر سليمان، ابن قيم الجوزية، جهوده في الدرس اللغوي، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية، مصر،دط، 1976 م.

26. حمودة طاهر سليمان، دراسية المعنى عند الأصوليين، الدار الإسكندرية مصر دط، دت.

27. حمودة سعد سليمان، دروس في البلاغة العربية، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ،مصر، دط، 1999 م.

28. حسان تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، د ط، 1994 م.

29. حسن حسن جبل محمد، المعنى اللغوي، دراسة عربية مؤصلة نظريا وتطبيقيا، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط 2، 2009 م.

30. حسن عباس فضل، البلاغة فنونها وأفنانها، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الأردن ط4، 1997 م.

31. لاشين عبد الفتاح، التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر دار المريخ للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، د ط، 1980 م.

32. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط 4 2004 م.

33. محمد يونس علي محمد، المعنى و ظلال المعنى، دار المدار الإسلامي بيروت، لبنان ط 2،2007 م.

34. الميداني عبد الرحمان حسن حنبكة، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها ، دار القلم، دمشق، ج2، ط1، 1996 م.

35. المتوكل أحمد، المنحنى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، الأصول والامتداد، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط 1، 2006 م.

36. نجا إبراهيم ، اللهجات العربية، مطبعة السعادة، مصر، دط، دت.

37. نحلة محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، د ط، 2002 م.

38. السامرائي فاضل صالح ، الجملة العربية و المعنى ، دار ابن حزم ، بيروت لبنان، ط 1 ، 2000 م.

39. السويرتي محمد، النحو العربي من المصطلح إلى المفاهيم، تقريب توليدي وأسلوبي وتداولي، إفريقيا الشرق، المغرب، 2007 م.

40. سعودي أبو زيد نواري، في تداولية الخطاب الأدبي، المبادئ والإجراء، بيت الحكمة الجزائر، ط 1، 2009 م.

41. السعران محمود، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار المعارف، بيروت لبنان، دط 1962 م .

42. عباس محمد، الأبعاد الإبداعية في منهج عبد القاهر الجرجاني، دار الفكر المعاصر بيروت، لبنان، ط 1، 1999 م.

43. علي الصغير محمد حسين، علم المعاني بين الأصل النحوي والموروث البلاغي دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ط 1، 1989 م.

44. العمري محمد، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، إفريقيا الشرق، المغرب، د ط 1999 م.

45. فهمي حجازي محمود، مدخل إلى علم اللغة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة، مصر، د ط، د ت .

46. فهمي زيدان محمود، في فلسفة اللغة، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1985م.

47. فضل صلاح، نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الآفاق الجديدة، بيروت لبنان ط 3، 1984 م.

48. صحراوي مسعود، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت، لبنان، ط 1، 2005 م.

49. الصنهاجي محمد بن محمد بن داود، متن الأجرومية، دار الآثار للنشر والتوزيع ط1 2002 م .

50. الصعيدي عبد المتعال، البلاغة العالية، مكتبة الآداب ومطبعتها الجماميزت مصر، ط 2، 1991 م.

51. قلقيلة عبده عبد العزيز، البلاغة الاصطلاحية، دار الفكر الغربي، القاهرة مصر ط 3، 1992 م.

52. القرطاجي حازم، مناهج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، دار الكتب الشرقية، تونس، 1966 م.

53. رياض كريم محمد، المقتضب في لهجات العرب، التركي للكمبيوتر وطباعة الأوفيست، طنطا، د ط، 1996 م.

54. الشهري بن ظافر، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بن غازي، ليبيا، ط 1، 2003 م.

55. الشوكاني إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول – المطبعة الحلبية – القاهرة، مصر، 1937 م .

56. الخولي أمين، مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، دار المعرفة مصر،ط 1، 1961 م.

57. خلف الربيعي حامد صالح، مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء، جامعة أم القرى مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، د ط، 1996 م.

58. ضيف شوقي، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط9 1965م.

59. عبد الغفار السيد أحمد، التصور اللغوي عند الأصوليين، مكتبات عكاظ، ط 1 1981 م .

المترجمة:

60. أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، كيف تنجز الأشياء بالكلام، ترجمة عبد القادر قينيني، إفريقيا الشرق، د ط، 1991 م.

61. بلانشيه فيليب، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ترجمة، صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، ط 1،2007 م.

62. جون إي جوزيف وآخرون، أعلام الفكر اللغوي التقليدي الغربي في القرن العشرين ترجمة، أحمد شاكر الكلابي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2006 م.

63. دوسوسير ، الحدود في النحو (ضمن رسائل في النحو و اللغة) – تحقيق مصطفى جواد و يوسف يعقوب مسكوني، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد العراق، د ط، 1969 م.

64. دلاش الجيلالي، مدخل في اللسانيات التداولية، ترجمة، محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، د ت.

65. فان دايك، النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي ترجمة عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، المغرب، د ط، 2000 م.

66. فندريس، اللغة، تعريب عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو القاهرة، مصر، د ط، 1950م.

67. فرانسواز أرمينيكو، المقاربة التداولية، ترجمة، سعيد علوش، مركز الانتماء القومي الرباط، المغرب، د ط،1986 م.

68. روبول آن و جاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة، سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، بنان، ط 1، 2003م.

69. روبول آن، جاك موشلار، القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة مجموعة من الأساتذة والباحثين، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، ج 1، ط 2، 2010 م.

كتب أجنبية:

70. Oswalducrt jean mais cheffer, nouveau dictionnaire encyclopedique des science du langage , Edition de seuil 1995 p 764,

المجلات:

71. إبرير بشير، في تعليمية الخطاب العلمي، مجلة التواصل، جامعة باجي مختار عنابة، الجزائر، العدد 08، جوان 2001 م.

72. أديوان محمد، نظرية المقاصد بين حازم القرطاجيني ونظرية أفعال اللغة المعاصرة مجلة الوصل، كلية الأداب، جامعة تلمسان، العدد لأول، 1994 م.

73. أحمد حمدان ابتسام، أسس نحوية ولغوية في التفكير البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، فصيلة محكّمة، العدد 3، خريف 2010م.

74. العوف زياد عز الدين، التداولية تعلم فرناند هالين، مجلة الأداب الأجنبية، العدد 125، شتاء 2006 م.

75. ريتشارد، فلسفة البلاغة، ترجمة، ناصر حلاوي وسعيد الغانس، مجلة العرب والفكر العالمي، عدد 1991 م.

76. مجلة علوم اللغة العربية و آدابها، منشورات المركز الجامعي بالوادي، العدد الأول مارس 2009 م.

مقالات و دراسات:

77. بوقرة نعمان، ملامح التفكير التداولي البياني عند الأصوليين، بحوث ودراسات إسلامية المعرفة، السنة الرابعة عشر، العدد 54، خريف 2008م.

78. الشافعي خالد بن ربيع، نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني مقدماتها – أركانها – قيمها –.

79. ملاوي صلاح الدين، نظرية الأفعال الكلامية في البلاغة العربية جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، العدد الرابع، جانفي 2009 م.

رسائل جامعية:

80. برارات عائشة، أغراض المتكلم ودورها في التحليل النحوي في شرح كافية ابن الحاجب لرضي الدين الأستراباذي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير مخطوط جامعة

قاصدي مرباح، ورقلة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية قسم اللغة العربية وآدابها، نوقشت 2009 م.

81. جمال موسى، تجليات مفاهيم التداولية في التراث العربي، تفسير الرازي لسورة المؤمنون نموذجا، رسالة ماجيستير، كلية الآداب واللغات، قسم علوم اللسان 2008م 2009 م.

82. نابي نسيمة، مناهج البحث اللغوي عند العرب في ضوء النظريات اللسانية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، السنة الجامعية 2010 م 2011م .

83. قسيمة دليلة، استراتيجيات الخطاب في الحديث النبوي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2011 م 2012م .

84. خليفة عّود، علاقة الدرس النحوي بالدرس البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في البلاغة والنقد، كلية الآداب واللغات قسم اللغة العربية وآدابها شعبة الدراسات البلاغية والنقدية بين أصالة التراث والمعاصرة، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، 2009 م، 2010 م.

فهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	أ- ه
مدخل : مفاهيم أساسية	8 - 23
1- اللغة	9
1-1- مفهوم اللغة	9
1-2- أنظمة اللغة	11
2- الكلام	13
2-1- مفهوم الكلام	13
2-2- علاقة اللغة بالكلام	14
2-3- الفرق بين اللغة و الكلام	15
3- المعنى و البلاغة	17
3-1- تعريف المعنى	17
3-2- مفهوم البلاغة	19
3-3- أوجه الحاجة إلى دراسة البلاغة	20
4- التداولية	20
4-1- تعريف التداولية	21
4-2- من مهام التداولية	23
الفصل الأول : المعنى دراسة و تحليل	26 - 61
1- مؤشرات المعنى	27
2- المعنى و السياق	27
2-1- عناصر السياق	30
2-2- أهمية السياق	31
3- الجملة و المعنى	31
4- المعنى بين الدراسات التراثية و الدراسات اللغوية الحديثة	33
4-1- المعنى عند الفلاسفة	33
4-2- المعنى عند المطقيين المسلمين	35
4-3- المعنى عند الأصوليين	39
4-3-1- مظاهر من دراسة المعنى عند الأصوليين	43
4-3-2- وضع حدود للدلالة عند الأصوليين	45
4-4- المعنى عند النقاد	46
4-5- المعنى عند البلاغيين	49
4-6- المعنى عند اللغويين	51
4-6-1- المعنى في الدراسة اللغوية القديمة	51
4-6-2- المعنى في الدراسة اللغوية الحديثة	54

4-7- المعنى عند الفلاسفة المعاصرين	57
5- أهمية دراسة المعنى	59
الفصل الثاني : البلاغة مفاهيم و تحديدات	64 – 97
1- مؤشرات البلاغة و أصولها	65
1-1- مؤشرات البلاغة	65
1-2- الأصول البلاغية	66
2- نشأة البلاغة	66
2-1- في العصرين الجاهلي و الإسلامي	66
2-2- في العصر العباسي	68
2-3- المتكلمون المعتزلة	71
2-4- الجاحظ	72
2-5- لغويون آخرون	73
3- اهتمام البلاغة باللفظ و المعنى	76
3-1- من يؤثر اللفظ على المعنى	76
3-2- من يؤثر المعنى على اللفظ	77
4- موضوعات البلاغة	77
4-1- موضوعات البلاغة التعليمية (الإنشائية)	77
4-2- النظرية البلاغية	78
4-3- موضوعات البلاغة بين النظرية و التطبيق	78
5- وظيفة البلاغة و أهمية دراستها	79
5-1- وظيفة البلاغة	79
5-2- أهمية دراستها	80
6- مقاييس البلاغة في صياغة المعاني	81
6-1- زيادة المعنى	81
6-2- الوضوح	81
6-3-الملاءمة	82
6-3-1- الملاءمة بين اللفظ و المعنى	83
6-3-2- الملاءمة بين الكلمة و الكلمة	84
6-3-3- الملاءمة بين الكلام و المتلقي	84
6-3-4- الملاءمة بين الكلام و المقام	86
7- أبواب البلاغة	88
7-1- تعريف علم المعاني	88
7-2- و ظيفة علم المعاني	88
7-3- أبواب علم المعاني	89

7-3-1- أحوال الإسناد الخبري	89
7-3-2- حذف المسند إليه	90
7-3-3- تقديم المسند	92
7-3-4- القصر	92
7-3-5- الإيجاز و الإطناب و المساواة	96
الفصل الثالث : المفاهيم التداولية بين الغرب و العرب	100 - 138
1- علاقة البلاغة بلتداولية	101
2- مميزات البحث التداولي	104
3- فروع التداولية و مهامها	105
3-1- فروع التداولية	105
3-2- مهام التداولية و وظائفها	106
4- أبرز أنشطة التداولية	107
5- مفاهيم أساسية في التداولية	108
6- التفكير التداولي الغربي	110
6-1- الأفعال الكلامية	110
6-2- أوستين	110
6-2-1- الأفعال الكلامية عند أوستين	110
6-2-2- جوانب الأفعال الكلامية عند أوستين	113
6-2-3- تصنيف أوستين للأفعال الكلامية	115
6-2-4- خصائص الفعل الكلامي عند أوستين	116
6-3- سيرل	117
6-3-1- الأفعال الكلامية عند سيرل	117
6-3-2- إسهامات سيرل	117
6-3-3- جهود سيرل في تطوير نظرية الأفعال الكلامية	119
6-3-4- معايير سيرل في تصنيف الأفعال اللغوية	120
6-3-5- تصنيف سيرل للأفعال الكلامية	121
6-3-6- أسس سيرل في تصنيف الأفعال الكلامية	123
6-4- غرايس	123
6-4-1- الاستلزام عند غرايس	124
6-4-2- أنواع الاستلزام	124
6-4-3- خصائص الاستلزام الحواري عند غرايس	126
6-4-4- أنماط العبارات اللغوية عند غرايس	127
6-5- ولسن و سبربر و نظرية الملاءمة	128
6-5-1- أهميتها التداولية	128

6-5-2- مصادرها	128
6-5-4- مميزات نظرية الملاءمة	129
7- ملامح التفكير التفكير التداولي في التراث العربي	130
7-1- التداولية في البيان اللغوي	130
7-2- التداولية عند المفسرين و علماء الدراسات القرآنية	135
7-3- التداولية عند الأصوليين	136
الفصل الرابع : بعض ملامح التداولية عند عبد القاهر الجرجاني	141 – 180
1- النظم و المعنى	142
1-1- أسس نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني	142
1-2- أهمية نظرية النظم	147
1-3- معالم نظرية النظم	149
2- النظم و توخي معاني النحو	156
3- أغراض المتكلم عند عبد القاهر الجرجاني (المقصد)	160
4- ظاهرة الاستلزام عند عبد القاهر	166
5- الملاءمة عند عبد القاهر الجرجاني	172
5-1- الملاءمة بين اللفظ و المعنى	172
5-2- الملاءمة بين الكلمة و الكلمة	174
5-3- الملاءمة بين الكلام و المتلقي	179
خاتمة	182 - 184
ملخص	186 - 187
مكتبة البحث	188 - 199